الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 معهد الآثار

الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري

دراسة تاريخية آثارية

(زاويتي تيماسين بوادي ريغ وقمار بوادي سوف نموذجا)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ:

مراد حديبي د. عبد العزيز لعرج

لجنة المناقشة

الأستاذ:عبد الكريم عزوق.....أستاذ محاضر.....رئيسا

الأستاذ: عبد العزيز لعرج.....أستاذ التعليم العالي.....مقررا أولا

الأستاذة: خيرة بن بلة..... أستاذة محاضرة.....مقررا ثانيا

الأستاذة: شريفة طيان..... أستاذة محاضرة.....عضوا

الأستاذ عبد العزيز شهبي..... أستاذ محاضر.....عضوا

السنة الجامعية: 1432هـ ـ 1433هـ/ 2011م ـ 2012م

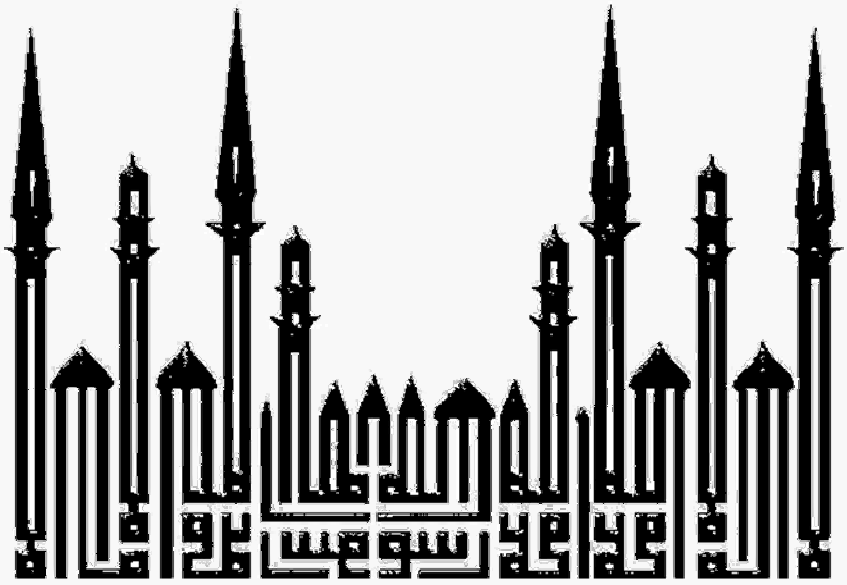

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده:

لو غُير هذا لكان أحسن،

ولو زيد كذا لكان يُستحسن،

ولو قُدم هذا لكان أفضل،

ولو تُرك هذا لكان أجمل،

وهذا من أعظم العبر،

وهو دليل على إستلاء النقص على جملة البشر"

العلامة الكبير

عماد الدين الأصبهاني (519 - 597هـ)

مقدمة

مقدمـــــة

تزخر الصحراء الجزائرية بمنشآت عمرانية تاريخية غاية في الأهمية، وذلك للدور الكبير الذي لعبته ولا تزال تلعبه على مسرح الأحداث منذ القرون الوسطى وحتى يومنا هذا، ولعل الأهمية الكبرى لهذه المنشآت تكمن أساسا في قيمتها التاريخية والأثرية، وأهميتها في الحفاظ على الطابع الحضاري والثقافي للجزائر بصفة عامة، وللمنطقة الصحراوية بصفة خاصة، فهي بمثابة ذاكرة المجتمع وأصالته وكيانه، وتتمثل هذه المنشآت في الزوايا التجانية المتناثرة عبر مختلف ولايات الجنوب الجزائري.

أهمية اختيار الموضوع:

لقد لفت نظري إلى هذا الموضوع جدة البحث فيه وأهميته من الناحية التاريخية والأثرية، كما أن دراسة هذا الموضوع تعد من بين الدراسات الهامة والجادة في كشف النواحي السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية للمنطقة.

ومن الحوافز التي دفعتني إلى البحث في هذه المنطقة (الجنوب الجزائري) هو محاولة إبراز بعض الجوانب الأثرية والفنية التي أهملت من طرف الباحثين، بحيث تكلموا عن الصحراء وأهوالها وصعوبة العيش فيها ولم يتكلموا عن خصائصها السياسية والاقتصادية والعمرانية....الخ، ومما زادني تحفيزا إلى البحث في هذا الموضوع هو افتقار مكتباتنا إلى مثل هذا النوع من المواضيع التي لم تحض بدراسات خاصة من طرف الباحثين باستثناء بعض الدراسات القيمة التي قام بها الدكتور المرحوم علي حملاوي حول قصور جبال عمور ومنطقة الأغواط وكذا بحوث بعض الأجانب والمتعلقة أساسا بالجانب الاجتماعي والسياسي والمذهبي، خاصة إذا علمنا أن الفترة التي عاشتها بعض مدن الجنوب الجزائري أثناء حكم العثمانيين، هي مرحلة عرفت حركة معمارية وفنية نشيطة تمثلت على وجه الخصوص في تشييد القصور الضخمة والجوامع والزوايا المزخرفة وصنع التحف الفنية الرائعة التي تعج بها مختلف متاحف الجزائر.

الإشكاليـــة:

تمتاز الزوايا التجانية بتخطيط عمراني محكم وتحتوي على عناصر معمارية ومواد وتقنيات بناء متنوعة جديرة بالدراسة والاهتمام، فهي تعتبر مرآة عاكسة نستخلص من خلالها مميزات الهندسة المعمارية المحلية، لذلك جاء مشروع البحث ليحدد الإطار التاريخي والفني للزوايا التجانية ويرسم امتدادها الجغرافي في الولايات الجنوبية للجزائر، ويحدد أنماطها وأسباب ظهورها، فما هي العوامل التي ساهمت بصورة فعالة ومباشرة في ظهور وانتشار الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري ؟ ما هي أنماطها تخطيطيًا وعمرانيًا ومعماريًا ؟ وما علاقتها بالأحداث التاريخية و الاجتماعية والبيئية ؟ كيف تعامل الفنان المحلي في صياغة مظاهر و خصائص منظومتها العمرانية و المعمارية والفنية ؟ وهل يمكن بلورة الفن المعماري الصحراوي في مدرسة فنية إسلامية خاصة تخضع لمعايير متميزة عن المدارس الفنية الإسلامية الأخرى ؟ ما الفرق بين النظام المعماري للزوايا والنظام المعماري للقصور ؟ كيف تعامل أهالي الزوايا مع محيطهم الديني والاجتماعي والبيئي ؟ وما مدى تحكم هذا المحيط في انتشار وتطور هذه الزوايا ؟ ثم ما هي المؤثرات ومظاهر التأثر بين الأساليب الفنية والمعمارية في الزوايا التجانية عبر مختلف المناطق وبينها وبين أساليب المراكز الفنية الأخرى ؟ هذه الأسئلة والتساؤلات هي مثار البحث التي سنحاول أن نجيب عنها عبر مراحله وفصوله .

الإطار الزماني والمكاني:

يتناول موضوع البحث دراسة تاريخ الحركة الصوفية من حيث المنشأ والتطور بصفة عامة، والزوايا التجانية بصفة خاصة، وذلك باعتبارها أكثر النماذج انتشارا في الجنوب وبالتالي فهو موضوع تاريخي عمراني وفني، يمكن الخوض في تفاصيله من خلال الإشكالية وذلك بتشخيص المظاهر المختلفة لجوانبه ويقوم البحث على دراسة النماذج المختلفة تاريخـــا وعمرانـــا، أي في الزمان والمكان ففي الزمن نقوم بدراسة تاريخ يمتد من أواخر القرن السابع عشر الميلادي إلى منتصف القرن التاسع عشر

الميلادي كحد أقصى، وهذه الفترة التي عرفت حركة انتشار وتطور كبيرة في مختلف الميادين، أما في المكان فإن الدراسة تنحصر في المناطق الجنوبية الشرقية للجزائر.

والموضوع في صورته العامة المعروض بها زمانا ومكانا وفي إشكاليته المطروحة لم تتناوله الدراسات والأبحاث في شكل أطروحات جامعية، بالرغم من أن بعض الدراسات تناولت فيه بعض الجوانب تناولا جزئيا.

وقد اعتمدت في الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي وذلك من حيث عرض المعلومات التاريخية المتعلقة بالتصوف والطرق الصوفية، والوصف المعماري للمنشآت في موضوع الدراسة بطريقة كرونولوجية، مع التشخيص الدقيق للمظاهر المعمارية والفنية من داخل المعالم وخارجها، ومستعينا بدراسة تحليلية مقارنة، للوقوف على أنواع وأشكال وطرز العناصر المعمارية والفنية في العمارة الصحراوية التجانية، كما اعتمدت في البحث علـــى جانبين مهميـــن وهما:

* **الجانب النظري:** و سأتناوله بالدراسة من خلال رصد المصادر و المراجع المتعلقة بالموضوع وتفحصها و جمع المادة منها، لمختلف عناصر الموضوع وفق الخطة التي وضعتها له، و بما أمكنني جمعه من المادة، و بعد نقـــدها و تمحيصها و تكوين تصور واضح عن مختلف العناصر المشكلة لكـــل فصل يأتي دور الصياغة فهي الأوعيـــة المعرفية المعتمد عليها في أي بحث أكاديمـــي.

* **الجانب التطبيقي:** وهو الجزء الثاني من الدراسة، نقوم فيه بزيارات ميدانية لجملة العمائر المكونة للزوايا من مساجد وأضرحة وساحات عامة وما تحتويه من عناصر معمارية وزخارف فنية نقوم فيها برفع المقاسات والصور وتسجيل الملاحظات مع أخذ المخططات الأولية و حمل التفريغات الزخرفية وتوضيح آماكن تواجدها حتى تسهل لنا عملية تحليلها ومقارنتها .

وفي محاولة منا للإلمام بالموضوع أكثر فأكثر من كل جوانبه وحيثياته، رأينا من المناسب تقسيم البحث إلى ثلاثة أبواب، كل منها يشمل فصلين:

الباب الأول: خصصناه للدراسة التاريخية، تناولنا فيه موضوع التصوف والطرق الصوفية وذلك بالاعتماد على النصوص والوثائق التاريخية، وقد قسمناه كما قلنا إلى فصلين:

الفصل الأول: تحدثنا في المبحث الأول منه عن ظهور الحركة الصوفية في المشرق والمغرب الإسلاميين، وعوامل نشأتها وتطورها، وفي المبحث الثاني عن الطرق الصوفية من حيث مفهومها، ونشأتها، وتطورها في العالم الإسلامي، وفي الجزائر وأسباب ظهورها وانتشارها.

الفصل الثاني: تناولنا فيه في المبحث الأول موضوع الطريقة التجانية وأهم زواياها من حيث الظهور والانتشار، في الجزائر وفي مختلف دول المغرب وإفريقيا، مركزيين على النموذجين الذين تناولناهما بالدراسة والتحليل، مبينين الدور الكبير الذي لعبته على مسرح الأحداث في مختلف الميادين وعبر مختلف الفترات، وفي المبحث الثاني تناولنا مفهوم الزاوية ونشأتها وتطورها ومهامها وهيكلها التنظيمي السياسي الديني والتعليمي

الباب الثاني: وخصصناه للدراسة الأثرية العمرانية والمعمارية، في النموذجين الذين اخترناهما للبحث ووزعناها على فصلين:

الفصل الأول: تطرقنا فيه في المبحث الأول إلى الموقع الجغرافي والفلكي للزاويتين محل الدراسة مع إعطاء نبذة تاريخية عن تأسيس كل زاوية، وفي المبحث الثاني تطرقنا لمختلف الأقسام العمرانية في النموذجين معتمدين على التحليل والمقارنة واستنباط الملاحظات والنتائج.

الفصل الثاني: خصصناه لدراسة العمارة الدينية والمدنية في الزاويتين تناولنا في المبحث الأول العمارة الدينية من مساجد وأضرحة ومقابر، وتناولنا في المبحث الثاني العمارة المدنية من خلال توزيع العناصر المعمارية ووسائل الدعم، ومن حيث

طبيعتها وأنواعها وأشكالها ووحداتها ومجالات توزيعها، معتمدين كذلك على التحليل والمقارنة في مختلف النماذج.

الباب الثالث: وقد انتقلنا فيه إلى الدراسة التقنية والفنية، وقسمناه هو الآخر إلى فصلين:

الفصل الأول: تناولنا في المبحث الأول منه، الدراسة التقنيـــة من خلال المواد المستخدمة في البناء وتقنيـــات استعمالها ومدى تماشيها مع الخبرات والإمكانيات المحلية المتاحة، ومدى تفاعل هذه المواد وهذه التقنيات مع البيئة الصحراوية وأثرها على دور الزوايا، كما تناولنا في المبحث الثاني، مواد الزخرفة المستعملة في الزوايا وعلاقتها بالموضوع الفني وتقنيات تنفيذها.

الفصل الثاني: ننتقل فيه إلى الدراسة الفنيـــة ونتنـــاول فيـــه المواضيع الزخرفية والتصويرية والأشكال الفنية، من حيث طبيعتها ومصادرها ومؤثراتها ودلالاتها الحضارية والدينية والسياسية والاجتماعية والرمزية.

في الأخير حوصلنا كل نتائج الدراسة في خاتمة، حاولنا من خلالها إبراز مميزات وخصائص عمارة الزاوية التجانية في شقيها العمراني والمعماري، ويجدر الذكر هنا أننا دعمنا بحثنا هذا بمجموعة من الخرائط والأشكال واللوحات التي تساعد على إيصال الفكرة وفهمها.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراســـة، ولا أدعّي الإحاطـــة والكمـــال فالكمـــال للهِ وحده، ولكن حسبي أنّي اجتهدتُ وسعيت، فإن أصبتُ فتلك بغيتي والحمد لله، وإن أخطأت فلِلّه العصمـــة والكمـــال، وما توفيقي إلا بالله العلي القديـــر عليه توكلت وإليه أنيب.

و الله ولي التوفيق.

الباب الأول

التصوف والزوايا

الفصل الأول

التصوف والطرق الصوفية

أولا: نشأة التصوف الإسلامي ومراحل تطوره

1. التصوف في المشرق الإسلامـــي
2. التصوف في المغرب الإسلامـــي

ثانيا: الطـــرق الصوفيـة

1. مفهوم الطريقة الصوفية
2. ظهـــورها وتطورها في العالم الإسلامي
3. نشأتها وتطورها في الجزائر
4. أسباب وعوامل تعدد الطرق الصوفيـــة
5. أهـــم الطـــرق في الجزائـــر

تكاد تجمع آراء العلماء والمؤرخين[1] على أن التصوف الإسلامي نشأ منذ القرن 2هـ/8م، فكان في بدايته مقصورا على حياة الزهد والتقشف القائمة على الاعتزال والتأمل في أغلب الأحيان، وهي حياة مستمدة من حياة رسول الله (ص) الذي كان يتعبد في غار حراء بعيدا عن الناس، وكذا الخلفاء الراشدون الذين كانوا يميلون إلى البساطة والزهد في الدنيا والعبادة، ثم تطورت هذه الفكرة لتصبح منهجا دينيا واتجاها نفسيا وعقليا، وظل كذلك حتى بداية القرن 6هـ/12م حيث ظهر نظام الطريقة عند هؤلاء المتصوفة، وسنحاول في هذا الفصل أن نقدم فكرة بسيطة عن تطور الحركة الصوفية عبر مختلف المراحل التاريخية في المشرق والمغرب الإسلاميين حتى أواخر القرن 12هـ/16م.

أولا: نشأة التصوف الإسلامي وتطوره :

1. التصوف في المشرق الإسلامي:

لقد كان الدين الإسلامي على عهد رسول الله (ص) والخلفاء الراشدين متبلورا في جيلهم وزمانهم، فلم تظهر صيغة التصوف وما يتصل به إلا بعدما انتشرت الفتوحات الإسلامية واتسعت رقعة ارض المسلمين، واختلط العرب بالعجم وعرّبت كتب فلاسفة اليونان وأدباء الفرس، فبلبلت أفكارها عقول المسلمين، وجنحت بهم إلى كثرة التشكيك[2] فظهرت البدع في مختلف المعتقدات غذتها المعتزلة والرافضة والخوارج[3] كلّ يدعي

---

1 . نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، ابن تيمية ، ابن الجوزي، القشيري ، ابن خلدون ، وغيرهم.

2 . محمد بن عبد الكريم ، التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران د ت، ص ص، 7،10

3 . عن هذه الفرق أنظر، قلهوزن يوليوس، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، من سلسلة دراسات إسلامية ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1968

الزهد في الدنيا، في حين اندفع الفقهاء إلى الاهتمام بعلوم الدنيا، كأحكام المعاملات والعبادات للفوز بمناصب الفتوى، فتطور فقه الظاهر وكثرت العناية به[1] .

إلا أن التصوف لم يشتهر إلا بعد القرن 3هـ/9م، وأن أول ما ظهر كان في البصرة وفي هذا الصدد يقول أحمد بن تيمية ‹‹ وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، لذا يقال فقه كوفي وعبادة بصرية*...››[2].

ويدعم هذا القول ما ذهب إليه ابن الجوزي، الذي أشار إلى أنّ نشأة التصوف كانت قبل سنة مائتين، حيث جاء في كتابه "تلبيس إبليس" ما قوله ‹‹ كانت النسبة في زمن رسول الله (ص) إلى الإيمان والإسلام، فيقال مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم عابد وزاهد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها ››[3] ثم ــ قال ــ ‹‹ وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين...››[4].

---

1. الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 6هـ،7هـ/12م،13م، رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي جامعة الجزائر ، 1999 ، 2000 ص 10

* . عن الفقه الكوفي والعبادة البصرية، أنظر، علي سامي النّشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط9، ج1، البابين الثالث والرابع، دار المعارف، القاهرة 1995 .

2 . أحمد بن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، المجلد 11، جمع وترتيب عبد الرحمان محمد بن قاسم، مكتبة المعارف د ت الرباط .

3 . عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تلبيس إبليس، ط1، ج3، دراسة وتحقيق أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن للنشر، الرياض، 2002، ص291

4 . نفسه، ص938

ويقول ابن خلدون كذلك في هذا الصدد ‹‹ فلمـــا فشا الإقبـــال على الدنـــيا في القـــرن 2هـــ/8م وما بعـــده، وجنـــح الناس إلى مخالطـــة الدنيـــا اختـــص المقبلـــون على العبـــادة باســـم الصوفيـــة والمتصوفـــة ››[1].

ومن المعلوم أن هذه المرحلة تعد الحد الفاصل بين فترة الزهد وبداية التصوف، أي مع نهاية القرن 2هـــ/8م، ومن أهم رواد هذه المرحلة نذكر الحسن البصري ، وأبي يزيد طيفور الفارسي، وكذا رابعة العدوية، التي أصبح التصوف على عهدها مذهبًا قائمًا على أسس ودعائم، ولعل ما ساعد على ذلك إغراء بغداد للعلماء والمفكرين في نهاية ذلك القرن، والنشاط الشديد الذي اتخذته المناقشة في مسائل العقيدة والشريعة في المشرق الإسلامي، فازدهر التصوف ونمت مبادئه[2].

وفي القرن 3هـــ/9م تنظم التصوف أكثر فأكثر[3] وأصبح ما يمارسه الصوفي يتسرب شيئا فشيئا إلى مواعظ العلماء الذين يميلون إلى التصوف، كما أصبح للمتصوفين والفقهاء مذاهبهم التي تختلف بعض الاختلاف من حيث الطرق والوسائل دون أن تختلف في الجوهر، وقد واجهت حركة التصوف معارضة من هؤلاء وأولئك، وأحيانا من السلطة المركزية، لكنها لم تتوقف عن النمو والانتشار[4]، ومن أشهر المتصوفين في هذه الفترة، نذكر السري السقطي، وأبا القاسم الجنيد، وكذا أبي الحسن النوري[5].

---

1 . عبد الرحمن بن خلـــدون، المقدمـــة، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م، ص863

2 . ألفريد بل، الفرق الإسلاميـــة في الشمال الإفريقـــي من الفتـــح العربـــي حتى اليـــوم، ط3، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م ص863 أنظر كذلك إحسان الهي (ظهير)، التصـــوف المنشـــأ والمصـــادر، ط1 إدارة ترجمان السنّة، باكستان 1406هـــ/1986م، ص45

3 . Alfred (bel), l Islam mystique jules carbonal imprimeur, éditeur Alger, 1928, p16

4 . ألفريد بل، مرجع سابق ص317

5 . محمد مصطفى حلمي، الحيـــاة الروحيـــة في الإســـلام، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص17

ومع نهاية القرن 3هـ/9م وبداية القرن 4هـ/10م، تحولت الحركة الصوفية إلى تيار فكري مع الحلاج، صاحب نظرية الحلول[1] الذي أعدم بسبب أفكاره و آراءه، فانتشرت الزندقة والفلسفة وكثرت الفتن والعصبيات القبلية، وكثرت معها الاضطهادات التي رفعت كبار المتصوفة إلى منزلة الشهداء، وزادت في قوة تأثيريهم.

ومع بداية القرن 5هـ/11م، تم التوفيق بين التصوف والسنة بفضل القشيري، الذي بعث برسالته في حدود 437هـ/1045م إلى الصوفية في بلاد الإسلام، وهي خلاصة لمبادئ التصوف بنيت على أساس الشريعة الإسلامية[2]، وكذلك السهرودي في كتابه "عوارف المعارف"[3]

وقد حدث التوافق بين الفقهاء والصوفية في عصر نظام الملك*، بفضل أبي حامد الغزالي الذي استطاع أن يُخرج التصوف من هامشه الاجتماعي الضيق، ومن قفص الاتهام إلى فضاء أوسع، بعد أن نجح في إيراد النظريات التوفيقية بين بعض العقائد الصوفية، التي تعتبر زعماء الطرق وسطاء الله عز وجل، وبين الفقهاء وعلماء التوحيد الذين يرون أن الدين هو طاعة الله الواحد دون واسطة، فتمكن بذلك من تنقية التصوف من كل الشوائب التي أُلصقت به، بل وأسقط جدار الاضطهاد الذي عرفه التصوف قبل

---

1 . ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل) ، عمل نشر في: international congress on learning and éducation in thé ottoman, world Istanbul, 12 /15 April 1999, p29

2 . أنظر أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ط1، در الكتب العلمية، بيروت، 1998م

3 . أنظر أبو حفص عمر السهروردي، عوارف المعارف، تحقيق محمود غيث، نشر مكتبة القاهرة، 1398هـ

* . هو الوزير قَوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس المعروف بنظام المُلك الطوسي، ولد في نواحي طوس في بلدة نوقان سنة 408 هـ، حفظ القرآن ودرس الحديث والفقه على المذهب الشافعي، كما تنقل في طلب العلم بين اصفهان، بغداد ونيسبور، ثم رحل إلى غزنة وعمل في الديوان السلطاني السلجوقي زمن السلطان ألب أرسلان، ثم دخل في خدمة الوزير أبي علي بن شاذان بإخلاص وفاعلية، وبعد وفاة هذا الأخير عينه السلطان ألب أرسلان وزيرًا، ولما توفي السلطان نجح نظام الملك في التغلب على خصوم ملكشاه وتثبيته في السلطنة، وبقي الوزير في منصبه عشرين سنة أمضاها في إدارة شؤون الدولة، وبناء المدارس ونشر العلم وخدمة أهله.

القرن 5هـ/11م، ولهذا اشتهر أبو حامد الغزالي بأنه مجدد علوم الدين من خلال كتابه "إحياء علوم الدين"، الذي هاجم فيه المتكلمين والمعتزلة، وبين أن العبادة بالقلب وليس بالجسد فقط[1]، كما حارب الفلاسفة المنحرفين عن الدين من خلال كتابه "تهافت الفلاسفة" فكان لهذه الشخصية تأثيرًا كبيرًا على من جاء بعده، ويعد حجة الإسلام الإمام الغزالي أول من أرسى قواعد التصوف[2].

هذا وقد شهد القرن 5هـ/11م ظهور عدة طرق صوفية لا تزال فروعها تمتد إلى يومنا هذا، في كل بقاع العالم الإسلامي نذكر منها على سبيل المثال الطريقة القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني، وكان شعارها "الفقيه من عمل بفقه" والطريقة الرفاعية التي انتشرت في مصر وشمال إفريقيا، وكان شعارها "الفناء في محبة الله"، والطريقة الأحمدية نسبة إلى أحمد البدوي وشعارها "التصوف جهاد وعبادة" والطريقة البرهامية نسبة إلى إبراهيم الدسوقي، الملقب بعالم الأولياء، والطريقة الشاذلية، نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي وتعرف طريقته "بالمنهج الوسيط والصراط المستقيم"[3]، ومن هنا نستنتج أن التصوف مر بمراحل عدة أولها كان زهدا وعبادة ثم صار حركات خالية من الروح والعبادة إلى أن وصل عند البعض إلى درجة المروق.

ويتفق الكثير ممن تناول دراسة موضوع التصوف، مع رأي ابن الجوزي حين قال ‹‹...ولما أظهره (التصوف) أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته برده عن الأخلاق الرذيلة، وجعله من الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة، التي تكسب المدائح

---

1 . ألفريد بل، المرجع السابق، ص376، وكذلك Alfred (Bel) , L Islam mystique, Op. Cit, p13

2 . أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن ودوره ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت، لبنان، 1983م، ص33

راجع كذلك، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م، ص ص 248 ، 252.

3 . إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ص368

في الدنيا والثواب في الآخرة.... وعلى هذا كان أوائل القوم ثم لبس إبليس على من تابعين، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن التالي، فزاد تّلبسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن ››[1]

2. نشأة التصوف في المغرب الإسلامي:

على الرغم من ظهور التصوف في القرن 2هـ/8م، وانتشاره في المشرق الإسلامي، إلا أن المجتمع المغربي كان بمعزل عنه ولم يعرفه أهله كما عرفه إخوانهم المشارقة حتى أوائل القرن 5هـ/11م أو قبله بقليل، ففي عهد المرابطين نشأ التصوف مبنيا على الزهد والتقشف والنسُك وحمل النفس على المجاهدة في الطاعة، والوقوف مع ظاهرة الشرع دون التغلغل في علوم المكاشفات والحقائق[2]، ورغم ازدهار علوم الفروع وتحريم كتب الإمام الغزالي في المغرب والأندلس، خاصة كتاب "إحياء علوم الدين"، إلا أن التصوف مد جذوره أكثر فأكثر وأخذ مكانته بين علوم التدريس الديني ووجد كبار ممثليه وشيوخه حتى القرن 6هـ/12م[3]، وربما سيرة يوسف بن تاشفين خير دليل على ذلك، فقد كان مثل أبيه ملتزما بالعبادة قائما بالزهد والاستخارة والتقشف، فازدهر علم الفروع دون الأصول باستشارة علي بن يوسف للفقهاء وإكرامهم[4]، ما أدى إلى انتشار شريحة الصوفية، فكان على رأسهم ابن العريف صاحب كتاب "محاسن المجالس"، ومن بعده تلميذه محي الدين بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن سبعين.

---

1 .ابن محمد علي الدخيل الله، التجانية (دراسة الأمم، عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنّة) ، دار طيبة الرياض، السعودية، 1401هـ ص20

2 .مختارالطاهر فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1976م، ص17

3 . محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين ، مج1، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002 /2003م ص254 وما بعدها

4 . ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مج11 ، دار صادر، بيروت، لبنان، 1979م، ص417

أما في عهد الدولة الموحدية، فقد كان ابن تومرت ينتحل مذهب الأشعرية في تأويل المتشابه وينكر على الفقهاء جمودهم على المذهب السلفي[1]، وفي عهد أبا يوسف يعقوب بن عبد المؤمن أمر بإحراق كتب المذهب المالكي، وأمر بترك الاشتغال بعلم الرأي وقصد محو مذهب مالك وحمل الناس على الظاهر، مما أدى إلى انتشار التصوف الفلسفي وطغيانه على علم الفروع[2].

وبعد معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، انحصر نفوذ الدولة في المدن ما أدى إلى قلة الأمن بالبوادي، وبات المغرب يستنفر الأخطار بعد هذه الهزيمة فظهر نشاط صوفي مغربي بعيدا عن الفكر التواكلي الإشراقي الذي علق به، وعمل على دفع الخطر الخارجي وتعبئة الأوساط الشعبية أخلاقيا لمواجهة الموقف في الحواضر والبوادي خاصة، واتجه أعلام التصوف المغربي إلى تعميق قيمة الجهاد، وإعلاء فضيلة الرباط على الثغور والسواحل[3].

انتشرت دعوة الصوفية إلى القناعة والتقشف في الأوساط الشعبية الأمية أكثر منذ أواسط الدولة الموحدية بتأثير أبي مدين شعيب[4]، ولم تعد مقتصرة على الزهاد والمتصوفين، بل تغلغلت في الأوساط الشعبية، وانتشرت الألقاب مثل: الولي، الغوث القطب ، وبدأ الناس ينخرطون في الزوايا، ويؤمنون بالأولياء، الذين أصبحوا يمثلون القوة الروحية[5].

---

1. عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، مج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص267

2 . عمر النجار عبد المجيد، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1992م ص39

3 . عبد المجيد الصغير، تجليات الفكر المغربي (تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء،2000م ص171

4 . الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص68

5.إبراهيم مياسي، مساهمة القادرية في تأطير الثورات الشعبية، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد الرابع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر، 2003 ـ2004م، ص93 .

بعد سقوط دولة الموحدين وقيام الدويلات الثلاث، عرفت الحركة الصوفية انتشارًا كبيرًا في صدر الدولة المرينية، وبمساعدة الأمراء الزيانيين، وكذا الحفصيين الذين استولوا على السلطة بالعصبية وحد السيف، متطلعين لكسب نوع من المشروعية بانتهاجهم السياسة الودية، وفي نفس الوقت حاولوا التحكم في الحركة وضبط اتجاهها بإنشاء تعاليم السنّة لردع كل نزوات التطرف سواء في العقيدة أو في التعبد[1]، أي إدخال المذاهب الصوفية في إطار الإسلام الرسمي – السني وغير السني– كما وجدو فيه من تقوية للجانب التعليمي والاجتماعي، كتحفيظ القرآن وعلوم الدين، وإعانة المحتاجين وهي مهام أثقلت عاتق الحكومات، فلقي هذا التشجيع بروز طرق صوفية كالقادرية والشاذلية، بمعنى أن التصوف قبل القرن 10هـ/16م بقي منحصرًا في النخبة واحتوته المدن الكبرى حيث نجد الحركة العلمية مزدهرة في فاس، تلمسان، مراكش، بجاية وتونس، وغيرها[2]، من جانب آخر تميزت الحركة الصوفية طيلة القرون 7 و 8 و 9 هـ/13 و 14 و 15م بالتسامح والتعايش السلمي، فلم يحتدم الصراع بين المتصوفة والسلفية إلى الدرجة التي بلغها في المشرق، ولربما يرجع ذلك التعايش إلى كون النخبة المتصوفة كانت تجمع بين علوم الظاهر والباطن، والابتعاد عن ما يخالف ظاهر الشريعة من منظور الفقهاء، كما تأثرت بالمنهج الذي اختطه أبو حامد الغزالي، وفهموا أن الحياة الروحية والعقلية كلٌ لا يتجزأ وأن علوم الباطن متممة لعلوم الظاهر وأن الحقيقة لا تتنافى مع الشريعة، ومن أهم رواد التصوف في هذه الفترة نذكر، أبي مدين شعيب وعبد الرحمان الثعالبي وإبراهيم التازي ومحمد بن يوسف السنوسي وأبو الحسن الشاذلي[3].

---

1 . عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، (من الغزو الأيبيري إلى التحرير) ،ج3 ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص39

2. Alfred (Bel), la religion musulmane en berberie esquise d histoire et de sociologie tome1, établissement et développement et l Islam en berberie du 7eme an 20eme siècle librairie orientaliste poul geuthner, Paris ,1938 p297

3. ابن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، (الحكم العثماني ــ الأمير عبد القادر ــ الإدارة الاستعمارية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997ــ1998م، ص30

إلا أنه مع بداية القرن 10هـ/16م بدأت الحياة الروحية في المغرب يسودها الوهن والاضطراب نتيجة عوامل داخلية وخارجية، تمثلت خصوصا في ضعف الدويلات الثلاث، وتكالب الدول الاستعمارية على ثغورها، وتوالي الهزائم في الأندلس كان آخرها سقوط غرناطة عام 898هـ/1492م كآخر معقل للمسلمين وما لحق بهم من تنكيل، بل وبات المغرب هو الآخر مهددًا من قبل اسبانيا والبرتغال بعد أن أُحتلت شواطئه، وفي ظل هذه الأجواء أخذت ظاهرة التصوف تزحف نحو الداخل في شكل نزوح من المدينة إلى الريف، بعد أن تعفنت الأحوال السياسية في المدن وكثر الظلم والفساد[1]، وأصبحت السلطة المركزية غير قادرة على ضمان الأمن، مما أدى إلى انتشار الطرق الصوفية في البوادي والأرياف، بحيث أصبحت مفتوحة للجميع فانضم إليها الأميون والجُهّال والمجذوبون طمعا في البركة، فتدهورت العلوم الإسلامية في الجامعات ونزل رؤساء الطرق لمستوى العامة، الأمر الذي أدى إلى فراغ الجامعات واكتظاظ الزوايا، وأقصى ما كان يهُم المريد هو حفظ القرآن ومعرفة الحلال والحرام، وشرح بعض الأحاديث، والأهم هو معرفة قوانين الطريقة من ذكر وحزب والقيام جماعيا بالمدح وحتى الرقص الذي يؤدي أحيانا إلى النشوة الصوفية[2].

وفي أواخر العهد العثماني وبداية عهد الاحتلال، أصبح التصوف مجالاً مفتوحًا أمام عامة الناس ولقي التشجيع والاهتمام أكثر فأكثر، فانتشرت بذلك الأضرحة وكثر الاعتقاد في الأولياء دون التمييز بين الداعية الحقيقي والمزيف، فصار لكل طريقة مرابطيها الذين ابتعدوا شيئا فشيئا عن العلم والعمل به، واقتربوا في أغلبهم من التدجيل والخرافة، ولم يكن لديهم فلسفة في التوحيد، ولا عقيدة واضحة في الدين وكل ما كان يفعلونه هو بناء الزوايا وادعاء الكرامات وإعطاء العهود والأوراد وتلقين الأذكار وجمع المال والهدايا من الفقراء واستغلال العامة عقليا وماليا، والقليل القليل منهم من سلك طريق الزهد والتصوف

---

1 . الجيلالي صاري، الدور التاريخي للطرقية ببلاد المغرب الإسلامي، من ملتقى الفكر الإسلامي الـ 21 معسكر الجزائر أوت 1987م.

2. Alfred (Bel), L Islam mystique, Op.cit, p37

لله[1]، وعاش لدينه وعلمه، وهو ما ذهب إليه احمد زروق في وصفه لصوفية زمانه 9هـ/15م، أنهم اتخذوا علم الحقائق سلما لاستهواء قلوب العامة وأخذ أموال الناس واحتقار المساكين[2].

وإذا تكلمنا عن جوهر الطرق الصوفية في هذه الفترة، نجد أنها نسخة مكررة عن بعضها، ولا تكاد تختلف عن بعضها سوى في الزمن والبيئة أو في الاعتزال والمبالغة ولا نكاد نجد طريقة أصيلة نابعة من ظروف سياسية أو دينية أو ثقافية استوجب ظهورها محليا، اللهم الطريقة التجانية التي ظهرت في أواخر القرن 12هـ/18م بمدينة عين ماضي، وأسسها الشيخ أحمد التجاني الجزائري، فقد كانت جميع الطرق مستوردة الأفكار من أجزاء العالم الإسلامي الأخرى، إما من المغرب الأقصى (كالدرقاوية الطيبية ، الزيانية) أو من المشرق (كالقادرية ، الخلوتية، النقشبندية) يضاف إلى ذلك الشابية التي انتشرت من تونس، ومع ذلك فان الطرق الصوفية لعبت دورًا هامًا وبارزًا في الحياة الثقافية والسياسية والأدبية، ذلك أن الكثير من المؤلفات الصوفية، والأشعار والمناقب في التصوف والفلسفة والسير، قد ظهرت خلال هذا العهد[3] وكانت معظم الزوايا مراكز للتعليم ومخازن للكتب .

وعموما يمكن القول أن التصوف الذي كان في البداية فرديًا ويعني الزهد والاعتكاف في العبادة، ثم ما لبث أن تطور ليصبح اتجاهًا معيناً في السلوك، وقوةً يمنحها الله لعباده المصطفين، تجسدت في البركة التي يتنازعها المرابطين والشرفاء فتُرك الاجتهاد وانتشر التقليـــد، الأمر الذي أدى إلى انفلات الحركة وانقلابها إلى دروشة، حتى قِيل عنها كانَ

---

1 . أبو القاسم سعد الله، تاريـــخ الجزائـــر الثقافـــي (ق10هـــ14هـــ/16م 20م)، ط1، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص532.

2 . ابن حزم ، الملـــل والنحـــل، ج1، تحقيق إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د ت) ص235

3 . لمعلومات أكثر حول هذه المؤلفـــات أنظـــر، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابـــق، الجزء الأول

التصوف حـــالاً فصـــار مالاً، وكان احتســـابًا فصـــار اكتســـابًا، وكان تعفـــفًا فأمســـى تكلـــفًا، وكان تخلـــقًا فصـــار تملـــقًا "[1].

وإذا بحثنا في الطرق الصوفية التي ظهرت وانتشرت منذ القرن 8هـ/14م في أنحاء العالم الإسلامي من حيث تنظيمها، والأدوار المختلفة التي كانت تقوم بها، وأهمية تلك الأدوار، والمكانة التي كانت تتمتع بها نجد أن تنظيمها كان يتشابه في كثير من الأدوار التنظيمية و تختلف في أخرى، لهذا فالحديث عن الطرق الصوفية معقد و متشعب و يتفرع إلى مواضيع كثيرة يصعب حصرها و الإلمام بها، لأنه حديث عن فكر و حضارة وعن ركود و انحطاط في آن واحد، وسنحاول ذكر أهم الطرق الصوفية التي انتشرت في المشرق والمغرب الإسلاميين.

ثانيا: الطـــرق الصوفيـــة

1. مفهـــوم الطريقـــة الصوفيـــة:

عُرّفت الطريقة الصوفية بتعاريف مختلفة تبعًا لمكوناتها، أي العناصر المكونة لها وتبعًا لوسائلها التربوية والروحية وللأهداف التي تبتغي الوصول إليها وتحقيقها، وتبعًا كذلك لما تملكه من سلطات ونفوذ بين الناس، ومن هذه التعاريف:

ــ أنها أسلوب عملي لرعاية سلوك المريد وتوجيهه عن طريق اقتفاء أثر طريقة معينة في التفكير والشعور والذكر والتعلم والعمل، تؤدى من خلال تعاقب مراحل المقامات وتصاعدها في ارتباط متكامل مع التجارب السيكولوجية أو النفسية المسماة أحوال، وقد كانت الطريقة تعني أولاً ببساطة، ذلك المنهج التدريجي للتصوف التأملي وتحرير الروح

---

1 . أحمد بن الشين، الطريقـــة التجانيـــة بين الماضـــي والحاضـــر، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2001/2000م ص19

والذكر المتواصل بالتجمع حول شيخ معترف به طلبًا للتدريب خلال الاتصال أو الصحبة[1].

ــ أنها سلطة مادية قوية بما تملك من أتباع وأموال مختلفة وسلطة روحية معنوية على الناس من خلال مشايخها[2].

ــ أنها اعتراف المريد بالولاء التام والإيمان الكامل والانقياد المطلق لشيخ الطريقة، الذي يعد من الأولياء الصالحين في نظر المؤمنين به، والذي يستمد نفوذه على أتباعه من القدرة الخارقة للطبيعة (أي الخوارق والكرامات)، والإتيان بما يعجز عنه البشر عادة، والاستمداد من العلم اللدُّنـــي*.

إذا فالطريقة نظريًـــا: هي السلوك القاصد إلى الله و حبه، و طريق التصوف هو طريق أولياء الله و أهل حبه، وهو السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى[3].

وأما عمليًـــا: فالطريق هو ما يضعه شيخ من مشايخ الصوفية لمجموعة من المريدين، من أوضاع و أذكار وأوراد يلزمونها، و يختصون بها دون غيرهم[4]، أو بصيغة أخرى هي، منهاج اختص به المتصوفة بغية تطهير القلوب من كل المؤثرات التي تشغلها عن محبة الله، وهذا المنهاج أساسه الالتزام والمجاهدة والانتساب إلى شيخ مربي (مرشد

---

1. سبنسر ترمنجهام، الفـــرق الصوفيـــة في الإســـلام ، ترجمة ودراسة وتعليق عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997 ص26.

2. محمد الأمين بلغيث ، السلطـــة في الجزائـــر وتونـــس في القرن 17م من خلال تاريـــخ العدوانـــي، الندوة الفكرية الخامسة للشيخ محمد العدواني، الوادي، 01، 02، 03 نوفمبر 2000م، ص 6.

*. العلم اللدني هو: العلـــم الذي يحصل بالرياضة والمجاهـــدة بحيث تُدرِك النفس المعـــارف الربانيـــة بغير واسطة من العالـــم العلوي لا من خارج بطريق الحـــواس، وتنطبع بالفضائـــل من محبة الحق ومعرفتـــه والشوق إلى جمال حضرته فيصير لها ذلك خلقًا وعـــادة انظر ابن الدباغ بن محمد الأنصـــاري، كتاب مشـــارق أنوار القلوب ومفاتح أســـرار الغيـــوب، تحقيق هـــ. ريـــتر، دار صادر، بيروت، 1959م، ص 6

3. عبد الوهاب الشعراني، الأنـــوار القدسيـــة في بيان قواعـــد الصوفيـــة، تحقيق لجنة التراث في الدار، ط1، دار صادر، بيروت، 1999 ص 37.

4 . محمد مكحلي، "الطرقيـــة في الجزائـــر خلال العهـــد العثمانـــي(1707-1827 م)" ، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 114، جانفي ، 2004، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، زغوان، ص 93.

روحي)[1] يدعو لنفسه بلوغ مرتبة من مراتب الصوفية كالقطب، والغوث، والوتد، والبدل...الخ، فتحصل له الكرامات والمكاشفات لما أوتي من علم الأسرار، يقول أنه تلقاه من الغيب[2]، فيعتقد الناس فيه ويأخذون عنه[3].

وقد عرفها الجرجاني قائلا « الطريق عبارة عن مراسم الحق تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها »[4].

كما عرفها ابن خلدون في كتابه "شفاء السائل"بقوله «...هي العلم بكيفية تطهير القلب من الخبائث والكدرات، بالكف عن الشهوات وإخماد القوى البشرية بقطع جميع العلائق البدنية، والإقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم في جميع أحوالهم، فبقدر ما تتجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق، تتلألأ فيه حقائقه وهذه هي الرياضة والمجاهدات....»[5*]

---

1 . Benjamin (Stora) et Ellyas (Akram) , Les 100 portes du Maghreb(l'Algérie-le Maroc-la Tunisie), trois voies singuliére pour allier Islam et modernitée, les éditions Ouvriéres, Paris,1999, p122

2 . عبد الستار الراوي، التصوف، (مقدمة أولى في الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة) ط1،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1994، ص40.

3. Louis Massignon, "Tarika", in encyclopédie de l'Islam, T4, (S-Z), layd librirair et imprimerie, librairie C.Klinckssick, Paris, 1934, P 700_705

4 . علي بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405.

*. اختلف الباحثون في نسبة كتاب شفاء السائل وتهذيب المسائل لابن خلدون لأسباب عديدة، من جملتها أن صاحبه أغفل ذكره في مصنفه الذي وضعه باسم (التعريف بابن خلدون شرقًا وغربًا)، وهو سيرة ذاتية كتبها ابن خلدون عن حياته وأعماله، ثم أن المؤلف لم ينص عليه كذلك في كتبه الأخرى التي تناولت سيرته، ثم أن الذين ترجموا له من معاصريه، كابن الخطيب وغيره لم يذكروا أنه ألف كتابًا منفردا في التصوف، لكن بعضًا من كبار علماء التصوف أشاروا إليه في كتبهم، نذكر منهم الشيخ أحمد زروق (ت . 899هـ /1493م) في كتابه "عدّة المريد" أشار إليه ونسبه لابن خلدون والششتري في "القصيدة النونية" وفي "النصيحة الكافية" ثم ذكره أيضًا الشيخ أبو عبد القادر الفاسي (ت . 1091هـ/ 1679م) ومن بعده أبو عبد الله المناوي (ت . 1136هـ/ 1723م) في كتابه "جهد المقل القاصر" وغيرهم لمعلومات أكثر أنظر، عبد الرحمن بن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1996، ص10، 11

5 . نفس المرجع، ص 209

كما وصفها أحد مشايخ الصوفية بقوله « إنها تعني اتصال المريد بالشيخ وارتباطه به حيا أو ميتا، وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد بإذن من الشيخ أول النهار وآخره، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ، وهذا العقد يعرف بالعهد، وصورته أن يتعهد الشيخ بان يخلص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة متى ناداه مستعينا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة، ويتعهد المريد بان يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة، كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق».

ونلاحظ في هذه التعاريف أن الطريقة الصوفية تتكون من الشيخ العالم أو المربي أو المعلم ذي السلطة الروحية التي اكتسبها بسبب اجتهاده وتعليمه أو لعلو مكانته الاجتماعية بين عشيرته وبين الناس، كما تتكون من المريد الذي يعد تلميذاً وسالكًا في الطريق بهدى شيخه، والوسائل التعليمية التربوية والطقوس التعبدية والتعاليم التي يلزم المريد التشبث بها إيمانًا أو قولاً أو عملاً.

كما نلاحظ أن للطريقة الصوفية سلطة حاكمة تأمر وتنهى، تتسع صلاحيات هذه السلطة وتقوى بحسب الظروف الاجتماعية والسياسية، كما تقوى بحسب ما تملك من مؤيدين وأتباع وأموال، وبحسب قوة شخصية الشيخ أو المؤسس وأعماله وآثاره، ونلاحظ في التعريف الثالث أنه يحكي واقع الحال لما وصل إليه التصوف خلال العهدين العثماني والاستعماري، من تصور وجوب وقوع الكرامات وخوارق العادات على أيدي زعماء التصوف ليكونوا أهلاً للمشيخة.

وهناك تنافس محموم بين الطرق الصوفية لجذب المريدين، ولذلك فان كل طريقة تحاول أن يكون لها ذكر خاص تنفرد به عن سائر الطرق، وأن يكون لهذا الذكر ميزة خاصة، ولكل طريقة مشاعر خاصة من حيث لون العلم والخرقة*، وطريقة الذكر ونظام

★ . للطرق الصوفية شارات وبيارق وألوان يتميزون بها، فالطريقة الرفاعية تتميز باللون الأسود، وتتميز الطريقة القادرية باللون الأخضر، وتتميز الأحمدية باللون الأحمر، أما الطريقة البرهانية فإنها لا تتميز بلون واحد كسائر الطرق بل تتميز بثلاث ألوان، الأبيض الذي تميّز به

الخلوة، والطرق يتوارثها الأبناء من الآباء، ذلك أن الطريقة التي تستطيع جلب عدد كبير من المريدين والتابعين، تصبح بعد مدة إقطاعية دينية تفد الوفود إلى رئيسها أو شيخها من كل ناحية، وتأتيه الصدقات والهبات والبركات من كل حدب وصوب، وحيثما حل الشيخ في مكان ذبحت الطيور والخرفان وأقيمت الموائد، ولذلك فإن أصحاب الطرق الصوفية اليوم يقاتلون عنها بالسيوف.

إن الفرق الموجود بين الطرق الصوفية الأصلية و الفرعية عمومًا، هو في كيفية تطبيق العبادة و الصلوات الخاصة، و كذا ميل المؤسس لمزايا ما، فمثلا القادرية تميل للتصدق، والخلواتية تميل للانعزال، في حين العيساوية تتبنى اللاشعور الفيزيائي، أما البكداشية فتميل للتواضع، والدرقاوية للفقر والابتعاد عن ذوي السلطان، والطيبية ميّالة لتقدير أحفاد الرسول (ص) و الإخلاص لهم، أما التجانية فتميل للتسامح[1].

أما ما تجتمع عليه الطرق فهو:

ــ أنّ الطريقة عادة لا يسميها مؤسسها باسمه، و إنما يفعل ذلك أتباعه بعد وفاته إذا اعتقدوا القطبية فيه، فإنهم غالبا يسجلون اسمه في السلسلة بعد اسم القطب الذي أدخله فيها[2]، وهذه السلسلة يكون على رأسها اسم النبي (ص)، مع أنه لم يعرف أي طريقة[3].

وقد ذكر ما يورده ابن مريم في كتابه البستان عن أبي شعيب قوله « كرمات أولياء نتائج معجزات سيدنا محمد (ص) وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزي بسنده عن الجنيد عن السري القسطي عن العجمي عن الحسن

السيد إبراهيم الدسوقي، والأصفر الذي تميز به الإمام أبو الحسن الشاذلي والأخضر كناية عن شرف الانتساب لأهل بيت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

1 . Rinn , op cit, P 72

2 لمعلومات أكثر أنظر، الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الفكر الإسلامي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.

3. محمد حاج صادق، مليانة و وليّها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت) ص 96

البصـــري عن علي رضـــي الله عنـــه عن النبـــي (ص) عن جبريـــل عليه السلام عن رب العالميـــن عز وجل»[1]

ــ الاحتفال بدخول المريد في الطريقة بطقوس دقيقة مرسومة، وقد يُطلب في بعض الطرق من المريد أن يمضي وقتا شاقا في الاستعداد للدخول.

ــ التقيد بزي خاص، فلابد أن يكون هناك نوع خاص من الزي يمثل رمز أصحاب الطريقة الذي يلبسونه فيميزهم عن غيرهم.

ــ اجتياز المريد مرحلة شاقة من الخلوة والصلاة والصيام وغير ذلك من الرياضات.

ــ الإكثار من الذكر مع الاستعانة بالمدائح والحركات البدنية المختلفة التي تساعد على الوجد والجذب.

ــ الاعتقاد في القوى السرية الخارقة للعادة التي يكتسبها المريدون بالمجاهدات، وهي القوى التي تمكنهم من أكل الجمر والتأثير على الثعابين والإخبار بالمغيبات.

ــ احترام شيخ الطريقة إلى درجة التقديس.

2. نشأتها وتطـــورها في العالم الإسلامي:

وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهمي الصوفي الإيراني (ت 430هـــ/1038م) أول هيكل تنظيمي للطرق الصوفية، حيث أقام في بلدته نظاما للدراويش وبنى خاناً* بجوار منزله للصوفية، وجعله متسلسلا عن طريق الوراثة، وهو أول من كتب في طريقة التربية الصوفية[2].

---

1 . ابن مريم التلمساني، البستـــان في ذكـــر الأولياء و العلمـــاء بتلمســـان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص60.

*. الخان أو الوكالة كانت تخصص لإقامة المسافرين وقوافل التجار، عبارة عن مبنى له مدخل ضخم، وصحن تربط فيه الدواب، وحواصل مفتوحة على الصحن لوضع البضائع والسلع، أما الأدوار العلوية فهي مخصصة للسكن، كما يحتوي علة دكاكين مفتوحة على الشارع، أنظر، عاصم محمد رزق: معجـــم مصطلحات العمـــارة والفنـــون الإسلاميـــة ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، 6 ميدان طلعة حرب القاهرة، مصر، 2000م

2. عبد الرحمن عبد الخالق، الفكـــر الصوفي في ضوء الكتـــاب والسنة، ط3، مطبعة الفيصل، الكويت، 1406هـــ، 1986م، ص539

ويمثل القرن 6هـ/12م البداية الفعلية للطرق الصوفية، وانتشارها حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت **الطريقة القادرية** المنسوبة لعبد القادر الجيلاني(ت 561هـ/ 1166م)، كما ظهرت **الطريقة الرفاعية** المنسوبة لأبي العباس الرفاعي (ت 540هـ/1147م)، وفي القرن 7هـ/13م دخل التصوف الأندلس وأصبح ابن عربي أحد رؤوس الصوفية 638هـ/1239م، واستمرت الصوفية بعد ذلك في القرون التالية إذ انتشرت الفوضى واختلط الأمر على الصوفية لاختلاط أفكار المدارس الصوفية وبدأت مرحلة الدراويش أو الإخوان .

ويميز المؤرخون ظهور نظام الطريقة في بداية القرن 6هـ/12م بثلاث خصائص رئيسية وهي:

1 . الشيخ المؤسس الذي يرجع إليه أتباعه كلهم باعتباره رئيسًا للجماعة ومنظما للرابطة.

2. الطريقة التي سنّها أو المذهب بما فيه من شعائر وطقوس وأوراد.

3.نوع العلاقات التي تربط بين أفراد الجماعة، وهي علاقات تتوثق أحيانًا وتضعف أخرى[1].

وتركيب هذه الخصائص الثلاثة هو الذي يعطي لكل رباط أو مشيخة أصالتها ووحدتها وقوتها، ويمد كل عضو فيها بنوع من الإحساس حتى يطمئن إلى كونه منتميًّا إلى هذا التنظيم القار المكين.

وكانت هذه الخصائص مطلوبة وعلى الخصوص في مناطق وفترات عمّتها الغزوات ومزقتها الحروب، وفككتها خلافات الأسر المتنافسة على وراثة الحكم، وقطعت أواصر العلاقات بينها الانقسامات الدينية اللاهوتية، وفرقت بينها الصراعات الثقافية والحضارية،

---

1. جان شوفليي، التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، بيروت، 1999م، ص 71.

كل ذلك ولّد مناخاً باعثًا على القلق، فكان الانتماء إلى جماعة بنت علاقتها على الانسجام الروحي هو الذي يُطمع معه أن يخفف من وطأة هذا المناخ الكئيب[1].

وترجع تسمية هذه الطرق إلى أسماء أقطابها ومشايخها البارزين المشهورين، فتخلّدت أسماؤهم بنسبتها إليهم، وربما رجعت تسمية الطرق إلى أقطابها باعتبار اجتهادهم فيها وخدمتهم لها، فأطلق هذه التسميات مريدوهم وتلاميذهم وأتباعهم ومحبوهم، إذن فإضافة الطرق إلى أسماء هؤلاء الأقطاب لم تكن بأمرهم وإنما حدثت من غيرهم، لأن كل واحد من المشايخ كانت له آثار واضحة في نشاطه واجتهاده في ترتيب أذكار وتوظيف أوراد وإضافة بعض الآداب والأخلاق[2]

ومع ذلك فلا تقتصر معظم الطرق على مشايخها الذين تسمت بهم، فهناك شخصيات كثيرة تنتحلها وتنتسب إليها كأبي القاسم الجنيد ابن محمد*، وأبي يزيد البسطامي♦ الذي وجد في سلاسل فرق كثيرة مثل النقشبندية، للإشارة فإن المتصوفة عمومًا اهتموا بتتبع سلاسل مشايخ التصوف وعلمائه، وخاصة بعد أن ضعف التصوف واحتاج الأمر إلى سند يجلب احترام المريدين وإعجاب الناس، وهذه السلاسل الكثيرة التي أوردها المتصوفة

---

1. جان شوفليي، المرجع السابق، ص71.

2. عبد القادر الشطي، حقيقة السلفية الوفية لمذهب أهل الحق الصوفية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2002م، ص 333.

*. أبو القاسم الجنيد بن محمد ولد ونشأ بالعراق، كان رئيسًا من رؤساء المتصوفة وورعًا زاهدًا، مات سنة 297هـ. أنظر: أبو القاسم القشيري، مرجع سابق، ص 50 وانظر كذلك، وابن النديم، الفهرست، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ص 229.

♦. هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي نسبة إلى بسطام بلدة بخراسان، كان صوفيا زاهدًا عابدًا، توفي سنة 261هـ/875م، أنظر: أبو عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، ط2، تحقيق، أحمد الشرباصي، منشورات كتاب الشعب، القاهرة 1419هـ/1998، ص25 وكذلك: أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط2، تحقيق محمود النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ، 1980، ص 41

تنتظم في سندها المتصوفين المعروفين من أول التصوف إلى وقت تنظير الطرق الصوفية[1].

وإذا كان بعض هذه الطرق قد أُسست قبل الغزو المغولي (656هـ/1258م) فإنها تعددت وتشعبت منذ القرن الرابع عشر الميلادي في أنحاء العالم الإسلامي، وكان أول من نادى بها وأسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد[2].

3. ظهورها وعوامل تطورها بالجزائر

يرجع المؤرخون بداية ظهور الطرق الصوفية بالجزائر إلى القرن 10هـ/16م، ثم أخذت تنمو وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن 12هـ/ 18م والربع الأول من القرن 13هـ/ 19م خاصة الطريقة القادرية، وهي أوسع الطرق انتشارًا، و في الرحمانية والشاذلية و التجانية[3].

ويعود انتشار الطرق الصوفية بالجزائر في هذه الفترة إلى عوامل أهمها:

ـ أن الشعب بدأ ينبذ سلطة المرابطين الذين لم يعودوا يعبرون عن شعور القبيلة ومصلحتها، بالإضافة لانغماسهم في الترف.

ـ اضطهاد بعض الحكام العثمانيين للشعب وإرهاقه بالضرائب، مما جعله يبحث عن قوة جديدة تحميه ويلتف حولها، فوجد ذلك في الطرق الصوفية التي لم يقتصر نشاطها على نطاق القبيلة الواحدة بل اتسع ليشمل عشرات القبائل والعشائر، فالطرق الصوفية التي نشأت في العهد العثماني كانت بمثابة حركات مناهضة للسلطة، حين لمست منها الظلم والاضطهاد والجشع، وكذلك الحال في العهد الاستعماري إذ قويت هذه الطرق وأسفرت عن وجهها كواجهة للدفاع عن الدين والوطن.

---

1. مختار الطاهر فيلالي، مرجع السابق، ص33 وهناك عدة مؤلفات اهتمت بسلاسل مشايخ التصوف وعلمائه، نذكر منها، الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري وصفة الصفوة لابن الجوزي وغيرها.

2. مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص34.

3. عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، (بني حفص و بني زيان و بني مرين)، ج6، دراسة في التاريخ الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ص 94.

ــ غالبًا ما كان مؤسسو الطرق من الأشراف أو ادعوا الشرف، مما جعل الناس يتسابقون على الانتماء إليهم وإتباع تعاليمهم، باعتبارهم من الدوحة النبوية، وبذلك ازداد أتباعهم بكثرة.

ــ حدوث تطور اجتماعي في عقلية أبناء القبيلة، فعضو القبيلة لم يعد ينحصر أفقه في نطاق القبيلة فحسب، وإنما أصبح يشعر ويتحســس- ولو بطريقة بسيطة- الانتماء للوطن لا للموطن، ومما يوضح ذلك مشاركته في الثورات ضد الحكم العثماني كثورة ابن الأحرش سنة 1218هــ/1803م في الشرق*، وثورة درقاوة سنة 1220هــ/1805م في الغرب★★، وثورة التجانيين سنة 1236هــ/1820م في الجنــوب الغربي*، ومن ثم فإن

---

*. إن شخصية ابن الأحرش تذكرنا بشخصية ابن عبد الله الشيعيالذي استطاع في القرن الثالث الهجري أن يؤسس الدولة الفاطمية جنوب منطقة جيجل بعدما نجح في استقطاب العشائر الكتامية الموزعة في المثلث سطيف، شلغوم العيد، جيجل، تحت شعار دعوة دينية من أجل هدف سياسي، و هو نفس ما فعله ابن الأحرش مع القبائل المحيطة بمدينة جيجل و الموزعة شرقها ما بين سنتي1216هــ و1220هــ / 1801م و 1805م، فقد استعمل كل الوسائل لإقناع الناس بالالتفاف حوله، فادعى بأنه الإمام المنتظر و بأنّه صاحب الوقت و أن الوقت قد حان للقضاء على حكم الترك أنظر، علي خنوف، تاريــخ منطقــة جيجــل قديــما وحديــثا ، منشورات الأنيس، الجزائر 2007

★★. ثورة درقــاوة من أهم الثورات الشعبية القائمة ضدّ السّلطة التّركية بالغرب الجزائري سنة 1220هــ/ 1805م.

أنظر أبو راس الناصري، فتــح الإلــه ومنّتـــــه، تحقيق، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1998.

*. ثورة التجانيين سنة 1235هــ/1820م قادها محمد الكبير بن أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية ضد العثمانيين حتى يثأر لأهله وطريقته، فاستطاع أن يجمع مدداً بشرياً من أهل الصحراء، وانضم إليهم أهل أغريــس وتمكن من دخول معسكر سنة 1820م، وجهز له العثمانيون جيشا والتقا الطرفان في منطقة عواجة بضواحي أغريــس، وبعد ذلك استطاع البــاي حسن أن يغري أهل أغريــس بالمال فانسحبــوا من الميدان تاركين جنود التجاني في مواجهة جنود البــاي المتفوقين عدة وعتادًا، والاحتمال الأرجح أن يكون انسحاب أهل أغريــس أثره السيئ على العلاقات المستقبلية بين الطريقة التجانية والأمير عبد القــادر باعتبار هذا الأخير من أهل أغريـــس، حول ثورة التجانيين أنظر، الأمير عبد القادر، مـــــذكرات ،ط2 ، تحقيـــق، محمد الصغير بنانـــي، محفوظ السماتـــي، محمد الصالح الجــون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة، برج الكيفان، الجزائر، 1998

الطـــرق الصوفية مهدت للوحدة الوطنية التي أخذت شكلها النهائي على يـــد الأمير عبد القادر.

ــ اتخاذ كافة الطرق الوسط الريفي ميدانًا لنشاطها- لصلاحيته لنشر الدعوة واكتساب الأتباع بحكم ضعف المستوى المعرفي لسكان الريف – ساعد على انتشارها وتوسعها، وفي الوقت نفسه ضمنت الابتعاد عن أنظار ومراقبة السلطة العثمانية.

ــ اعتماد مؤسسي الطرق وسيلة الإغراء من الكرامات والغفران لكل من تبعهم والتي أثّرت على العقول وجعلتها تتقبل هذه الطرق وتدافع عنها بكل ثقة وإيمان، وبذلك حققت هذه الطرق التوسع والانتشار وكسب الأنصار، وضمنت لنفسها الاستمرار والنفوذ.

ــ ومن العوامل الهامة كذلك في انتشار الطرق الصوفية بالجزائر أنها سُميت بأسماء أقطابها ومشايخها البارزين المشهورين، الذين كانت لهم آثار واضحة في جهادهم واجتهادهم.[1]

وبعد إيراد هذه العوامل نخلص إلى أن تأثّر الجزائر بالتصوف والطرق الصوفية المتواجدة بالمشرق العربي كان عن طريق رحلات الحج والرحلات العلمية، وعن طريق المؤلفات الصوفية التي ذاع صيتها "كالإحياء" لأبي حامد الغزالي، وقد ازدادت الطرق الصوفية بالجزائر قوةً نهاية العهد العثماني، أي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين، وصار لها بعد ذلك شأن عظيم من حيث التعليم القرآني والوقوف في وجه الغزو العسكري والثقافي والتنصير الأوربي، ومن حيث التكافل الاجتماعي ومؤازرة الفقراء والمحتاجين، ومن حيث نشر الإسلام في إفريقيا في عصر ساءت فيه الأحوال المعيشية والثقافية والسياسية.

---

1 . الطاهر بونابي، نشـــأة وتطور الأدب الصوفـــي في المغـــرب الأوســـط، حوليات التراث، مجلة دورية تصدرها كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، العدد 02، سبتمبر 2004، ص 6

4. أهم الطرق الصوفيـــة بالجزائـر

يجد الباحث أن الجزائر كانت تنتشر فيها عدة طرق صوفية، بعضها مشرقي الأصول، وبعضها الآخر مغربي، وعنها تفرعت باقي الطرق وأنّ لكل طريقة من الطرق زواياها و مقاماتها و أتباعها.

وإذا وقع التركيز على أبرز الطرق الصوفية وأهم فروعها التي كانت قائمة في الجزائر في الفترة موضوع البحث، وجد أنها كانت تتفرع عن طريقتين أساسيتين الأولى مشرقية الأصل، وهي الطريقة القادرية، والثانية مغربية المنشأ و هي الطريقة الشاذلية، وقد تفرع عنهما عشرات الطرق الصوفية، خاصة الطريقة الشاذلية، ففي هذا الصدد يذكر أبو القاسم سعد الله «....نكاد نجزم بأن معظم الطرق الصوفية التي بعد القرن 8هـ/14م تتصل بطريقة أو بأخرى بتعاليم الطريقة الشاذلية.....»[1]

وقد حاول المؤرخ الفرنسي لوي رين(Rinn) إحصاء الطرق الموجودة بالجزائر أواخر القرن 13هـ/ 19م، فوجد ثلاث عشرة طريقـــة من مجموع ست عشرة شاذليـــة الأصـــل[2] كذلك فعل بروسلار(Brosselard) الذي ذكر أهمها فقط[3] عكس رين.

و محاولة وضع جرد للطرق بالجزائر مهمة صعبة جدا إن لم تكن مستحيلة، وذلك لأنها متشعبة ومتفرعة حيث نجد العديد من الطرق متفرعة عن طريقة واحدة، لكن الأصعب وجود طرق متفرعة عن طريقتين أصليتين أو أكثر، لهذا سنقتصر على ذكر أهم الطرق التي كانت تتمتع بشعبية كبيرة، أو التي كانت لها علاقات مع السلطة أو بالأحرى تلك التي لها علاقة مباشرة بموضوعنا، سواء التي انخرط فيها الشيخ التجاني قبل تأسيسه لطريقة خاصة، أو تلك التي تفاعلت مع الأحداث التاريخية التي صنعتها التجانية .

---

1. أبو القاسم سعد الله، مرجع سابـــق، ص466

2. Louis (Rinn), marabous et houon etude sur l Islam en Algerie adolphe jourdan, alger 1884, p158

3. Brosselard, les khouans de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie, Imprimerie de A.Bourget, Alger, Aout, 1952, p7.

أ. الطريقـــة القادريـــة:

تنسب الطريقة القادرية لمؤسسها الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي موسى الحسني، وهو من كبار الزهاد و المتصوفين، ومن أشهر رجال الصوفية ويعرف بالقطب الجيلاني، وهو أحد الأقطاب الأربعة، الرفاعي و الجيلاني و البدوي والدسوقي، ولد بجبل جيلان قرب بغداد سنة471هـــ/1066م وترعرع بها[1]، اتصل بشيوخ العلم و التصوف، و برع في أساليب الوعظ و الفقه والأدب، كان يأكل من عمل يده، تصدر للتدريس و الإفتاء في بغداد منذ 528هـــ/ 1123م، ثم مال للتصوف ولجأ للخلوة ومجاهدة النفس وعزف عن ضجيج المدن، فاتجه إلى الصحراء وكان له مريدون كثيرون نهجوا نهجه وساروا سيرته و توفي ببغداد سنة 561هـــ/1166م[2].

برزت هذه الطريقة في القرن 6هـــ/12م، وتعد أول طريقة في الإسلام من حيث العدد، انتشرت في العراق واليمن والصومال والهند والصين وتركيا ومصر وبلاد المغرب وغربي إفريقيا ووسطها، وتتسم بالإصلاح و الإرشاد و التسامح و نشر المعرفة و العلم...[3] الخ، ذَكرها حسن بن باديـــس صاحب " السينية " منذ القرن 8هـــ/14م، كما تحدث عنها محمد الزواوي الفراوسني صاحب"المرائي الصوفية" منذ القرن 9هـــ/15م[4]

والقادرية ذكراها محاطة بتقديس خرافي[5]، وهي من الطرق التي واصلت انتشارها في القرن 10هـــ/16م بالجزائر، لكنها كانت موجودة قبل هذا الزمن، و يعود هذا لشعبيتها الكبيرة على مستوى العالم الإسلامي، و قد انتشرت في الداخل مع مريديها، مثل عبد

---

1. أحمـــد شلبي، موسوعـــة التاريـــخ الإسلامـــي والحضارة الإسلاميـــة، ط7، ج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهـــرة، 1986، ص211

2. أحمـــد شلبي، المرجـــع السابق، ص 212 وانظر كذلك ابن محي الدين الأربلي، تفريـــج الخاطـــر في مناقب الشيـــخ عبد القـــادر، تحقيق عبد الرحمان تياري، مطبعة مـــريس،الإسكندرية، 1300هـــ ففيه دراسة واسعة عن ترجمة حياة الشيخ ومبادئ طريقته وجهوده في نشر الإسلام.

3. إبراهيم مياسي، المرجع السابـــق، ص 94

4 . أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص187

5 . Brosselard, op.cit, p7

الكريم المغيلي بتوات، و أولاد سيدي الشيخ الذين تمركزوا بالجنوب الغربي، كما كان لها ممثلون من المرابطين في كل من مدينة الجزائر، قسنطينة، بجاية.. وحتى فاس، ومن أورادها، حزب الوسيلة وورد الجلالة[1].

وانتشار الطريقة القادرية في الجزائر والمغرب بصفة عامة حسب الأستاذ رين (Rinn) كان عن طريقين، طريق مصر وطريق الأندلس، حيث استقر بمصر أحد أبناء الشيخ عبد القادر وهو الشيخ عيسى مؤلف كتاب "لطائف الأنوار" في التصوف وكان اتصاله بالمهاجرين والتجار الذين اتخذوا من إقليم توات مركزًا لهم سببا في دخول الطريقة إلى المنطقة، ومنها إلى إفريقيا الغربية، وأما عن طريق الأندلس، فلقد لعبت ذرية ولديه إبراهيم وعبد العزيز دوراً كبيراً في نشر تعاليم القادرية في المغرب العربي بعد هجرتهم من الأندلس إلى فاس[2].

ويذهب رين (Rinn) إلى أنّ عدد المساجد والزوايا والقبب التي تحمل اسم عبد القادر الجيلاني في الجزائر كان كبيرا جدا*، ففي إقليم وهران وحده كان هناك 200 زاوية تحمل هذا الاسم بغض النظر عن المساجد، وأنّ هناك 268 مقدما، وعدد الأتباع وصل إلى 14574 مريد[3].

ولقد وُصفت الطريقة القادرية بالتساهل والتسامح اتجاه الأديان الأخرى، يظهر ذلك من قول الاستاذ رين (Rinn) « إننا لا نجد في تعاليمه ـ الجيلاني ـ أي إشارة معادية

---

1 . مراد سعيد، الفرق و الجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً و حديثاً، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر،1997، ص 533- 534 .

2 . Louis (Rinn) , op.cit, p178

* . كان ذلك حسب الإحصاء الذي قام به الأستاذ رين في أواخر سنة 1882م، وإن كان في اعتقادي الشخصي أن هذا العدد مبالغًا فيه نوعًا ما، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون الطريقة القادرية منتشرة بكثرة وفي كل النواحي تقريبا.

3 . Louis (Rinn), op.cit, p200

للمسيحية »[1]، كما تعد الطريقة القادرية الطريقة الأم في الجزائر نظراً لتقدمها زمنيا وكثرة دعاتها خاصة في المناطق الغربية[2].

و كان من مقاديمها* الشيخ محي الدين بن المختار والد الأمير عبد القادر، الذي تزعم المقاومة المسلحة ضد فرنسا، وأنشأ دولة جزائرية، وتحققت على يده وحدة وطنية.

ب. الطريقـــة الشاذليـــة:

تنسب الشاذلية إلى نور الدين (أبو الحسن الشاذلي)، أصله من المغرب الأقصى حيث ولد عام 593هـ/1196م، كان تلميذا لأحد أتباع أبي مدين شعيب، و أحد كبار أولياء المنطقة، مولاي عبد السلام بن مشيش، انسحب للمشرق مخلفا وراءه حشدا من الأتباع[3]، وبعد إقامة فريضة الحج طاف بأقطار المشرق العربي وتلقى على شيوخها شتى الفنون ومال إلى التصوف، وعندما رجع أقام بقرية شاذلة بتونس، ورابط هناك وتفرغ لتربية المريدين والأتباع حتى شاع أمره بين الناس في بلاد المغرب ومصر[4].

لم يلقن أبو الحسن ــ كشيخ زاهد سائح ــ تلاميذه أية قواعد أو شعائر خاصة، ولكن تعاليمه حافظ عليها أتباعه، وأحد هؤلاء الأتباع بصفة خاصة هو أبو العباس المرسي أحمد بن عمر الأندلسي (ت.686هـ/1288م)، الذي انضم إلى حلقته بالإسكندرية، وكان يعتبر كخليفة له[5].

---

1 . Louis (Rinn), op.cit, p200

2 . إدوارد دو نوفو، دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، 2003م، ص 29، 32 .

★ . مقاديم جمع مُقدم وهي وظيفة في الزاوية أنظر الهيكل التنظيمي للزوايا في الفصل الثاني

3 . سيدي موسى محمد الشريف، جذور التصوف ببلاد المغرب والجزائر، الندوة الفكرية الخامسة للشيخ محمد العدواني، الوادي 01،02،03 نوفمبر 2000م، ص 3، 4.

4 . ممدوح الزوبي، الطرق الصوفية، ظروف النشأة وطبيعة الدور، ط1، الأهالي للتوزيع، دمشق، 2004م، ص 111.

5. سبنسرترمنجهام، مرجع السابق، ص 90، 91.

كان تصوّفه يميل للورع، كما توخى الزهد في كل شيء، و انعزل بزاوية عن الناس، و أتباع الشاذلية بالجزائر لا ينكرون التمتّع بنعم الحياة، فالشاذلي نفسه لم يقل بالتجرد عن ملذات الدنيا، بل قال تدريب النفس على فعل الخير وإعادتها بالتدريج إلى أحكام الشرع عن طريق الذكر جماعيًا أو فرديًا، فالشاذلية إن لم تسع للمال فهي لا ترفضه، والإحساس بالفقر عندها أهمّ من الفقر في حد ذاته[1].

تقترب الشاذلية في ارتباطها تصاعديا كثيرا من الجنيدية[2]، فهي تقوم على المبالغة في الذكر والمطالعة والخوف من الله والتسليم لإرادته، و تقوم على خمسة أصول وهي:

1. تقوى الله في السر و العلانية.

2. إتباع السنة في الأقوال و الأفعال.

3. الإعراض عن الخلق في الإقبال و الإدبار.

4. الرضا عن الله في القليل و الكثير.

5. الرجوع إلى الله في السراء و الضراء.

وتعد هذه الطريقة أهم الطرق التي ظهرت بالمغرب الإسلامي، حيث تفرعت إلى عدة طرق في المناطق الممتدة بين الحجاز شرقًا وإسبانيا غربًا، ففي مصر تفرعت عن الشاذلية ثمانية فروع، لكل فرع سلسلته و قطبه[3]، أهمها الطريقة الوافية، وفي المغرب الأقصى تفرعت إلى نحو عشرين فرعا أهمها الطريقة الدرقاوية، وفي ليبيا تفرعت عنها الطريقة المدنية، كما تفرعت عن الشاذلية العروسية، ومؤسسها أبو العباس أحمد ابن عروس الذي كان قبل ذلك مقدمًا للشاذلية، أما في الجزائر فقد تفرعت عن الشاذلية الطريقة الزروقية، نسبة إلى أبي العباس أحمد زروق البرنسي الفاسي المتوفى سنة 899هـ/1494م[4].

---

1. أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص 463.

2 . Louis (Rinn), op.cit, p172

3. عبد الفتاح الغنيمي، مرجع سابق، ص 94.

4. سيدي موسى محمد الشريف، مرجع السابق، ص 5 و كذلك ممدوح الزوبي، المرجع السابق، ص 153.

ج. الطريقـــة الرحمانيـــة:

وهي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الخلوتية*، ونسبت إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري الأزهري*، المولود حوالي سنة1132هـ/ 1720م في قبيلة آيت إسماعيل التي كانت جزءًا من حلف قشتولة في قبائل جرجرة، زاول دراسته الأولى في مسقط رأسه، ثم واصل تعلمه في الجزائر العاصمة، وفي عام1152هـ/ 1739م توجه لأداء فريضة الحج، وفي عودته استقر بالجامع الأزهر فترة طويلة مترددًا على العلماء وشيوخ التصوف كمحمد بن سالم الحفناوي، حيث أصبح محمد بن عبد الرحمان مريدًا وتلميذًا له حيث أدخله الطريقة الخلوتية.

وبعد غياب طويل دام أكثر من ثلاثين سنة عاد إلى الجزائر بعدما تلقى الأمر من شيخه الحفناوي بالعودة إلى بلده ونشر الطريقة الخلوتية، فأسس زاوية بمسقط رأسه (آيت إسماعيل) وشرع في الوعظ والتعليم، وقد التف حوله جموع الناس من سكان جرجرة المستقلين عن السلطة العثمانية[1]، ثم انتقل إلى الحامة إحدى ضواحي العاصمة، ومن المحتمل أنه فعل ذلك فرارًا من خصومه المرابطين الذين عادوه لِما حققه من نجاح هدد نفوذهم في المنطقة، أو لأنه تأكد من رسوخ تعاليمه وانتشارها في المنطقة فرأى أن يستقر بالقرب من العاصمة ليوسع دائرة دعوته، أسس في الحامة زاوية، وأخذ في نشر تعاليم الطريقة الخلوتية، ولكن سرعان ما أثار سخط المرابطين والعلماء للأسباب التالية:

---

*. طريقـــة صوفيـــة سوريـــة الأصل (800 هـــ/1397م) نسبـــة للزاهـــد إبراهيـــم الخلاقـــي، والخلواتية هي الطريقة الأم للحفناوية بمصر أنظـــر: Benjamin (Stora)،op.cit p124 وانظر كذلك،

p290 op.cit, Louis (Rinn)

★ . سمـــي الشيخ بالجرجـــري نسبة إلى جبل جرجـــرة موطن قبيلته وبالأزهـــري لتتلمذه بالجامـــع الأزهـــر أنظر، (مجموعة من المستشرقين)، دائـــرة المعـــارف الإسلاميـــة، تعريب أحمد الشنتاوي، وإبراهيـــم زكي خورشيـــد، وعبد الحميد يونس، مراجعة الدكتور محمد مهدي علام، دار المعرفة، بيروت، (د ت)، ص 79، 81

1. مختار الطاهر فيلالي، مرجع السابق، ص40، ومفتاح (عبد الباقي)، أضـــواء على الطريقـــة الرحمانيـــة الخلوتيـــة، الوليد للنشر، الوادي، 2004، ص 61، 62، 63

1. ابن عبد الرحمان من أبناء الريف، لذا لابد أن يلقى معارضة من أهل الحضر المرابطين والعلماء خوفًا على نفوذهم.

2. خوف الأتراك منه لأن قبيلته تنتمي إلى حلف قشتولة وبالتالي فهي لا تخضع لحكمهم بل معادية لهم، ولهذا الغرض أثار الأتراك العلماء والمرابطين ضده.

3. دعوته الدينية تبعث على إحيـــاء الوحدة الروحية والوطنية التي طالما عمل الأتراك من أجل عدم تحققها طوال حكمهم حتى لا تكون خطرًا على سلطانهم[1].

رأى ابن عبد الرحمان أن الحكمة تقتضي منه العودة إلى مسقط رأسه فعاد سريعًا إلى زاويته ببلدة آيت إسماعيل، وبعد ستة أشهر من عودته جمع مريديه وأخبرهم بقرب أجله وعين من يخلفه في منصبه وهو علي بن عيسى المغربي[2].

لم يحصر ابن عبد الرحمان نشاطه في نشر دعوته الدينية الصوفية على منطقة القبائل والعاصمة فحسب، وإنما مدّ نشاطه أيضًا إلى إقليم الشرق الجزائري، حيث قام بتعيين خليفة له من أبناء قسنطينة، وهو مصطفى بن عبد الرحمان بن الباشا تارزي الكرغلي، فقام هذا الأخير بنشر تعاليم الطريقة في الإقليم الشرقي حيث نصّب عدة مقاديم أشهرهم الشيخ محمد بن عزوز في واحة البرج قرب بلدة طولقة[3].

بعد وفاته 1208هـ/1793م ازدادت الطريقة نجاحًا واتسعت دائرة نفوذها مما زاد في هياج الأتراك وحنقهم، لذا فقد قاموا بمحاولة لوضع حد لتدفق الزوار من كل مكان على الزاوية الأم بآيت إسماعيل، فدفعوا بثلاث مجموعات استطاعت إحداها نقل جثمانه إلى الحامة حيث دفن في احتفال مهيب، ثم بنوا عليه مسجدًا وقبة، على أن سكان قرية آيت

---

1. مختار الطاهر فيلالي، مرجع سابق، ص42
2. مختار الطاهر فيلالي، مرجع سابق، ص43
3. مختار الطاهر فيلالي، مرجع سابق، ص 43، و عبد الباقي مفتاح، مرجع سابق، ص 98.

إسماعيل حينما تحققوا أن الجثة لم تفارق قبرها الأصلي- وكانوا قد نبشوا القبر - اعتقدوا أن جثة شيخهم قد ازدوجت ومنذ ذلك الحين لُقب محمد بن عبد الرحمان بـــ (بو قبرين)[1].

وقد استطاع خليفته - علي بن عيسى - الذي بقي مدة 43 عامًا في منصبه 1208هـــ /1251هـــ أن يدير الزاوية الأم بكل حكمة ونجاح، مما أكسب الطريقة انتشارًا واتساعًا في النفوذ سواء في وسط البلاد أو في شرقها وجنوبها، إلا أن موته أفقد إدارة الزاوية الالتحام والوحدة حيث إن خلفاءه لم يستطيعوا بسط هيمنتهم على مقاديم الزوايا البعيدة التي أعلنت استقلالها عن الزاوية الأم، وذلك نتيجة لضعف شخصية هؤلاء الخلفاء من جهة، وسياسة الاحتلال الفرنسي التي عملت على تمزيق وحدتها من جهة أخرى[2]، ومن أهم مراكز الطريقة الرحمانية في العهد العثماني الأخير، الحامّة قرب العاصمة، وآيت إسماعيل ببلاد القبائل، وزاوية صدوق بناحية سطيف، وقسنطينة، وواحة البرج قرب طولقة، وأولاد جلال، وخنقة سيدي ناجي، ووادي ســـوف[3].

د. الطريقـــة الدرقاويـــة:

وهي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الشاذلية، وسميت بالدرقاوية نسبة إلى مؤسسها الشيخ بن أحمد الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بـــ "أبو درقاوي"، وقد ولد من قبيلة بني زروال بضواحي مراكش1150هـــ/1737م واشتغل كمدرس في فاس، وكان يتردد إلى دروس الصوفي علي بن عبد الرحمان الفاسي، آخر شيخ للسلسلة الصوفية التي تمتد إلى أبي مدين شعيب ويرى البعض أنه المؤسس الفعلي للطريقة الصوفية الدرقاوية[4].

أصبح الدرقاوي صديقا وخليفة لابن عبد الرحمان الفاسي، حيث حوّل هذا الأخير إليه كافة سلطاته الروحية قبل وفاته، وقد اشتهر بالاستقامة والزهد، ثم بادر إلى تأسيس زاوية

---

1. مختار الطاهر فيلالي، مرجع سابق، ص 43 و عبد الباقي مفتاح، مرجع سابق، ص 62.
2. مختار الطاهر فيلالي، مرجع سابق، ص 44 و عبد الباقي مفتاح، مرجع سابق، ص 74.
3. مختار الطاهر فيلالي، مرجع سابق، ص 45 و عبد الباقي مفتاح، مرجع سابق، ص 144.
4 . Louis (Rinn), op.cit, p 232

له في بوبريح بفاس وأخذ يجمع أحبائه ومريديه، وحققت نجاحا كبيرا في المغرب الأقصى والمناطق الجزائرية في الغرب، كوهران وتلمسان ومستغانم وتيارت[1].

يتميز أتباع هذه الطريقة باللحية وحمل العصا، وكان الواحد منهم يكنى بـــ "بودربالـــة"* وكان يوصي مريديه بذكر الله، والصبر على الجوع وكتم الشهوات والصوم.

ولقد لقيت الطريقة تأييد السلطان المغربي مولاي سليمان، خاصة وأن الطريقة تدعو إلى السلم، وكان انتشارها في الجزائر على يد عبد القادر بن الشريف، الذي لمع اسمه أثناء الثورة التي قام بها ضد الأتراك، وهو ينتمي إلى قبيلة أولاد سيدي باليـــل بوادي العيد، كان قد سافر إلى المغرب وتتلمذ على يد محمد العربي بن أحمد الدرقاوي في زاوية بوبريح وأخذ عنه الذكر، وبعد أن قضى مدة من الزمن كمدرس للقرآن في الزاوية المذكورة، وأجاز له وكلفه بنشر طريقة درقاوة الشاذلية[2]، توفي الشيخ سنة 1239هـــ/1823م ودفن بزاوية بوبريح التي أسسها بنفسه.

وقد بلغ عدد زوايا طريقة درقاوة بالجزائر حسب إحصاء 1982م 32 زاوية 268 مقدم و14574 مريد وأهم فروع الدرقاوية نجد، الكتانية والحراقية والهبرية[3].

وفي آخر هذا الفصل يمكن أن نقول بان مؤسسوا الطرق الصوفية التي نشأت في أواخر العهد العثماني كانوا يلجئون إلى وسيلة الحج، باعتباره ملتقى العلماء والمتصوفة، كما كانوا يقومون بالرحلات عبر مختلف الأقطار الإسلامية.

---

1. مجموعة من المستشرقين، دائـــرة المعـــارف الإسلاميـــة، المرجع السابق، ص ص 199، 200

★ . المقصـــود بالدربالـــة في بلاد المغرب العربي، الأثـــواب الرثـــة الباليـــة والمرقعـــة

2 . محمد بن يوسف الزياتي، دليـــل الحيران وأنيس السهـــران في أخبار مدينـــة وهـــران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1879م، ص92

3 . Louis (Rinn), op.cit, p 235

ومن بين تعاليمهم المشتركة، فرض الطاعة والاحترام الكامل والانقياد لشيخ الطريقة، ومن تعاليمهم أيضًا هو قولهم « من لا شيخ له فالشيطان شيخه »[1]، كما يستعملون شعائر وأذكار ويختلفون في أوقات الذكر والحضرة .

ويلاحظ كذلك أن جل الطرق التي نشأت في هذه الفترة (12هـ/18م)، كانت بمثابة حركات مناهضة للسلطة العثمانية، حيث لمست منها الظلم والاضطهاد فقامت بعدة ثورات ضدها، ولم تخضع لها بأي صفة كانت، مثلما حدث مع الطريقة الصوفية التجانية بعين ماضي، لذلك سنحاول في الفصل الثاني من هذا البحث أن نتناول موضوع الطريقة الصوفية التجانية من حيث تأسيسها ومراحل انتشارها وكذا أهم زواياها.

1. مختار الطاهر فيلالي، مرجع سابق، ص 57

اسـم الطريقـة	نسبتهـا	تاريـخ الوفـاة	أهـم أماكـن الانتشـار
القادريـة	عبد القادر الجيلاني	561هـ/1166م	العراق، مصر، شمال وشرق إفريقيا
السعدية	سعد الدين الجباوي	575هـ/1180م	بلاد الشام
الرفاعية	أحمد بن علي الرفاعي	578هـ/1182م	العراق، مصر، غرب إفريقيا
الأحمدية	أحمد البدوي	627هـ/1231م	مصر، تركيا، ليبيا، السودان
الأكبرية	محي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر	638هـ/1241م	مصر
البعلوية	محمد بن علي باعلوي	653هـ/1255م	اليمن، إندونيسيا، شرق آسيا، الحجاز
الشاذلية	أبي الحسن الشاذلي	656هـ/1257م	مصر، المغرب العربي، اليمن سوريا، الأردن
المولوية	جلال الدين الرومي	672هـ/1272م	تركيا، سوريا
البرهامية الدسوقية	إبراهيم الدسوقي	676هـ/1277م	مصر، السودان، بلاد المغرب الشام، اليمن، الحجاز،باكستان
النقشبندية	بهاء الدين محمد بن البخاري شاه نقشبند	791هـ/1391م	آسيا الوسطى، سوريا
العروسية	أحمد بن عروس	869هـ/1465م	ليبيا، تونس
الجازولية	أبي عبد الله محمد الجازولي	869هـ/1465م	المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا
الشابية	تونس، الجزائر	876هـ/1472م	تونس، الجزائر
الزروقية	أبو الفضل شهاب الدين أحمد زروق	899هـ/1493م	الجزائر
العيساوية	محمد بن عيسى	933هـ/1527م	المغرب، الجزائر
البكائية	عمر بن أحمد البكّاي	960هـ/1553م	الجزائر، مالي، النيجر

الخلوتيـــة	محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي	986هـ/1578م	مصـــر، تركيـــا، فلسطيـــن، الأردن
السمانيـــة	محمد بن عبد الكريم السمان	1189هـ/1775م	الســـــودان
التيجانيـــة	أبـو العبـــاس أحمد التجـــاني	1230هـ/1815م	الجزائـر، المغـرب، مصـر، السينغـال غرب إفريقيـا، فلسطين، السودان
الإدريسيـــة	أحمـــد بن إدريس	1253هـ/1838م	الصومـــال، الســـودان، أريتيـريـــا
السنوسيـــة	محمـــد بـــن علـي السنوســي	1276هـ/1861م	شمـــال إفريقيـــا، الســـودان، الصومـــال
الكسنزانيـــة	عبـد الكـريم شـاه الكسنـــزان	1317هـ/1901م	العـراق، إيـران
العلاويـــة	أحمـد مصطـفى العـــلاوي	1353هـ/1939م	الجزائـــر، تـــونس
الجعفريـــة	صالح الجعفري	1399هـ/1980م	المغـرب، السينغـال، غرب إفريقيـــا
العظيميـــة	قلندر بابا أولياء	1399هـ/1980م	باكستـــان، الإمارات العربيـة، البحرين، أندونيسيـــا

جـــدول لأهـــم الطـــرق الصوفيـــة في العالـــم الإسلامـــي

الفصل الثاني

الطريقة التجانية وأهم زواياها

أولاً: <u>الطريقة التجانية</u>

1 . مرحلة التأسيس

2 . ظروف وعوامل التأسيس

3 . مراحل الانتشار والتوسع

أ. انتشار الطريقة في الجزائر

ب. انتشار الطريقة في تونس

ت. انتشار الطريقة في المغرب الأقصى

ث. انتشار الطريقة في غرب ووسط إفريقيا

4 . أهم مؤلفات التجانيين

ثانيًا: <u>تعريف الزوايا ونشأتها</u>

1 . تعريف الزوايا

2 . نشأة الزوايا وتطورها

3 . مراحل تكونها ومهامها

4 . الهيكل التنظيمي للزوايا

5 . نظام الزوايا كمؤسسة تعليمية

إن المنعرج الحاسم الذي أدى إلى بروز الطرق الصوفية وزواياها حدث في القرنين 12م و13م، والذي منح للمسلمين ــ الذين كانوا يعانون من عدم الاستقرار السياسي وتقلبًات الأوضاع ــ ملجأ وجدوه في الطرق الدينيـــة، ومنذئذ سمي عناصرها بالدراويش أو الإخوان، وهناك من يرى أن التحالف بين أهل التصوّف وأهل السنة راق كثيرًا من المسلمين، وزاد انتشار التصوّف والطرق الصوفية، وأدى إلى قبول تقديس الأولياء لدى أهل السنة، مما أدى إلى ظهور العديد منها وانتشارها على نطاق واسع، كان على رأسها الطريقة الصوفية التجانية، التي لعبت دورًا بارزًا في حمل راية الإسلام في كل علم، في التوحيد والفقه والتفسير وعلوم الحديث واللغة، وعلم التربية والأخلاق من أجل تهذيب النفوس التهذيب الروحي الذي هو لب الإسلام، وزوايا هذه الطريقة ما هي إلا مدارس يتدارس فيها الإخوان والأحباب مبادئ العلوم والمعارف الإسلامية الصحيحة، ويدرسونها لغيرهم من المسلمين، لذا سنحاول في هذا الفصل إعطاء فكرة عن الطريقة الصوفية التجانية، من حيث التأسيس والانتشار وأهم زواياها التي لعبت دورًا بارزًا على مسرح الأحداث السياسية والدينية والفكرية في الجزائر.

أولاً: الطريقة الصوفيـــة التجانيـــة:

1. تأسيـــس الطريقـــة:

تأسست الطريقة التجانية في أواخر القرن 12هـــ/18م، في مدينة عين ماضي التي تبعد عن الأغواط بالجزائر حوالي 17كلم، وهي مدينة اشتهرت حينئذ بين المدن الصحراوية خاصة بالحركة الثقافية والدينية، التي دبّت فيها بفضل العلماء الذين كانوا يفدون عليها من جميع نواحي إفريقيا الشمالية، غير أن شهرتها لم تكتمل إلا بتأسيس الطريقة الصوفية التجانية فيها[1].

---

1. محمود عبد القادر، الفكـــر الصوفـــي في الســـودان، القاهرة، 1968 ، ص51.

ظهرت هذه الطريقة وسميت بالتجانية والأحمدية والمحمدية والإبراهيمية والحنيفية من إطلاقات مؤسسها الشيخ أحمد التجاني، أما وجه تسميتها بالأحمدية، فلأن مؤسسها اسمه أحمد فنسبت إليه، وهذا هو المتبادر أو لأنها طريقة شكر، لكون القطب الذي عليه مدارها هو حمد لله تعالى على نعمه الوافرة بالوجه الأبلغ[1]، وسميت بالمحمدية لكون جل أورادها وأذكارها صلاة وسلام على سيدنا محمد (ص) أما وجه تسميتها بالإبراهيمية والحنيفية، فلأنها ناشئة عن الدائرة الفضيلة التي اتُخذ منها إبراهيم خليلا في الأزل[2] .

والطريقة التجانية عموما هي طريقة صوفية سنية مالكية المذهب، وبعبارة أخرى هي منهج سلوكي من مناهج الإسلام القائم على الكتاب والسنّة، تهدف أساساً إلى تزكية النفس وتهذيبها وتقوية الإيمان بالتعبد والتقرب إلى الله[3]، وقد ظهرت هذه الطريقة على يد أحمد أبو العباس بن محمد بن المختار بن سالم التجاني[4]، يعتبره المؤرخون من أئمة المذهب المالكي ومجتهديه في القرن 12هـ/18م، ولد بعين ماضي (الأغواط) بالقطر الجزائري عام 1150هـ/1737م، وهو من أسرة شريفة تربى في بيئة صالحة حفظ القرآن وعمره أربع سنوات، كما تعلم علوم الدين والحديث والتفسير، ولما بلغ سن السادسة عشر من عمره اضطلع بمهنة التدريس لمدة خمس سنوات، ثم غادر عين ماضي إلى فاس يطلب العلم، فلازم هناك شيوخها وعلماؤها الأجلاء ينهل من منابع العلم والمعرفة[5]، ولكن لا يعرف عنه

---

1 . الشرفي ابن السائح، بغية المستفيد لشرح منية المريد، ط1، مطبعة التقدم العلمية، درب الدليل، القاهرة، مصر 1326 ص81.

2 . نفس المرجع، ص83.

3 . الزاوية التجانية بتيماسين بين الأمس واليوم ، مطبوعات الزاوية التجانية بتيماسين، ورقلة، طبعت بتاريخ 4 جوان 2001م بمناسبة الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف .

4 . علي حرازم بن عربي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبو العباس التجاني ، الطبعة الأخيرة، الجزء الأول، شركة إلياس الحلبي وأولاده، مصر،1963 م ص 26، 28

5 . نفس المرجع، ص175.

أنه اشتغل بالعلم العملي ذلك أنه ظل كما تروي المصادر يحوم هنا وهناك ويتلقى الأذكار والأوراد الصوفية، أكثر مما كان يتلقى العلوم الشرعية والأدبية واللغوية[1].

وبعد فاس قضى التجاني فترة غير قصيرة يتردد على الصحراء وتلمسان، كما بقي في الأبيض سيدي الشيخ مدة 5 سنوات، مارس خلالها مهنة التدريس، وكان من حين لآخر يزور مسقط رأسه عين ماضي[2]، ثم سافر الشيخ التجاني إلى مدينة تلمسان واستقر بها مدة 5 سنوات، (1181هـ،1186هـ/1782م،1787م) مدرسًا لعلوم الحديث والتفسير قائما بالزهد والعبادة[3]، ولما بلغ سن السادسة والثلاثين حج التجاني حجته الأولى وكان ذلك بين سنتي 1186هـ،1187هـ/1787م،1788م[4]، وفي طريقه إلى البقاع المقدسة كان لا يمر بشيخ من المشايخ الكبار إلا وقصده، فقد زار الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأزهري في منطقة القبائل، وأخذ عنه الطريقة الرحمانية الخلوتية، وذلك بالزاوية الرحمانية بقرية آيت إسماعيل[5]، كما توقف في تونس ومصر وأخذ عن بعض صلحائها[6]، وبعد حوالي سنتين قضاها في مكة عاد الشيخ إلى تلمسان بعد أن توقف بالقاهرة وأخذ عن الشيخ محمود الكردي، وقد يكون هذا الأخير هو الذي أشار عليه أن يكّون طريقة صوفية خاصة به، لما رأى فيه من نباهة وذكاء وفطنة وعلم وسعة اطلاع[7].

بقي أحمد التجاني في تلمسان التي وصلها سنة 1188هـ/1774م مدة ثماني سنوات، قضاها متفرغا للعلم والتدريس مترددا بينها وبين فاس، ثم انعزل نهائيا عن المدن حين ذهب

---

1. أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص518.

2. محمد جعفرالكتّاني، سلـوة الأنفاس ومحادثـة الأكياس في من قبـر من الصلحـاء بفـاس ، ج1، طبعة حجرية، المكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 95 .

3. علي حرازم، مرجع سابق، ص34 .

4. هلال عمار، الطـرق الصوفيـة ونشر الإسـلام والثقافة العربيـة في غرب إفريقـيا السمـراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائـر 1984 ص221

5. محمد جعفر الكتّاني، ج1، مرجع سابق، ص182.

6. أبو القاسم سعد الله، ج1، مرجع سابق، ص518.

7. هلال عمار، مرجع سابق ص221.

إلى توات، ثم قرية بوسمغون جنوب غرب البيض سنة 1210هـ/1796م[1] وفي هذه الأخيرة استقر نهائيا بعد قلق وتجوال، ولكن بايات وهران لاحقوه ونغصوا عليه حياته هناك أيضا، فاتجه إلى فاس سنة 1211هـ/1796م بأولاده وأهله وتلامذته، وقد رحب به السلطان سليمان السعدي وأحضره مجلسه وأعطاه دارًا كبيرة وراتبًا، وقد اشتكى التجاني إليه جور الترك وظلمهم وعدولهم عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وظل في فاس إلى أن توفي بها سنة 1230هـ/1815م[2]، مخلفًا بعده وبإذنه خليفته وصاحبه المقرب الشيخ الحاج علي التيماسيني، ومن أشهر أقوال الشيخ " زنوا كلامي بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه"[3].

2 . **ظـــروف وعوامل التأسيـــس:**

نستخلص من المصادر والمراجع التاريخية الخاصة بفترة البحث، أن دعوة الشيخ أحمد التجاني قد ظهرت في الوقت الذي بدأ العثمانيون يتوجسون من نشاط الطرق الصوفية عموما، ذلك أن ظهور الطريقة الطيبية في المغرب الأقصى، وعلاقتها السياسية بالسلطة، وكذا ظهور الطريقة الدرقاوية هناك وامتداد نفوذ الطريقتين إلى الجزائر، وكذلك تردد أحمد التجاني بين فاس وتلمسان والصحراء، كل ذلك قد أثار مخاوف العثمانيين بالجزائر[4] .

هذا وقد عرفت الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر درجة من الضعف والانحطاط والفساد في أركان الدولة العثمانية، التي أصبحت تعرف باسم الرجل المريض، وأضحى في مقدور أية دولة من

---

1. Daumas (E), le Sahara Algérien études géographiques statistiques et historiques sur la région au sud des établissements française en Algérie, paris, Larousse 1945, p34

2 . أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص183.

3. أحمد شلبي، مرجع سابق، ص210، أنظر كذلك، الزاويـــة التجانيـــة بتيماسيـــن، مطبوعات الزاوية التجانية بتيماسين، ورقلة، طبعت بتاريخ 26 نوفمبر1998 م بمناسبة فتح ضريح الحاج علي التماسيني بعد إعادة بناءه وترميمه ص9.

4 . أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ص518.

الدول الأوربية الكبرى أن تستولي على ما تشاء من أراضيها[1]، وهو ما انعكس سلبا على الأوضاع في الجزائر، التي كانت تعيش العهد الأخير من عهد الدّايات، وهو العهد الذي عاش فيه أحمد التجاني، والذي عرف اضطرابات سياسية واجتماعية زعزعت الاستقرار الداخلي، وظهرت عوامل التفرقة بين السلطة والأهالي[2]، فأخذ العثمانيون يرصدون تحركات رجال التصوف، ويُضيقون عليهم الخناق خاصة الطريقة التجانية، التي كان عددًا من علماء الجزائر قد انضم إليها، كما حاولوا ضم عين ماضي والأغواط وغيرهما إلى إقليم وهران، لذلك توجه الباي أحمد الكبير في حملته المعروفة إلى عين ماضي، وقاد حربا هناك ضد أتباع التجاني كما شملت حملته عدة مدن وقرى صحراوية، كالاغواط والشلالة وعاد من هناك منتصرا[3]، كما تميزت هذه الفترة بتدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية لاسيما في البوادي والأرياف، حيث كان السكان يعانون المجاعة والأوبئة والأمراض[4]، كالكوليرا والتيفوس والجدري والطاعون، ففي هذه الفترة فقد الشيخ والديه بمرض الطاعون في يوم واحد.

لقد انعكست كل هذه الظروف سلبا على الحياة الثقافية، ولم يعد العلماء يحبذون العمل في الجزائر، لاسيما بعد التضييق الذي فرض عليهم من قبل الولاة، وأن انتشار هذه الأوبئة والأوضاع السيئة لا تفرق بين العالم والأمي، فهذا المناخ السائد لم يساعد العلماء على الاستقرار والعمل[5]، وهو الذي دفع بالشيخ التجاني إلى اعتزال التدريس، مبررا ذلك بفساد

---

1 . أبو خلدون ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1960م ص150.

2 . يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ،ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م ، ص16.

3 . أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص518.

4 . ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، ط1، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م ص150.

5 . أحمد ابن الشين، الطريقة التجانية بين الماضي والحاضر، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2000 2001م ص46.

السلطة، ويذكر محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي في رحلته، أن أحمد التجاني قد ورد عليهم في المغرب رافضا سكنى بلده ومطلقًا زوجه فيها، وأنه كان منزعجا من بعض أمراء الترك بالجزائر[1]، وقال الدرعي أنه قد تذاكر معه في ذلك فوجده من انزعاجه وسخطه يرى تحريم التدريس في هذا الزمن، لذهاب شرطه وهو الامتثال وتطهير الباطن كالظاهر وتحسين النية[2].

لقد كانت الحركة التعليمية في عصر أحمد التجاني، وخاصة بداية مراحلها الأولى، منحصرة في تعليم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومبادئ التصوف وخاصة على زوايا الطرق الصوفية، التي ساهمت بقسط كبير في تعليم العامة من الناس مبادئ الكتابة والقراءة واللغة العربية والأوراد والأذكار الصوفية.

1. العباس محمد بن ناصر الدرعي، الرحلـــة ، طبعة حجرية بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1954.
2. نفسه ص518.

3. مرحلـــة الانتشار والتوســـع:

أ. انتشار الطريقة في الجزائـــر:

لقد مرّت الحركة الصوفية التجانية عبر تاريخها الطويل، بعدة مراحل منذ تأسيسها على يد الشيخ التجاني وحتى نهاية القرن 13هـــ/19م، وهذه المراحل خضعت بصفة مباشرة للظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تعيشها الجزائر ومعظم المناطق انتشرت فيها، بالإضافة إلى العوامل الداخلية الخاصة بالطريقة التجانية في حد ذاتها .

وعموما ما يمكن أن نقوله عن انتشار الطريقة التجانية في الجزائر، في أولى مراحلها أن شخصية الشيخ التجاني وخلفاءه المباشرين من بعده لعبت دورا بارزا[1] في انتشارها في بادئ الأمر، وعلى نطاق محدود ومعروف، أملته الظروف السياسية والاجتماعية آنذاك .

- انتشار الطريقة في بوسمغـــون:

تعتبر منطقة بوسمغون* بولاية البيض، مهد الطريقة التجانية ومنشأها الأول، حيث يذهب أتباع الطريقة إلى أن الشيخ التجاني أحس بإرهاصات الفتح الأكبر* عندما كان في قرية

---

1. Simian(Marcel), les confréries islamique en Algérie (rahmanya tidjania) , Adolphe Jourdan, Alger, 1920, p76

* . تقع بلدية بوسمغون في الجنوب الغربي للجزائر و تبعد عن مقر ولاية البيض بـــ160 كلم يحدها من الشمال بلدية الشلالة ومن الجنوب بلدية البنـــود ومن الشرق بلدية الأبيض سيدي الشيـــخ ومن الغرب بلدية عســـلة لمعلومات أكثر حول الموقع الجغرافي والفلكي لبوسمغون وكذا أصل التسمية أنظر، منـــى دحمـــون، قصـــر بوسمغـــون بولايـــة البيـــض، دراسة أثرية تحليلية، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2005/2004، ص8

* . يقول أحمد التجاني بأنّ سنده الحقيقي هو الرسول (ص) الذي رآه يقظة لا مناما وعيّن له وردا جديدا وأمره بتلقين الخلق بعدما كان فارا منهم، أنظر عبد الرحمان الجيلالي، تاريـــخ الجزائـــر العـــام، ط6، ج4، دار الثقافة للطبع والنشر، بيروت، لبنان، 1983م.

بوسمغون، وعمره آنذاك 45 سنة[1]، إذ التف حوله الناس مع الأتباع والمشايخ أمثال المقدم محمد بن العباس، وكذا أحمد بن عبد الرحمان، ومن أولاد سيدي الشيخ محمود بودواية، والنجار السمغوني*، والشيخ أبو الحسن بوحفص بن عبد الرحمان وغيرهم من المشايخ

ومن هنا فان الزاوية التجانية ببوسمغون، هي الخلوة الأولى للتجاني ومنها انطلق لينشر مبادئ طريقته الجديدة، وهي بذلك تتصدر زوايا الغرب والجنوب الغربي للجزائر، وتتبع مباشرة زاوية عين ماضي في الأغواط بحكم موقعها ومكانتها .

- **<u>انتشار الطريقة في منطقة عين ماضي والأغواط</u> :**

تعتبر منطقة عين ماضي مسقط رأس الشيخ التجاني، وبها الزاوية التجانية الرئيسية، تأسست مابين سنتي 1197هـ و1211هـ/1782م و1796م[2]، كما يجد بها أضرحة أبناء وأحفاد الشيخ، وعموم القول أنّ مبادئ الطريقة التجانية عرفت انتشارا سريعا واستجابة واسعة من قبل أعيان القبائل القاطنة بنواحي عين ماضي، حيث أقبلوا على أخذ ورد الطريقة بصفة جماعية**، ومن أشهرهم محمد بوحسونة المضاوي، كان مقدمًا للطريقة في نواحي عين ماضي، وهو الذي بنى للشيخ التجاني خلواته في عين ماضي وبوسمغون[3]، والشيخ النـــوي بن عطاء الله، ومحمد الهاشمي السرغيني، دفين زاوية عين ماضي، والشيخ محمد بن سلامة الذي وهب للطريقة أملاكه، وهو أيضا دفين عين ماضي، أما من الأغواط فنذكر

---

1 . أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص517.

* . لـــه مخطـــوط في تاريـــخ الطريقـــة التجانية أورد فيه أخبـــارا عن الصراع الذي دار بين الأميـــر عبد القـــادر ومحمـــود الصغير التجاني كما يضم قصائد شعرية أهمها تلك التي يرددها التجانيون في حلقات الذكر

2. علي حمـــلاوي، مرجع سابق ص225.

** . لقي التجانـــي بعض المعارضة من بعض العائـــلات التجانية بمنطقة عين ماضـــي وسببوا له متاعـــب كثيرة خاصـــة مع بايـــات وهـــران ومع الأميـــر عبد القادر.

3 . يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص89.

سليمان بن سعد، كان كاتبا لمحمد الصغير التجاني والشيخ سحنون بن الحاج، والأخضر بن محمد بن شيبة، وعيسى بن خراز، والفقيه أحمد بن إسماعيل وغيرهم[1].

- **انتشار الطريقة في تلمسان وإقليم توات:**

تذكر بعض المصادر التاريخية[2]، أن الشيخ أحمد التجاني لما استقر بمدينة تلمسان، قام بتلقين ورد الطريقة التجانية، فكان له تلاميذ وأصدقاء أجاز للكثير منهم، وكان على رأسهم الشيخ الطاهر بوطبة مقدم الزاوية التجانية بتلمسان، هذه الزاوية التي اشتهرت بعدائها الكبير للإدارة الاستعمارية[3]، وكذا المختار بن طالب الذي أشار إليه علي حرازم في كتابه جواهر المعاني بالعالم العلامة الداركة الفهامة، ومحمد المازوني الذي قُتل أثناء الصراع الذي نشب بين الأمير عبد القادر ومحمد الصغير التجاني سنة 1838م .

أما فيما يخص إقليم توات (منطقة أدرار حاليا) فان الشيح التجاني أثناء رحلته إلى هناك[4]، كان قد التقى بالشيخ محمد بن الفضيل التواتي، وهو من أوائل أصحابه أجاز له تلقين مبادئ التجانية فصار مقدما لها في الجنوب الغربي من القطر الجزائري، ويعود له ولأبنائه الفضل في انتشار التجانية في ربوع الصحراء[5].

- **انتشار الطريقة في قمار ووادي سوف:**

إذا كانت الزاوية التجانية في إقليم توات قد لعبت دورا هاما في نشر مبادئ الطريقة في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية، فان زاوية قمار بمنطقة وادي سوف لعبت نفس الدور أو أكثر في المناطق الجنوبية الشرقية، وهي أول زاوية تجانية تأسست في تاريخ الطريقة،

---

1 . عبد الباقي مفتاح، أضـــواء على حيـــاة الشيـــخ التجاني، مخطوط غير منشور محفوظ بزاوية قمار.

2 . نذكر منها مخطوط سلـــوة الأنفـــاس لمحمد جعفر الكتّاني وكذا كتاب جواهـــر المعـــاني، لابن عربي علي حرازم

3 . أحمد بن الشين، مرجع سابق ص59.

3. André(G), contribution a l étude cinfreries religieuses musilmanes édition la maison des livres, Alger, 1956, p138

5 . فرج محمود فرج، إقليم تـــوات خلال القرنيـــن الثامن عشـــر والتاسع عشر الميلاديـــن، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م

فقد تأسست سنة 1204هـ /1789م ويديرها حاليا أحفاد الشيخ الحاج علي التماسيني، وبها من النفائس النادرة، والتحف الفنية الكثيرة ما يؤهلها لتكون معلما تاريخيا هاما في الجزائر، والى جانب هذه الزاوية هناك زوايا فرعية تتوزع على قرى وادي سوف، أهمها على الإطلاق زاوية تاغزوت المحاذية لزاوية قمار[1].

عموما فان الطريقة التجانية قد عرفت طريقها إلى المنطقة، في فترة مبكرة فحسب روايات بعض المؤرخين يعتبر الشيخ محمد الساسي القماري الأصل أول من أخذ تعاليم التجانية، عندما كان مدرسًا للقرآن الكريم بمنطقة الأغواط، إذ اتصل بالشيخ التجاني فأعجب بورعه وسلوكه الصوفي ومبادئ طريقته، التي أخذها إلى قمار، فلقيت انتشارًا كبيرًا وسريعًا في أوساط القماريين، ليتبعه بعض الشيوخ الأفاضل السابقين من قمار، منهم الشيخ الطاهر بن عبد الصادق، والشيخ عبد الله بده، والشيخ علي بن حنيش، والشيخ التغزوتي، والشيخ أحمد بن سليمان الرابحي.

في سنة 1203هـ/1789م طلب الشيخ أحمد التجاني من وفود قمار بناء زاوية تجانية في شرق قمار، فقام محمود التونسي ــ وهو أحد الملازمين للشيخ التجاني ــ بتخطيط الزاوية وتم بناءها كما ذكرنا سنة 1204هـ/1789م، وابتداءً من هذا التاريخ أخذت زاوية قمار مكانتها كقطب هام للعلم والمعرفة، إذ جلب شيوخ الزاوية العديد من العلماء والمفكرين والمدرسين لعلوم الحديث والفقه واللغة العربية والآداب الروحية، فأصبحت بذلك همزة وصل في التبادل العلمي والثقافي والحضاري بين بلاد جامع الزيتونة وتيماسين، ومناطق الشرق الجزائري التي انتشرت بها الطريقة التجانية، كعين البيضاء وخنشلة وسوق أهراس وتبسة وقسنطينة وغيرها[2] .

ولعل ما يبرر هذا الاندفاع الثقافي والحضاري والدور العلمي الكبير المنوط بزاوية قمار، ذلك الظرف الزمني الذي نشأت فيه والذي يمتد إلى كل منطقة وادي سوف، إذ أنها لم

---

1 . Auch ministère, C A M G, 1855, p27 Rapport périodique oasis de oued souf

2 .ابن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص90.

تخضع بأي صفة كانت لأي نظام إداري سواءً كان عثمانيًا أو فرنسيًا، إلا بعد سنة 1305هـ/1881م، عندما بسطت فرنسا سيطرتها على القطر التونسي المجاور[1]

- **انتشار الطريقة بمنطقتي تيماسين وتقـرت** :

تعتبر زاوية تيماسين* من اكبر الزوايا التجانية في العالم، يعود تأسيسها إلى سنة 1217هـ/1804م، من طرف الخليفة الأول للطريقة الشيخ الحاج علي التيماسيني بأذن من الشيخ التجاني2، وقد عرفت الزاوية توسعًا وازدهارًا يومًا بعد يوم، وذلك نظرًا للمتطلبات الظرفية والتاريخية للمنطقة، خاصة من حيث البناء والشكل المعماري العام .

يعود الانتشار الواسع للطريقة التجانية في منطقة تيماسين إلى عهد الحاج علي التيماسيني، الذي لازم الشيخ التجاني عدة أشهر ثم عاد إلى تيماسين، داعيا لتعاليم التجانية واضعًا أمواله في خدمة الطريقة، وكان كثير التردد على الشيخ حتى بعد هجرته إلى فاس، مما جعله يفوز بمكانة مرموقة لديه، فكان يقدمه للإمامة في زاوية فاس، كما أذن له في التربية والتعليم، وبعد وفاة أحمد التجاني أصبحت مقاليد إدارة الطريقة تتوارث بين أبناء الحاج علي من بعده، وأبناء الشيخ التجاني، وتدار شؤون الزوايا التجانية انطلاقًا من زاويتي عين ماضي و تيماسين، أما في نواحي تقرت فإن الشيخ محمد بن المشري الذي تعّرف على الشيخ التجاني لّما كان في تلمسان سنة 1188هـ/1775م، هو الذي أخذ الورد على يديه ونشره في وسط قبيلته أولاد السائح3.

ومن أشهر المدافعين عن مبادئ التجانية بمنطقة تقرت، نجد الشيخ محمد بن قويدر عبد اللاوي، والمقدم سليمان، وعبد القادر بن عبد المالك، وعلي بن الغزال، الذين ساهموا في بناء زاوية العلية والحجيرة وغيرها، كما يعود الفضل أيضا لشيوخها في تأسيس عدة زوايا

---

1 . أبو خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق، ص159.

* . تيماسين دائرة تابعة إقليميا لولاية ورقلة تبعد عن مدينة تقرت ب 12 كلم وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 630 كلم

2 . الزاوية التجانية بتيماسين بين الأمس واليوم، مرجع سابق ، ص11

3 . أحمد بن الشين، مرجع سابق، ص61. .

فرعية عبر الشرق الجزائري، وبلاد التوارق وجنوب تونس والصحراء[1] وعمومًا فإن تيماسين قد لعبت دورًا محوريًا في انتشار الطريقة التجانية في ظل إدارة الحاج علي التيماسيني، وخليفته محمد الصغير التجاني، كما عرفت تطورًا ملحوظًا في جانبها المادي، باعتبارها تحتل موقعًا استراتيجيًا، فهي تؤمن الطريق للقوافل التجارية العابرة للصحراء[2]، مما جعلها محطة تجارية هامة، يلتقي عندها تجار الشمال بالجنوب وكذا وقوعها في طريق الحج، كل هذا مكّنها من الاستفادة ليس من الجانب المادي فحسب وإنما تمرير أفكارها ونشر تعاليمها عبر هذه المسالك، إذن فتيماسين لعبت دور مركز استقطاب للتاجر والمريد والحاج وطالب العلم والمستضعف وعابر السبيل[3].

1 . Rapport périodique, cecle de tougourt, Sep 1901 Nev 1906, p24 .

2 . Rinn, op.cit, p424 aussi, Coppolani et Depont, les cofreries religieures musulmanes, Alger 1987, p425.

3 .إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصـــروف في تاريـــخ الصحـــراء وســـوف ، تعليق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م ، ص32

الطريـــقة / المناطـــق	التجانيـــــة	القادريـــــــة	الرحمانيـــــة	الطيبيـــــة
تـــقرت	80	720	236	155
المغيـــــر	15	600	330	/
جامعـــــة	130	1320	825	/
تماريــرة	30	115	85	/
المقاريــن	350	340	99	/
بلـدة عمــر	2190	/	/	/
طيبـــات القبليـــة	1100	/	/	/
أولاد مـــولـى	175	230	/	/
عـرب الغرابـة	65	/	385	/
أولاد السائـــح	1040	/	/	/
تيـماسيـــــن	1650	1330	40	/
المجمـــــوع	**6825**	**4655**	**2000**	**155**

الجدول الأول: انتشار الطريقة التجانية بالجنوب الشرقي مقارنة مع الطرق الأخرى (حسب سجل المكتب العربي لتقرت سنة 1317هـ/1901م)

ب. **انتشار الطريقة التجانية في تونـــس :**

يمكن تقسيم فترة انتشار التجانية في القطر التونسي إلى فترتين الأولى تخص الفترة العثمانية والتي عرفت فيها الحركة انتشارا كبيرا في المناطق الشرقية والشمالية الشرقية، وبحكم العلاقات الجيدة التي كانت تربط الزاوية التجانية بتيماسين مع حكام تونس، لعبت دورا كبيرا في هذا المجال، بل ولقيت دعما ماديا ومعنويا وتسهيلات لبناء الزوايا، مما ساهم بشكل فعال في انتشارها وتطورها .

أما الفترة الثانية فقد تمت في ظل الإدارة الاستعمارية، والتي لقيت منها تسهيلات هي الأخرى، مكنتها من المحافظة على ممتلكاتها بل ودعمتها في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية[1].

ويعد إبراهيم الرياحي أول من أدخل ونشر مبادئ التجانية في تونس، بعد أن تلقاها على يد الشيخ علي حرازم في تونس في بادئ الأمر، وفي هذا الموضوع يقول إبراهيم الرياحي ‹‹ الحمد لله الذي منّ علينا بالاجتماع مع شيخنا العالم الهمام رأس العارفين سيدي علي حرازم، فأخذنا عنه والمنة لله الطريقة التجانية، المنسوبة لشيخنا أمير الأولياء مولانا وسيدنا أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد، في أواسط جمادى الأولى سنة 1216هـ ››[2].
وأثناء سفره إلى المغرب الأقصى سنة 1218هـ/1804م، التقى بالشيخ احمد التجاني في فاس، وتأثر به أيما تأثر، فأذن له بتلقين مبادئ الطريقة التجانية وأورادها ونشرها في تونس، هذا وتعد زاوية حوانيت عاشوراء أول زاوية تجانية بنيت في تونس[3].

---

1 . أحمد بن الشين، مرجع سابق، ص69

2 . عمر الرياحي، تعطيـــر النواحـــي ، ط1، ج1، مطبعة بكار، تونس، 1320هـ ص12.

3 . التليلي العجيلي، الطـــرق الصوفيـــة والاستعمـــار الفرنســـي في البلاد التونسيـــة (1881هـ/1939م) ، ط1، منشورات كلية الآداب، تونس، 1992م، ص44.

المـــــدن	عـــدد الزوايـا	العدد الإجمالي للأتباع
بنـــزرت	02	393
تونـــس	06	501
قرنيالة	01	51
مجـاز الباب	01	201
ســوق الأربعاء	01	22
باجـــــة	/	400
الكـــاف	01	1015
ســوســة	03	123
تالـــــة	/	5350
القيـروان	02	1575
قفصـــة	/	500
قابـــس	03	406
تـــوزر	03	555
مدنيـــن	01	68
تطاويـــن	/	5031
المجمـــوع	24	16054

الجدول الثـاني: انتشار الطريقة التجانية في تونس(حسب إحصائيات 1344هـ/1925م)

ت. **انتشار الطريقة في المغرب الأقصى:**

انتشرت الطريقة التجانية بالمغرب الأقصى خلال الفترة التي قضاها الشيخ التجاني في فاس ــ أي حوالي 17سنة ــ وفي هذه الفترة استطاع أن ينشر طريقته، فكانت الوفود تنزل عليه من مختلف النواحي والبلدان، كموريتانيا والسودان ومصر ودول المغرب العربي، وبذلك تأسست العشرات من الزوايا، وساعد على انتشارها تلك العلاقة المتميزة التي كانت تربط بين السلطان سليمان السعدي والشيخ أحمد التجاني، وهذه العلاقة دفعت بالكثير من السياسيين والمثقفين في البلاط السعدي إلى إتباع الطريقة وتعاليمها[1].

تعتبر زاوية فاس أول زاوية تجانية تأسست بالمغرب الأقصى سنة 1215هـ/1801م أسسها الشيخ التجاني بمعّية أصحابه ومريديه وبإعانة من السلطان سليمان[2]، ومما زاد في انتشار الطريقة وتوسعها وجود ضريح الشيخ التجاني بزاوية فاس، بحيث جعلها مركز استقطاب لدى الأتباع من الشرق والغرب ولا سيما من إفريقيا.

ومن أهم تلاميذ الشيخ التجاني الذين كان لهم دورًا بارزًا في انتشار الطريقة في المغرب الأقصى، نجد علي حرازم والعلامة سيكرج قاضي مدينة سطات، ومحمد بالقاسم بصري إمام الجامع العتيق بمكناس، وهو أول من بنى زاوية تجانية بها، والخليفة محمد الغالي بن محمد بن طالب الحسني، الذي أخذ عنه الحاج عمر الفوتي بالإضافة إلى الدور الكبير الذي قام به المؤرخ والأديب محمد الكنتوسي صاحب كتاب الجواب المسكت ومؤسس زاوية مراكش سنة 1262هـ/1846م، والذي بفضله أصبحت المدينة مركزًا هامًا للطريقة التجانية، إذ أصبح بها ما يزيد عن 12 زاوية تجانية[3]، هذا ولا تكاد تخلو مدينة كبيرة في المغرب الأقصى من وجود زاوية تجانية واحدة على الأقل[4].

---

1. Coppolani (x) Depont(o), op.cit. p439.

2 . أحمد بن الشين، مرجع سابق، ص71.

3. oxfond université press London 1965 p96 Abu Nasr (Jamil , tyaniyya sufi order in the modern world.

4 . Coppolani (x) Depont, (o), Op.cit. p96.

ث. **انتشار الطريقة التجانية في إفريقيا:**

لقد نجح التجانيون في نشر دعوتهم في مصر وبلاد العرب، وبعض أجزاء آسيا لكن التوسع الحقيقي في عقائد هذه الطائفة الدينية كان في السودان، وفي الدول الإفريقية التي احتلتها فرنسا سابقا، حيث أخذت طريقها في الانتشار إلى هذه المناطق في بادئ الأمر عن طريق الخط الممتد من فاس إلى المناطق الجنوبية لحوض السنيغال، مرورًا بموريتانيا والصحراء الغربية، ثم توسع فيما بعد ليشمل قلب الصحراء الجزائرية، انطلاقًا من بوسمغون، وعين ماضي فتيماسين، وقمار في ظل خلافة محمد الحبيب بن الشيخ التجاني، ففي هذه الحقبة التاريخية، اتجهت أنظار التجانيين بصفة خاصة إلى إفريقيا الوسطى ومنطقة الطوارق والسودان الغربي، ولم يقتصر نشاطهم على بعث الدعاة وتأسيس الزوايا فحسب، ولكن اتخذوا من التجارة وسيلة لنشر مبادئهم، فأنشئوا قوافل تجارية كانت تخترق الصحراء مرورا بأدرار ثم تومبوكتو ثم سيغوى، ومنها إلى السنيغال ذهابا وإيابا، ووفروا لها كل الشروط المادية والأمنية[1]، مما جعل الخيرات تتدفق على عين ماضي ــ عاصمتهم الروحية ــ خاصة في الفترة الممتدة من1246هـ ،1261هـ/ 1830م إلى 1843م، ولعل ذلك كان سببًا من الأسباب الهامة التي جعلتهم يرفضون مد يد المساعدة ولو معنويا للأمير عبد القادر الجزائري، الذي اضطر إلى محاصرة عين ماضي سنة 1259هـ/1839م، محاولاً اكتساب التجانية إلى صفوفه ولكن بدون جدوى .

أما فيما يخص المشايخ الذين لعبوا دورًا رئيسيًا في نشر الطريقة التجانية في هذه الأجزاء من القارة، فقد اتفق المؤرخون على أن أول من أدخل تعاليم التجانية إلى غرب إفريقيا، هو الشيخ محمد الحفيظ بن المختار بن الحبيب الملقب "ببادي" وهو من موريتانيا[2] كان قد زار التجاني في فاس سنة 1195هـ/1780م، وقد أخذ هذا الأخير تعاليم ومبادئ التجانية من صاحبها نفسه، وقام بدعاية هامة لصالحها في المنطقة، وقبل وفاته سنة 1246هـ/1830م

---

1 . عمار هلال، مرجع سابق، ص126.

2 . نفـــس المرجـــع، ص132.

استطاع بادي هذا أن ينشر التجانية بين أفراد قبيلته، حيث اعتنقها جميعهم كمذهب صوفي، وهو بذلك أول ممثل للتجانية بهذه الجهة[1].

البلـــدان	العـدد الإجمالي للسكان	غيــر المسلميــن	المسلمـــون	نسبة التجانيين
موريطانيا	03ملايين نسمة	/	%100	%60
السنغـــال	06 ملايين نسمة	%5	%95	%90
غينيا كوناكري	05 ملايين نسمة	%3	%97	%80
ساحل العـــاج	06ملايين نسمة	%43	%57	%70
نيجيريـــا	100 مليون نسمة	%35	%65	%65
النيجـــر	05ملايين نسمة	%10	%90	%80
مـــــالي	07 ملايين نسمة	%8	%92	%80

الجدول الثالـث: نسبة أتباع الطريقة التجانية في بعض دول إفريقيا الغربية (1985)*

وقد ساعدت كثرة مدارس التجانية على نشر تعاليمهم بين القبائل الوثنية حول نهر النيجر الأعلى والسودان، ففتحت هذه الغزوات ميادين جديدة لنشاط الدعوة التجانية، ومن أشهر ناشريها إلى جانب محمد الحفيظ نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيخ أحمد الشنقيطي، والشيخ مولود فال، وعن هذا الأخير أخذ الحاج عمر الفوتي تعاليم التجانية[2].

1. Reni lus (Marean), Africains musulmans nades édition Abidjan, cote d ivoire, 1982, p177

* . طالب عبد الرحمان، الرحلـــة التجانيـــة الإفريقيـــة (فيفـــري ، مـــارس ، أفريـــل1985م) غير منشور موجود في زوايا عين ماضي، تيماسين وقمـــار

2 . أحمد بن الشين، مرجع سابق، ص73.

وتعود أولى الحملات التي قامت بنشر الدعوة التجانية بالمنطقة، إلى الحاج عمر الفوتي الذي ولد سنة 1212هـ/1798م[1] بمنطقة بودور على السنيغال الأدنى، وكان أبوه من المرابطين، تثقف الحاج عمر ثقافة دينية عميقة واشتهر بعلمه وورعه، حيث خرج لأداء فريضة الحج سنة 1231هـ/1816م[2] فانظم في سلك التجانية على يد أحد زعمائها وهو الشيخ محمد الغالي مقدم الطريقة التجانية بالحجاز[3]، فزاده تعمقًا في الطريقة حتى أصبح الحاج عمر الفوتي من المعتصمين للطريقة، لاسيما بعد أن عينه الشيخ محمد الغالي خليفة للطريقة في السودان★.

في سنة 1249هـ/1833م عاد عمر الفوتي من مكة إلى مصر، وعبر السودان الأوسط بكثير من الأتباع، إلى أن بلغ جبال فوتا جالون بغينيا في حدود 1260هـ/1841م، وبدأ هناك سلسلة من الحملات الجهادية لنشر تعاليم الإسلام والطريقة التجانية بين القبائل التي كانت لا تزال على الوثنية، والتي كانت تقيم على النيجر الأعلى والسنيغال[4].

وتعد هذه الحملات الجهادية التي أعلنها الحاج عمر الفوتي والانتصارات التي حققها في المناطق الوثنية دافعًا هامًا في التفاف الكثير من القبائل حوله، وأصبحوا يتابعون منهجه ويمجدون الطريقة التجانية إلى درجة ارتبط تجديد نشر الإسلام ومحاربة الوثنية بالطريقة الصوفية التجانية .

---

1. حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1974م، ص46.

2. عمار هلال، مرجع سابق، ص124

3. أحمد بن الشين، مرجع سابق، ص73

★ . ترك الحاج عمر الفوتي عدة مؤلفات هامة في تاريخ الحركة الصوفية التجانية، لعل أهمها كتاب"رماح الرحيم على نحو الرجيم" وكتاب "سفينة السعادة" وكتاب"بيان ما وقع" للمزيد أنظر: محمد الحافظ التجاني، عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية، الزاوية التجانية، مصر، د ت، ص9 وانظر كذلك حسين حاجو، حركة عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن 19م، رسالة ماجستير غير منشورة معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1995

4. حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص48.

	اسم الزاوية	الموقع الجغرافي	تاريخ التأسيس	المؤسس	ملاحظات عامة
في الجزائر	زاوية قمار	قمار (وادي سوف)	1203هـ/ 1789م	مجموعة من القماريين بإيعاز من شيخ الطريقة أحمد التجاني	أول زاوية تأسست في تاريخ الطريقة التجانية ما تزال محافظة على تصميمها الأصلي رغم العديد من التجديدات والزيادات التي لحقت بها
	زاوية تيماسين	تقرت (ورقلة)	1218هـ/ 1804م	الحاج علي بن عيسى التيماسيني وهو أول خليفة بعد وفاة التجاني	حالتها جيدة رغم وجود بعض الأجزاء مهدمة وجود العديد من التجديدات الحديثة التي طغت عليها مادة الإسمنت والخزف والجبس
	زاوية الحجيرة	تقرت (ورقلة)	1252هـ ا/1836 م	محمد الحبيب التجاني الحجيري نجل الشيخ الحاج علي بن عيسى	حالتها جيدة مع الصيانة والترميم لها علاقة مباشرة بعين ماضي وتيماسين تكمن أهميتها في كونها تظم ضريح محمد الحبيب وجميع أبناءه
	زاوية عين ماضي	عين ماضي (الأغواط)	مابين سنتي (1782م و 1796م)	أسس أركانها الشيخ التجاني قبل سفره إلى فاس	تكمن أهميتها القصوى في كونها مسقط رأس الشيخ التجاني وبها أضرحة أبناءه وأحفاده لذلك تعتبرالمركز العالمي للطريقة وأكبرها على الإطلاق
	زاوية بوسمغون	بوسمغون (البيض)	أواخر السبعينيات	الشيخ أحمد التجاني وعمره آنذاك 31 سنة عبارة عن خلوة صغيرة	حالتها جيدة رغم أن عدد زوارها كبير من الجزائر وخارجها إلا أنها لا ترقى إلى مصاف الزوايا الأخرى من حيث البنية العمرانية والمعمارية
في المغرب	زاوية فاس	فاس	1215هـ /1801م	الشيخ أحمد التجاني بمعية أصحابه وبمساعدة السلطان سليمان السعدي	بها ضريح الشيخ التجاني مما جعلها مركز استقطاب من كل بقاع العالم أدى ذلك إلى زيادات وإصلاحات جذرية عبر مختلف المراحل التاريخية

الجدول الرابع: أهم الزوايا التجانية الموجودة في العالم

	اسم الزاوية	الموقع الجغرافي	تاريخ التأسيس	المؤسس	ملاحظات عامة
في المغرب	زاوية المواسين	مراكش	1262هـ/1846م	الشيخ محمد الكنتوسي التجاني	تأسست الزاوية تحت إشراف السلطان محمد بن عبد الرحمان وهي أول زاوية تأسست في مراكش وفي الجنوب المغربي ككل .
	زاوية باب أيلان	مراكش	؟	الشيخ أحمد محمود بن محمد التجاني	أخذ الشيخ أحمد محمود مبادئ الطريقة على يد محمد الصغير الشنقيطي عام1858م وتوفي بها عام 1901م أي أن الزاوية تأسست مابين هاتين السنتين
	زاوية حي بريمة	مراكش	1276هـ/ 1860م	الشيخ محمد بن لحسن المزوضي	هي أكبر زاوية تجانية في الجنوب المغربي والثانية من حيث التأسيس عرفت العديد من التجديدات والترميمات كانت آخرها عام1997
	زاوية المدينة القديمة	أسفي	1285 هـ / 1868م	مجموعة من التجانيين	تسمى زاوية الفقراء لأنها أسست من طرف مجموعة من الفقراء التجانيين ولا تزال تقوم بدورها رغم تعرضها للعديد من التصدعات .
في مصر	زاوية الجو درية	القاهرة	1260هـ/ 1844م	الشيخ قاسم الشارجي المراكشي	كانت في الأصل مكان لتجمع حجاج شمال إفريقيا وغربها ثم أصبحت المركز الرئيسي والوحيد للطريقة في مصر والقاهرة إلى غاية 1898م.
	زاوية المغربلين	القاهرة	1314هـ/ 1898م	محمد سرور أغا	هي ثاني زاوية تجانية تأسست في مصر وهي أكبرها على الإطلاق تضم العديد من المرافق كأوقاف خاصة بأتباع الطريقة.

الجدول رقم 4 : أهم الزوايا التجانية الموجودة في العالم

4. أهم مؤلفـــات التجانيين

إن مؤلفات التجانيين لم تقتصر على آداب الطريقة التجانية فقط، أو على التصوف فحسب، بل شملت جميع ميادين العلوم الإنسانية والفقه والحديث والتفسير وأدب السلوك، فنجد مثلاً قصيدة للسيد أحمد سكيرج ـ وكان قاضي مدينة سطات بالمغرب الأقصى ـ تشمل على ثلاثة آلاف بيت، ضمنها سبعة وثمانين فناً من الفنون العلمية[1] ولا يمكن حصر مؤلفات التجانيين لكثرتها، وإنما سوف نذكر بعض الشخصيات منهم والذين اشتهروا بالتأليف وهم:

1. علي حـــرازم، مؤلف كتاب "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني" من إملاء الشيخ أحمد التجاني.
2. محمد بن المشري الجزائري مؤلف كتاب "الجامع" من إملاء الشيخ أيضا
3. محمود بن المطماطية من قسنطينة بالجزائر له 146 تأليف كلها مخطوطة
4. أحمد سكيرج له 144 تأليف، طبع البعض منها، نذكر على سبيل المثال "كشف الحجاب" وكتاب "رفع النقاب"، الأول يقع في مجلد من الحجم الكبير، والثاني يقع في أربع مجلدات، وكتاب "طرق المنفعة بالأجوبة من الأسئلة الأربعة" وكتاب "السر الرباني"، كما ترجم لثلاثمائة عالم من علماء الطريقة يحملون اسم أحمد[2]
5. الفقيه الحجوجي، من المغرب الأقصى له 92 تأليف، بعضها مطبوع، نذكر منها "إتحاف أهل المراتب العرفانية" والذي يقع في تسع مجلدات، والعلماء في نظر الفقيه هم الذين جمعوا بين المعقول والمنقول، والتفسير والحديث، والفقه وأصول الفقه، واللغة والتاريخ والتوحيد وغيره[3]

---

1. طالب عبد الرحمان، الرحلـــة التجانيـــة الإفريقيـــة، مخطوط غير محقق وغير منشور، توجد نسخة منه في زوايا عين ماضي، تيماسين و قمار، ص14
2. طالب عبد الرحمان، المرجع السابق ص15
3. نفســـــه

6. السلطان مولاي حفيظ، وله عدة مؤلفات في الطريقة التجانية، منها قصيدة سماها "الجامعة العرفانية في فقه الطريقة التجانية" وشرحها في أربع مجلدات كما له قصائد عن الشيخ أحمد التجاني.

7. أحمد الناظيفي المراكشي المغربي، له قصيدة بعنوان "الخريدة"

8. العربي بن السائح، صاحب كتاب "بغية المستفيد"

9. أبو عبيدة التجاني، صاحب كتاب "ميزاب الرحمة"

10. محمد بن المختار، صاحب كتاب "مولد إنسان الكمال"

11. الحاج مكي عبد الله التجاني، صاحب كتاب "سبيل السلام في الدفاع عن طريق السادة الصوفية الكرام"

12. محمد الحافظ التجاني، وهو معروف بكتابه "قصد السبيل في الطريقة التجانية"

13. محمد عبد الله، مؤلف كتاب "الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني"

14. عبد الباقي مفتاح، صاحب مخطوط "أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه"

15. محمد الأمين محمد علي التجاني التيماسيني، صاحب "درر الفيوض التيماسينية في شرح حقائق مسيرة الإمام أبو العباس أحمد التجاني قطب الأحمدية"

16 .عبد الرحمان طالب، صاحب مخطوط "الرحلة التجانية الإفريقية" وكتاب "الشيخ أحمد التجاني ومناهجه في التفسير والفتوى والتربية".

بالإضافة إلى كل هذه المؤلفات هناك العديد من الكتب والمخطوطات المهمة الأخرى لا يسعنا أن نذكرها جميعًا، يبقى أن نشير فقط إلى أن هذه الكتب والمخطوطات موجودة كلها تقريبًا في زاويتي قمار وتيماسين، اطلعت على بعضها ولم يُسمح لي الإطلاع على أخرى.

ثانيـــاً: تعريف الزاويـــة ونشأتهـــا:

1. تعريف الزاويـــة :

إذا تكلمنا عن الزاوية من الجانب اللغوي، فهي كلمة مشتقة من الفعل زوى، أي انخلى

والمصدر الزاوية، أي الخلوة ويقال انزوى القوم بعضهم إلى بعض، إذا تدانوا وتضاموا[1]، أما من الجانب الديني والاجتماعي، فالزاوية مؤسسة دينية قائمة بذاتها مستحدثة في المجتمع الإسلامي[2]، وتعني بمفهومها البسيط مكان انزواء وخلوة للعباد والصالحين، ففيها يلتقي الشيخ بمريديه لإقامة حلقات الذكر وقراءة الأوراد وحفظ القرآن وبعض العلوم الدينية الأخرى، والزاوية التي هي من هذا النوع، تكون ملكًا لصاحبها يتوارثها أبناءه وأحفاده من بعده[3]، ويُدفن فيها المؤسس وأبناءه وتصبح محجةً للسكان في تلك الناحية ولكل مريديه، يقصدونها للتبرك بضريح الشيخ وتقديم الهدايا وإقامة الحضرات على شرفه، ويحاط الخلفاء بهالة من التقديس والاحترام .

أما من الجانب المعماري، فالزاوية عبارة عن تجمع من البنايات ذات طابع ديني[4] بحت، شبهها بعض المستشرقين بصومعة الراهب المسيحي[5]، كما شبهها آخرون في طريقة تسييرها بالدير في العصور الوسطى[6]، كما أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى[7]، جمعت الزاوية بين هندسة المسجد والمنزل والمدرسة، وقد تكون كثيرة الرطوبة والعتمة قليلة النوافذ، شكلها يوحي بالعزلة والتقشف والهدوء[8]، وقد تكون عكس ذلك، فهناك زوايا

---

1 . علي حملاوي، نمـــاذج من قصـــور منطقـــة الأغـــواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 2006م ص222

2 . التليلي العجيلي، الطـــرق الصوفيـــة والاستعمـــار الفرنســـي بالبلاد التونسيـــة، (1981 ــ 1939م) ط1 منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس، 1992م ص35

3 . يحي بوعزيز، أوضـــاع المؤسســـات الدينية في الجزائـــر خلال القرنيـــن (19 ــ 20م)، مجلة الثقافة، العدد63 وزارة الثقافة ، الجزائر، ماي ــ جوان 1981م ص17

4 . علي حملاوي، مرجع سابق ، ص222

5 . عن أوجه التشابه بين الزاوية وصومعة الراهب المسيحي أنظر:

Pauloinot, « Role politique des confréries religieuses et des zaouias au Maroc », in : Bulletin de société et de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, 1930.p37

6 . Eugene daumas, mœurs et coutumes de l Algérie, sindibad, paris, 1988, p237, 238

7 . محمد نسيب، زوايـــا العلـــم والقـــرآن بالجزائـــر، دار الفكر مطبعة النخلة، الجزائر، د ت، ص27

8 . أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ج1، ص270

فريدة في تصميم عمارتها وتنوعها وثراء زخارفها وأناقتها[1]، ولعل ذلك يرجع إلى مكانة الزاوية وارتباطها بالطريقة الأم، فبقدر ما تكون تلك الزاوية تابعة لطريقة ذات نفوذ واسع بقدر ما تحظى الزاوية بنفوذ مادي ومعنوي كبيرين، ومن ثم فالحجم العمراني لتلك الزاوية يكون أوسع وأجمل .

تتكون الزاوية عادة من مباني محاطة بسور، في وسطه ضريح لأحد المرابطين تعلوه قبة[2]، هي مرقد الشيخ المؤسس، ويعتبر مكان مقدس، وقد يدفن خلفاء مؤسس الزاوية بنفس الضريح أو في أضرحة منفصلة، وان كان لها مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة، كما توجد حجرة لتحفيظ القرآن، وأخرى للتراتيل، وحجرات يأوي إليها الشيخ، وأخرى لباقي الأعضاء وزوجاتهم وأطفالهم وخدمهم[3]، إضافة لإيواء المنتسبين والزوار والمسافرين[4]، كما تقوم بإطعام المحتاج[5]، وعادة ما يكون للزاوية الرئيسية زوايا فرعية أخرى، على حسب عدد مريديها وأتباعها .

2. <u>نشـــأة الزاويـــة وتطورهـــا</u>:

لقد عرف العام الإسلامي أول بيت للزهد والتعبد على عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، عندما بنى والي البصرة بالعراق زيد بن صوحان بيتا لبعض المسلمين يتفرغون فيه للعبادة طوال اليوم والليلة[6]، ثم كانت الأربطة التي أنشئت على أطراف الدولة الإسلامية، حيث كان المسلمون يحبسون أنفسهم للجهاد والحراسة تنفيذا

---

1 . علي حملاوي، مرجع سابق ص223

2 . الرّصاع الأنصاري، فهرســت الرصـــاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي، من سلسلة تراثنا الإسلامي، المكتبة العتيقة، تونس، د ت ص197

3 . سبنسر ترمنجهام، مرجع السابق، ص ص 265 269

4 . الرصّاع الأنصاري، ما قبله ص197

5 . ابن مرزوق التلمساني ، المسنـــد الصحيح الحســـن في مآثـــر ومحاســـن مولانا أبي الحســـن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد ، من سلسلة النصوص والدراسات التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م ، ص413

6 . محمد رزق(عاصم)، مرجع السابق، ص 94 .

لقوله تعالى ﴿ **يأَيُهَا الذّين آمنُوا اصبرُوا وَ صَابرُوا ورَابطُوا....** ﴾[1] خاصة في شمال إفريقيا، كرباط المنستير179هـ/795م، ورباط سوسة 206هـ/821م، وهي مرحلة تميزت بظهور التصوف الحقيقي القائم على الزهد والتقشف، ثم ظهرت كلمة خانقاه لأول مرة في النصوص العربية خلال القرن 4هـ/10م، في خرسان وهي كلمة معربة عن الفارسية، ومعناها رباط الصوفية أو بيت الدراويش[2]، وفي النصف الأول من القرن 3هـ/9م، عرفت الخانقاه مرحلة مهمة من مراحل التأسيس والتنظيم، خاصة بعدما أُلحق بها مدفن مؤسسها أو الصالحين من الزهاد والصوفيين، وعرفت انتشارًا كبيرا خاصة في مصر والعراق وسوريا، وارتبطت بالمذهبين الشافعي والحنفي، كما أنشأ السلاجقة البعض منها في دمشق في أواخر القرن 5هـ/11م، كما أنشا صلاح الدين الأيوبي خانقاه الصلاحية في القرن6هـ/12م، لتكون مركزًا للصوفية والمريدين[3].

وفي العهد المملوكي، استخدم لفظ الخانقاه بعكس معناها المعماري ووظيفتها الصوفية المشار إليها[4]، بحيث أصبحت تشمل على المدرسة والضريح في آن واحد وهو ما يلاحظ في خانقاه بيبرس الجاشنكيز★ 8هـ/14م[1]، وفي العهد العثماني ظهر مصطلح التكية، في

---

1. سورة آل عمران، الآية200.
2. محمد رزق(عاصم)، مرجع السابق، ص94.
3. نفسه ص94.
4. نفسه ص94.

★ . اسمه بالكامل هو ركن الدين بيبرس البندقداري، من أصل تركي ولد تقريباً في عام 620هـ – 1223م بمنطقة القبجاج قريباً من نهر الفلوجا بوسط أسيا، وقد وقع بيبرس في الأسر من قبل المغول وتم أخذه من بلاده حيث بيع في دمشق لرجل يدعى "العماد الصايغ" ثم اشتُري عن طريق الأمير علاء الدين أيدكين الملقب بالبندقداري والذي أخذ منه بيبرس لقبه بعد ذلك، فأصبح "بيبرس البندقداري".

انتقل بيبرس بعد ذلك من الأمير علاء الدين إلى الملك نجم الدين أيوب الذي قام بمصادرة جميع أملاك الأمير علاء الدين والمماليك أيضاً، وانضم بيبرس إلى فرسان المماليك البحرية تحت قيادة الأمير أقطاي، وبدأ تفوق بيبرس كفارس يتجلى ويظهر بوضوح، وخاصة في موقعة المنصورة والتي برز أداء بيبرس فيها كقائد في الوقوف في وجه الحملة الصليبية والقضاء عليها، وأسر الملك

المناطق الشرقية من الدولة، وهي نوع من العمائر الإسلامية لا تختلف كثيرًا عن الخانقاه، من حيث الهدف والغاية وان اختلفت عنها بعض الشيء في التخطيط والعناصر، ولعل تسميتها بالتكية مأخوذ من الاتكاء، بمعنى الاستناد لأن المقيمين كانوا يستندون في أمر إقامتهم ومعيشتهم على ما كان ينفق عليهم من الأوقاف المحبوسة عليها من قبل السلطات[2].

أما الزاوية في بلاد المغرب الإسلامي فقد عرفت في أواخر القرن 5هـ/11م باسم دار الكرامة، التي شيدها يعقوب المنصور الموحدي في مراكش، وعرفت بعد ذلك عند المرينيين باسم دار الصوف، إشارة إلى الزاوية العظيمة التي بناها أبي عنان فارس المتوكل[3].

ومع بداية القرن 7هـ/13م أصبح مصطلح الزاوية مرادفا للرباط* أو الصومعة، وهو المكان المخصص لإقامة الولي مع تلامذته من أجل العطاء الديني والعلمي، كما عرفت بالمغرب الإسلامي بأنها مؤسسات الطرق الصوفية، كان هدفها الحفاظ على القرآن الكريم وتحفيظه للأجيال، بالإضافة إلى إيواء اليتامى وعابري السبيل[4]، وازداد هذا النوع انتشارًا

لويس التاسع ملك فرنسا، كما برز أدائه كفارس في العديد من الصراعات الداخلية التي أشترك فيها مع قائده أقطاي.

وما تزال العديد من المعالم الأثرية المتبقية من عصر الظاهر بيبرس واقفة لتشهد على مدى ازدهار عصره ومدى حرصه على النهضة بالبلاد، هذا على الرغم من البداية السيئة التي وصل بها للحكم بعد قيامه بالاتفاق مع عدد من الأمراء على قتل سلطان البلاد "سيف الدين قطز" فكان صاحب الضربة التي أودت بحياة السلطان ثم تم تنصيبه سلطاناً للبلاد خلفاً لقطز لتبدأ مرحلة جديدة من الحكم.

1. حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، مصر، 1979، ص173.

2. عاصم محمد رزق، مرجع سابق ص. 57 58.

3. محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، 1966م ص25.

*. الرباط والمرابطة هو ملازمة ثغر العدو ، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغور رباطًا، سواء كان المرابط فارسا أو راجلا.

4. مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ص331.

ابتدءًا من القرن 10هـ/16م بعد هجمات الأسبان والبرتغال على شواطئ المغرب الإسلامي[1].

وعمومًا يمكن القول بان الزوايا في المغرب الإسلامي، خضعت بصفة مباشرة للظروف السياسية والعوامل الاجتماعية والطبيعية، فكانت في أول أمرها منتشرة على السواحل التي نزل بها الأعداء والمناطق المهددة، أي في المدن على مساحات محدودة حيث كان الطلبة جنودًا وعلماء في الوقت نفسه، وما إن زال الخطر الخارجي انتشرت بالبوادي والأرياف، حتى أصبحت ميزة أساسية للحياة الصحراوية والجبلية[2]، ولعل هذا ما يفسر انحصار الأربطة وكثرة الزوايا بالمناطق الغربية من المغرب الإسلامي، حيث ظل الإسبان محتلين لوهران والمرسى الكبير حتى سنة 1207هـ /1792م فكانت الزاوية بحق حصنا لرد الكفار[3]، هذا وقد ازدهرت بالمناطق الصحراوية سلسلة من الزوايا، عظم شأنها وازداد نفوذها حتى تحول بعضها إلى مدن، مثل عين ماضي تيماسين وقمار وبوسمغون.

3. مراحـــل تكّـــون الزاويـــة:

إن العملية التي يقوم بها المرابط عبارة عن مراحل متعددة وهي:

أ. الخُلـــوة أو الاعتزال:

إن المريد بعد نيل إجازة معلمه وبركته الإلهية، يذهب هو الآخر ليبث ما أمره الله به للعالم من الرحمة الإنسانية والعقيدة، فيهيم على وجهه أيامًا وشهورًا وربما أعوامًا، إلى أن يستقر به المقام في خلاء موحش، ربما كهف أو مغارة... ينشغل فيه بالصلاة والمجاهدات

---

1 . محمد نسيب، مرجع سابق ص31

2 . Alfred (Bel), « coup d œil sur l Islam en berberie ›› esctrait de la revue des religion janv- fev 1917 angers imprimeur et autres, Paris, 1917, p18.

1. Murati (p), le maraboutisme ou la naissance d'une famille éthnique dans la région de Tébéssa, extrait de la Rev Afr ,n°371,2°trimestre,1937,société historique algérienne, Alger, P 10-13.

2. Villot mœurs , coutumes et institutions 3ene éditions librairie Adolphe Jourdan, Ager 1888 p454.

والزهد في الملذات، لا يطول به المقام حتى يلاحظه الرعاة ويحترمون خلوته، لكن فضول الإنسان يدفع بالناس إلى التقرب منه، ويرون فيه النشوة والروحانية، رغم ضعف بنيته فهو لا يبالي بدنياهم، ما يقوي إيمان العامة فيه، ويلّحون عليه أن يدعوا لهم فتتضاعف الماشية والغلة[2].

ب. الاحتكاك بالنـاس:

تتهاطل الهدايا على الشيخ لكنه يرفضها في بادئ الأمر، ثم يقبلها تحت إلحاحهم، ويطلبون منه الطلاسم للحفظ من شر العين والعفاريت، وتسأله النساء الخصوبة تودداً لأزواجهن، وترجوه الأمهات شفاء أطفالهن، ويتوافد عليه الزوار يشكون له الجفاف و الجراد والأمراض، فيسمعون توجيهاته ونصائحه، التي محركها الأبدي هو حب الله.

ج. تأسيـس الزاوية:

عندما تتعدى سمعة الشيخ المرابط حدود المكان المتواجد به، فتحط بالقرب منه عائلات كاملة تسكن خياما بالية أو أكواخا من طين و أغصان... و يكبر التجمع حوله بحيث يكوّن قرية صغيرة، يقترح شيوخ التجمع على ذلك المرابط بناء زاوية له للعبادة و المهام الأخرى المذكورة، ثم الزواج من بناتهم، فيتكون من أبنائه وأحفاده أسرة تكون محل التقدير و الاحترام، وعند وفاة المرابط يرفع له أبناؤه و أحفاده و المعجبون به فوق قبره قبة تحت ظلها تصلي الجماعة، و تنمو و تنقل بوفاء ما حفظته من ذكر جدها المقدّس.

يمكن أن نجعل الشيخ أحمد بن يوسف الملياني مثالاً لما ذُكر أعلاه، فقد تزوج من القبيلة التي استقبلته بالزواوة، وأسس زاوية ثم درّس بها، و خلف ذرية، رغم أنه لم يدفن هناك، لكن ذريته أصبحت فيما بعد قرية سميت باسمه (قرية آيت أحمد بن يوسف)[1]، كذلك الشيخ سيدي بوزيد (القرن 16م) الذي اختلى في جبل عمور، لكن سمعته سبقته والتف حوله

---

1 . أحمد ساحي، "أحمـد بن إدريـس البجـائي الأيلولـي (القرن 8هـ/14م) و دور زواوة في التـراث العربـي الإسلامـي" مجلة الدراسات التاريخية، العدد 7، معهد التاريخ،جامعة الجزائر،1993،ص 65.

الناس، و بعد وفاته رفعوا له قبة و سكنوا بالقرب منها[1]، و الشيخ سيدي منصور الجنادي المتوفي في1056هـ/1645م، فقد استقبلته قبيلة ببلاد القبائل و ولد له هناك عقب*..

4. مـــوارد الزاويـــة:

تتمتع الزوايا بموارد اقتصادية متنوعة تزيد أهميتها أو تنقص بحسب مكانة الطريقة في حد ذاتها، وبحسب عدد مريديها وأتباعها ونوعية الشرائح المنتمية إليها، وعمومًا تتغذى الزوايا من مصدرين أساسيين وهما:

1. **الممتلكات القـــارة:** عبارة عن حبوس وأوقاف خاصة وعامـــة يوقفها أصحابها خدمـــة للزواية (الطريقة)، كالبساتين والأشجار المثمـــرة والأرض الزراعية، والمباني العقارية والمدارس....الخ، إلا إن الإدارة الاستعمارية صادرت الكثير من الأوقاف بمقتضى قرار 1830/12/07م وقرار1848/10/13م القاضي بإلحاقها إلى أملاك الدولة[2].

2. **الممتلكات المنـــقولة:** ونعني بها الصدقة والزيارة والهدايا والزكاة والعشـــور.

أ. الصدقـــة: وتشمل الصدقات العينية والنقدية، وهي غير محددة، حيث يقتطع كل مريد قسطًا من مبيعاته ومنتجاته، يتصدق بها للزاوية تيمنًا ببركته.

ب. الزيـــارة: هي الأخرى تقدم نقدا أو عينًا في شكل حبوب، تمـــور، زيـــوت ومواشي....الخ[3]، وتقدم مرتين في السنة في نهاية فصل الربيع، وفصل الخريف، والزيارة لا يستثنى منها أحد.

ج. الزكاة والعشـــور: تدفع مرة في السنة وتقدم في كثير من الأحيان عينًا.

د. الهـــدايا: ليس لها أوقات محددة[4].

---

2. Trumelet (C), L'Algérie légendaire en pelérinage ça et la au tombeaux des principaux , Thaumaturges de l'Islam (Tell et Sahara), libraire Adolphe Jourdan, Alger, 1892, P30.

* . نذكـــر منهم داوي أحمد بن محمد شيخ زاوية سيدي منصور الجنّادي بقرية ثميزار بأزفـــون

2.Rinn, op.cit, p254

3. Rinn, op.cit, p516, et, Coppolani et Depont, op.cit, P 195

4. التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص57

ويعود التفاوت في الثروة بين مختلف الزوايا إلى عوامل عدة، منها تنوع الموارد، والتوزيع الجغرافي، وعدد أتباع الطريقة، فمثلاً وقوع الأراضي الزراعية المحبوسة في المناطق الخصبة يعود على الزاوية بالربح والإنتاج الوافر كمًا وكيفًا، وهي ليست كالأوقاف الواقعة في المناطق القاحلة ولو زادت مساحتها[1].

والموقع كذلك يُفسر من الناحية الاقتصادية، فوقوع الزوايا التجانية على مشارف الطرق الرابطة بين المغرب وتونس وحتى المشرق وتحكمها في طرق القوافل العابرة للصحراء، والقادمة من السودان جعل من زواياها محطات تجارية آمنة، هذا الموقع مكن الطريقة التجانية من الحصول على أرباح كثيرة، إضافة إلى امتلاكها العديد من أشجار النخيل في الجزائر والجنوب التونسي، إضافة إلى عدد الأتباع وتوزيعهم الجغرافي ووضعيتهم الاجتماعية، لأن هذه الأمور كلها تحدد المردود السنوي العائد من الزيارات التي تعد موردا هاما بالنسبة للزوايا والطرق بصفة عامة، فانتشارها في وسط الطبقة التجارية والأسر الغنية والفئات الميسورة يوفر لها موارد هامة.

مع العلم أن الإدارة الاستعمارية تنبهت إلى البنية الاقتصادية للطرق الصوفية، ورأت في ذلك خطرًا على وجودها، بل اعتبرت الطرق بمثابة دويلات داخل دولة، فراحت تضعف الكثير منها عن طريق مصادرة الحبوس ومنع الزيارات بحجة أنها تثقل كاهل الناس إلى درجة أصبحوا غير قادرين على دفع الضرائب للسلطات الاستعمارية[2].

إلى جانب تضييق الخناق على شيوخ الطرق قصد تركيعهم واحتوائهم وتوظيفهم حسبما تقتضيه مصلحة الإدارة الاستعمارية.

5. <u>الهيكـــل التنظيمـــي للزاويـــة:</u>

ـ **<u>الشيـــخ</u>:** يأتي على رأس الهرم وهو المدرس والمصلح والمفتي والمستشار والدليل الروحي لكل من يلجأ إليه، يستمد نفوذه من مكانته الدينية، باعتباره العارف بالله والقادر على تربية النفوس، يقول في شأنه السهروردي «وهو صاحب المكاشفات والكرامات والبركات

---

1. نفـس المرجـع، ص 61

2. Rinn, op.cit, p450

يملك المعرفة الحقة بالشريعة، وهو الذي يكشف الداء ولديه الدواء الشافي، وعنده كل الأسرار التي منحه إياها الله عز وجل.... والشيخ لا يعترف إلا بقوة الله ورسوله»[1].

كما يصفه الخوارزمي بقوله « إن الواحد منهم خفيف الظهر من كل حق، منفك الرقبة من كل رق، لا يلزمه أداء الزكاة، ولا تتوجه إليه عوائل النائبات، ولا يستبطئه إخوانه، ولا يطمع فيه جيرانه، ولا تنتظر منه في الفطر صدقة، ولا في العيد أضحية، فهو كالمسجد يُحمل إليه ولا يُحمل عليه، ويُؤخذ بيديه ولا يُؤخذ من يديه، فهو إما غانم أو سالم»[2].

وقد أحيط الشيوخ بهالة من التقديس في نظر الأتباع والمريدين، فأصبحوا هم مصدر السعادة والخير والنفع والشر والضرر، فكل من مسه الأذى أو الشقاء إلا واعتبره غضبًا من الشيخ فيسرع إلى ضريحه لنيل مرضاته، فهو واسطته التي يتوسل بها عند الله فيقدم له الهدايا والزيارة، ويتعهده بالطاعة والولاء له ولخلفائه، ويداوم على ورده(إن كان الشيخ صاحب الطريقة).

وكثيرا ما تُنسج الخرافات وتمارس الشعوذة عند ضريح الشيخ، وتنسب له أمورــ حتى يصبح مصدر ثراء لخلفائه ــ وهو من ذلك بريء، فكم من شيخ نُسبت إليه أقوال وأفعال، بل حتى مؤلفاته حُرفت وتحولت الكثير من زواياه عن العبادة والعلم إلى ممارسة طقوس لا تمت للدين بصلة فحَسبها العامة من الناس أنها الدين بعينه نظرًا لانتشار الأمية،

كما أن هناك بعض أشباه المشائخ من وجد في ظاهرة انتشار الأمية فرصة لفرض نفسه على العامة، عن طريق الترهيب وتهديد الناس في صحة أبدانهم وثروتهم وعقم نسائهم إن هم عصوه أو لم يدفعوا له الزيارة.

ــ **<u>الخليفــة</u>:** يأتي في المرتبة الثانية، فهو الذي يرث مقاليد الطريقة وعادة ما يسمى بالخليفة الأكبر أو بصاحب السجّادة، ويتوارث الأبناء والأحفاد بركة الشيخ، اللهم إلا في حالات نادرة

---

1. أبو حفص عمر السهروردي، عــوارف المعارف، تحقيق محمود غيث، نشر مكتبة القاهرة، 1398هــ، ص412

2 . أبي بكر الخوارزمــي، الرسائـــل، ط1، مطبعة الجوائب، القسطنطينية،1227هــ، ص 90.

كما هو الشأن بالنسبة للتجانية، حيث أوصى بها الشيخ التجاني قبيل وفاته إلى أحد مقدميه المقربين وهو الحاج علي التيماسيني صاحب الزاوية التجانية بتيماسين[1]

يسهر الخليفة على تسيير الطريقة والدفاع عن مصالحها، فيحافظ على أوراد الطريقة وأذكارها فلا يزيد فيها ولا ينقص، ولا يفشي الأسرار الموروثة فهو بمثابة المدير العام المسؤول على تسيير مجموعة وحدات، تحت إمرته عدد من الشيوخ يدعون بالمقدمين[2]، وقد يكون الخليفة هو النقيب بالزاوية الأم[3].

أما بالزاوية المحلية فيقوم شيخها بتعيين خلفاء للمناطق، والذين غالبًا ما تصبح منازلهم زوايا وليدة متفرعة[4]، إلا أنه في بعض الأحيان تقع نزاعات بين الأبناء أو الأحفاد مما يؤدي استقلالية بعض الزوايا الفرعية للطريقة أو تضعف إدارتها المركزية، فيستغل المقاديم ضعفها ويعلنون الانفصال عنها مثلما حدث مع بعض زوايا الطريقة الرحمانية.

ـ **النائـــب:** نجده في الزوايا الأم يحل محل الخليفة أثناء غيابه لضمان سير الإدارة المركزية للطريقة، ولا تعطى له كافة الصلاحيات[5]، وعادة ما يقوم بهذه المهمة الوكيـــل.

ـ **الوكيـــل:** يعوض المرابط حالة وفاته، وانقطاع عقبه، ويلتزم بذلك حرفيا جميع طلبة الزاوية والأتباع المعروفين، وتحديدا الإخوان، فيوزعون بينهم– حسب قدراتهم ومكانتهم من شيخ الزاوية – الخدمات و المهام المتعددة، وقد يلجؤون أحيانًا– حرصا على مصلحة الزاوية – لوضع تعليمات وإجراءات محددة في شكل قانون داخلي للزاوية، يحفظ بالتواتر أو يسجل كتابيا[6].

---

1 . Coppolani et Depont, op.cit, P 195-196, et, Bel, L 'Islam myslique, op.cit, P 25-26.

2.Brosselard (Charles) " les inscriptions arabes de tlemcen",in RevAfr, N°5,1860 OPU, Alger, p21 .

3. Coppolani et Depont, op.cit, P 207-208.

4 . سبنسر ترمنجهام، مرجع السابق، ص 268.

5. Coppolani et Depont, op.cit, P 195.

6 . ناصر الدين سعيدوني، مؤسســـة الزوايـــا، مرجع السابق ص 7 كذلك,

Delpech(A) , « La zaouia de Sidi Ali Ben Moussa ou Ali N'Founas », in Rev Afr, N°18,1874 OPU,1986 , P 87

يقوم الوكيل بأعمال وشؤون الطريقة انطلاقا من الزاوية الأم، فهو بمثابة المقتصد في المؤسسة والمحاسب، والمسيّر ورجل الأعمال، يشرف على الجوانب الإدارية، من مراسلات، تجهيز، وضبط الميزانية، كم يعمل على حراسة وحماية ضريح سيده، تحت إدارته عدد من الخدم (الشاوش)[1].

وبقدر ما يكون الوكيل يمارس مهامه من الزاوية الأم بقدر ما تكون أهميته كبيرة، كما هو الحال بالنسبة للزاوية الطيبية في وزان بالمغرب الأقصى، أو الزاوية القادرية ببغداد، أو الزوايا التجانية بعين ماضي وتيماسين وفاس، أما في الزوايا الثانوية فعادة ما يكتفي الوكيل ببعض المساعدين.

يساعد الوكيل مجموعة من الخُدام يقودهم مقـــدم يسمى عند بعض الطرق مقـــدم الخدام[2]

ـــ **مقدم المقاديم:** تنفرد الطريقة التجانية باستحداث منصب مقدم المقاديم في الجهة التي يكثر فيها المقاديم وزواياها، من أجل تخفيف الأعباء عن الخليفة في الجهة التي يكثر فيها المقاديم، وضمان السير الحسن لا سيما في المناطق التي تبعد عن مقر إقامة الخليفة، فمقدم المقاديم هو بمثابة المدير الجهوي المكلف بمراقبة المقاديم العاملين في جهته، كما يمكنه تعيين المقاديم بتفويض من الخليفة.

ـــ **المقـــدم:** مندوب الخليفة أو ممثل للشيخ أمام العامة[3]، بالزوايا الفرعية وقد يمنحه الشيخ صلاحيات واسعة بالمناطق البعيدة عن مقر إقامته، لكن وبسبب اتساع الرقعة الجغرافية لبعض الطرق، حدثت اللامركزية، حيث ظهرت زوايـــا جديدة تحت رعاية شيخ محلي، أو بانتخاب المقدم الذي يمنحه شيخ الطريقة الأم إجازة[4]، وعلى المقدم أن يسير منطقة محددة

---

1. Coppolani et Depont, op cit, P 207-208

2. Coppolani et Depont, op cit, P207

3. Coppolani et Depont, op cit, P 195-196,et, Bel, l 'Islam mystique, P25- 26

4. Bel, l'Islam mystique, op cit, P 22-23, et, A. Delpech, « Un diplôme de mok’edem de la confrérie religieuse Rahmania », in Rev Afr, N°18, 1874, OPU, Alger, 1986, P419.

دينيًا، يراسل الخليفة ليطلعه على الأخبار أو يطلب منه نصائح، له خاتم، و تحت إمرته نقيب[1].

يترشح لمرتبة المقدم كل مريد توفرت فيه مواصفات معينة، كالسمعة الجيدة بين المريدين وعند مسؤوليه، والتحلي بالآداب مع الخاصة والعامة، والإستعاب الجيد لأفكار وأوراد الطريقة .

تمنح إجازة مكتوبة بمثابة دبلوم للمقدم المرسّم، وهذه الإجازة تخّول له حق تلقين ورد الطريقة والإشراف على مجموعة من المريدين المقيمين في حدود المنطقة المعينة له[2]، وتتضمن الإجازة عادة التعريف بالمقدم ــ سلسلة الطريقة وذكرها ــ أسلوب تلقينه للأتباع، وينتهي نص الإجازة بتقديم النصح للإتباع بطاعة المقدم[3].

ــ **النقيـــب:** بالزاوية الأم هو الخليفة، ينوب عن الشيخ، يسمى كذلك شيخ الحضرة، يقوم عادة بإمامة الصلاة[4].

أما بالزوايا الفرعية فمهمته نيابة الشيخ في الأوقات اللازمة، تحت إمرته عدد من الأعوان الثانويين أهمهم الرسول[5].

ــ **الرسول أو الشاوش أو الراقب:** بالزوايا الفرعية هو رسول المقدم للعامة، يقوم بإخطار المريدين بموعد مرور المقدم لجمع الصدقة[6]، أما بالزاوية الأم فيتواصل بينها وبين فروعها، كذلك يتواصل بين الشيخ والخليفة[7].

وكثيرًا ما يحظى الرُقاب بالترحاب من قبل المريدين أثناء تأدية مهامهم، ويتميزون عن غيرهم بحمل ترخيص من قبل الجهة المكلفة لهم.

---

1 . Brosselard, OP Cit, P9.

2 . محمد ابن عبد الله، الفتـــح الرباني فيما يحتاج إليها المريد التجاني، مطبوعات الحاج عبد السلام، مصر (د ت) ص31

3 . التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص38

4. Coppolani et Depont, op cit, P 207-208.

5 . Brosslard, op cit, P 9.

6. Coppolani et Depont, op cit, P 195-196, et, Bel, l 'Islam mystique…op Cit, P 25-26.

7. Brosslard, op cit, P 9.

ـ **المريـــدون:** يشكلون قاعدة الهرم، يُطلق عليهم "الإخوان" في المغرب العربي، بينما يُعرفون في المشرق باسم "الدراويش"، ويتميزون بأسماء مختلفة من طريقة إلى أخرى مثلاً عند القادرية يُعرفون باسم الفقـــراء، وعند التجانية يُعرفون باسم الأحباب[1]، وأهم شيء يُلقن للمريد عند انخراطه في الطريقة هو طاعة أهلها وعلى رأسهم الشيخ، وأن يطبق القاعدة الصوفية المشهورة "اعتقـــد ولا تنتقـــد".

6. الانخـــراط في الطريقـــة:

يمكن لكل الشرائح أن تنضم إلى الطريقة الصوفية، وهذا ما عمل على قوتها، وحيويتها[2]، ومن ذلك دخـــول المرأة الطرق، وتنظيم حلقات للنساء[3] منفصلة عن تجمعات الرجال، وعلى رأسهن مقدمة[4].

ويتم الانخراط في الطريقة على يد الشيخ لبركته[5]، والانضمام للطريقة بسيط، يبدأ بتقديم بعض النصائح الخاصة بالطريقة، ثم قراءة ذِكر سهل للحفظ[6]، و لخلق علاقة مع مصدر النفوذ يقف المريد أمام الضريح و يتلو الفاتحة[7]، ثم يقسم بين يدي المعلم بأن يمنح نفسه للطريقة، هكذا يصبح المريد لا كبير له سوى شيخ الطريقة الذي هو وسيطهُ لله، ورافع (محلّل) عنه كل شيء، كما يمكن للمقدم أن يقوم بالعملية لكن أمام حضرة[8].

قد يصبح المنضّمُ شيخًا في الطريقة بعد ثلاث سنوات إذا التزم بالنظام و إلا يُعلَنُ أنه لا يصلح، ففي السنة الأولى يقوم بخدمة الناس، و في الثانية يقوم بخدمة الله، وفي الثالثة يقوم بمراقبة قلبه.

---

1 . محمد بن عبد الله، مرجع سابق، ص31

2 . Brosslard, op cit, P 22.

3 . سبنسر ترمنجهام، مرجع سابق، ص 344.

4. Bel, l 'Islam mystique, op.cit, P 23.

5 . سبنسر ترمنجهام، مرجع سابق، ص 296.

6. Coppolani et Depont ,op.cit, 199

7 . سبنسر ترمنجهام، مرجع سابق، ص 269.

8.Coppolani et Depont, op.cit, P 199.

بعدما يكتسب المريد الولاية ويُمنح "المرقعة" التي تعتبر كفن مرتديها، إذ يتنازل عن كل آماله في ملذات الحياة والمتع الحسية، ويكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل، لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميت، تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت[1].

و قد يُمنع المريد من الإجازة إذا:

1. تكبر على الشيخ أو على تلاميذ الشيخ.
2. كان الشيخ أو التلميذ جاهلاً بأحكام الطريقة.
3. حسد التلميذ المريد بغضًا.
4. طرد الشيخ التلميذ[2].

6. <u>نظـــام الزاويـــة كمؤسســـة تعليميـــة</u>:

إن النظام في الزاوية كمؤسسة تعليمية وهيئة دينية ومركز إرشاد وتوجيه ومكان خدمات ورعاية، يكون على أساس الانتساب الروحي لصاحب الطريقة، والانتماء إلى الولي الذي أنشأها أو جدد نشاطها[3]، والذي ميز الحياة داخل الزاوية هو التعليم، فقد تفرغ المرابطون للتعليم على طريقتهم، وعملوا على نشره[4]، وكان يقوم على تربية خلقية ومعارف ثقافية أساسها حفظ القرآن، وتعلّم المعارف المتصلة به، مما فرض على الزوايا التحقّق من سيرة المنتسبين إليها*.

وعرف التعليم بالزاوية عدة مستويات:

---

1 . سبنسر ترمنجهام، مرجع سابق، ص 271.

2 . محمد بن سالم الحفناوي، واجبـــات المريد تجـــاه شيخه و واجبات الشيـــخ تجاه مريـــده, القسم 2 من مجموع, كتبه في 1168 هـــ, مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 944, ورقة 7 وجه.

3 . ناصر الدين سعيدوني، مؤسســـة الزوايـــا....مرجع سابق، ص 7.

4 . سعد الله، مرجع سابق، الجزء1, ص 324.

* . هذا المنهج لم يسمح بتطوير مواهب الطلبة انظر، سعيدوني، مؤسســـة الزوايـــا، مرجع سابق، ص 16

المستوى المتقـــدم: يتشكل من قلة من الطلبة المتقدمين، يقومون بمعالجة المسائل الفقهية والأمور اللغوية والرواية والتجويد، عددهم عشرة أو خمسة عشر[1].

المستوى المتوســـط: وهم المعادون والمعيدون، يتعلمون النحو الفقه والتفسير والحديث[2]

المستوى الأدنـــى: وهم الحفاظ[3] أو الطلبة المتقدُمون تحت إشراف الطالب المقرئ.

المستوى الابتدائـــي: ويتشكل من الطلبة المبتدئين أو القدادشة، مدة خدمتهم عام أو عامين حسب سنهم عند دخول الزاوية، بعد ذلك يصبحون طُلابًا[4].

وكانت توزع المهام على طلاب العلم كالتالي: عندما يلتحق الطلبة بالزاوية لأول مرة يوزعون على حلقات لحفظ القرآن، وتعلم مبادئ الكتابة والقراءة، ويتنقلون بين الحفظ والمراجعة وأداء الفرائض الدينية، وحضور حلقات الذكر، حيث يقَسّم وقت الطلبة بين الدراسة وأداء الواجب، وتبدأ الدراسة اليومية بالنسبة للطلبة المبتدئين منذ الصباح، فبعد قراءة الحزب وأداء صلاة الصبح، ينشغلون بمحو الألواح وكتابتها وتصحيحها من طرف الحُفاظ وبإشراف المقرئ، في حين ينشغل الطلبة الآخرون بالقيام بمهامهم، أما فترة الراحة فتبدأ من مساء الأربعاء إلى الجمعة قبل صلاة المغرب إضافة للمواسم الدينية

وفترة الحصاد و جني المحاصيل من نهاية الربيع إلى بداية الخريف (جوان، سبتمبر)[5].

وكمثالٍ على ذلك الزاوية التجانية بتيماسين، التي تقوم بتحفيظ القرآن للصغار ذكورًا وإناثًا والعلوم الدينية والأدبية والعلمية للكبار، وكذا زاوية العيدلي بقرية ثُامقرة ببني عيدل التي تخرج منها سعيد بن أحمد المقري (ولد في 928هـ/1522م)، والذي أخذ الخرقة من شيخ

---

1 . ناصر الدين سعيدوني، مؤسســة الزوايــا... مرجع سابق، ص 16 17.

cit, p45 2. Villot, op

3 . ناصر الدين سعيدوني، مؤسســة الزوايــا... مرجع سابق ص 16.

4 . Daumas (Eugène), Mœurs et coutumes de l 'Algérie, introduction de A.K.Djeghlo Sindbad, Paris, 1988, P 164.

5 . ناصر الدين سعيدوني، مؤسســة الزوايــا .... مرجع سابق ص 16، كذلك: Daumas Op cit, P 164

الزاوية[1]، كذلك زاوية بيت الشريعة التي أسسها علي بن محمد المسعود الشابي (ولد في1001هـ/1591م) بجبل ششار بالأوراس، فقد رتب فيها دروسًا قارة يلقيها العلماء والشابي نفسه[2].

أما تمويل التعليم فكان يقع على عاتق الزاوية التي كانت مؤسسة مكتفية ذاتيا، إذ كانت تملك زراعة خاصة بها ومواشي، كما كانت تتلقى الهدايا[3]، أو الزيارة أو الوعدة، وهي عبارة عن كميات من المنتجات، كالتين، والزيتون، والزبيب والعسل، دجاج، ماعز[4]...إلخ كان يقدُمها الفقير، أو الرجل العادي للمقدم، كما يمكن أن يمر المقدم على الفقراء لجمع الزيارة[5]، وهؤلاء ملزمون بدفعها[6].

وهكذا يمكن القول أن الزاوية أدت دورًا مهمًا جدًا في توازن المجتمع الجزائري خاصة منه الريفي، فقد كانت الملجأ والمنقذ والمشفى والمدرسة التي كانت مفتوحة للجميع دون تمييز... فكانت الزاوية البديل عن السلطة العادلة المُفتقدة، و الحاكم الحنون على رعيته، ولعل ذلك ما يفسر اهتمام شيوخ الزوايا ومريديها بالجانب العمراني والمعماري للزاوية، من حيث توسيعها وتصميم وتوزيع كُتلها وعناصرها المعمارية والفنية وهو ما سنحاول تناوله في الباب الثاني من الدراســة.

---

1 . يحي بوعزيز، أعــلام الفكر و الثقافــة بالجزائــر المحروســة، الجزء1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 42-43، والجزء2، ص 165.

2. علي الشابي، "مصــادر جديدة لدراســة تاريــخ الشابيــة"، المجلة التاريخية المغربية، العدد13 و14، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس جانفي 1979، ص 78.

3 . سبنسر ترمنجهام، مرجع السابق، ص 265.

4 . ناصر الدين سعيدوني، مؤسســة الزوايــا.... مرجع السابق، ص7.

5 . Daumas, op.cit. P 167, et, Bel, Coup d'œil sur l'Islam, p, p 28, 29.

6 . Rinn, OP Cit, P 96

الباب الثاني

العمران والعمارة

الفصل الأول

العمران في زاويتي تيماسين وقمار

أولا: مواقع زاويتي تيماسين وقمار وظروف تأسيسها

1. **الزاويـــة التجانيـــة بتيماسيـــن (ورقلـــة)**

أ . الموقـــع الجغرافـــي

ب . لمحـــة تاريخيـــة

2. **الزاويـــة التجانيـــة بقمـــار (وادي ســـوف)**

أ. الموقـــع الجغرافـــي

ب . لمحـــة تاريخيـــة

ثانيا: النسيج العمراني في زاويتي قمار و تيماسين

1. **التصميـــم العـــام والمقاســـات**
2. **التركيبـــة العمرانيـــة في الزوايـــا**

أ . المداخـــل الرئيسيـــة والثانويـــة

ب . توزيـــع الشـــوارع والأزقـــة

ج . الساحـــات العامـــة (الرحبـــات)

د . الأحيـــاء والـــدور

هـــ. المساجـــــد والأضرحـــة

انتشرت الزوايا بشكل خاص إبان الوجود العثماني بالجزائر، وكانت تمثل طرقًا عديدة، فبمنطقة الجنوب ظهرت الطريقة الطيبية والقادرية، وكذا الرحمانية والمدنية[1] إلا أنها لم تبلغ إلى ما وصلت إليه الطريقة التجانية، بزواياها في عين ماضي وبوسمغون وتيماسين وقمار، والتي كان لها الدور الفعال خلال القرن 12هـ/18م، وقد أدت هذه الأخيرة دوراً ملحوظًا سواءً في المجال السياسي، حيث اتُخذت كرباط يتدرب فيها أتباعها للتصدي للسلطة العثمانية والقيام بثورات ضدها[2]، أو في المجال الديني حيث حملت لواء الفتوحات واستمرت في نشر الإسلام في أنحاء المعمورة، كما اعتُبرت معهدًا لتعليم الشبـــان وتنوير العامة، أو في المجال العمراني والمعماري، من خلال مساهمتها الفعالة في تنشيط المحيط العمراني وتطويره وفق الأساليب المعمارية الإسلامية في البناء والزخرفة، وبالتالي المحافظة على الإرث التاريخي والحضاري للمنطقة، وسنحاول في هذا الفصل دراسة البنيـــة العمرانية في الزوايا التجانية من خلال النموذجين ــ زاويتي تيماسين وقمارــ بعد إعطاء فكرة عن موقعهما الجغرافي وتحديد إطارهما التاريخي.

أولاً: مواقـــع زاويتـــي تيماسيـــن وقمار وظروف تأسيســـها

1. الزاويـــة التجانيـــة بتيماسيـــن (ورقلـــة)

أ . الموقـــع الجغرافـــي والفلكـــي:

تقع تيماسين بإقليم وادي ريغ* والذي يقع في الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية، تبعد عن الجزائر العاصمة بـــ 650 كلم، وعن ورقلة بـــ 160 كلم، وعن بسكرة بـــ 220 كلم، وعلى وادي سوف بـــ95 كلم، يحدها من الشمال بسكرة، ومن الجنوب ورقلة ومن الشرق

---

1 . حول هذا الموضوع أنظر سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي.....ج1، ص من 261 إلى 273

2 . Rinn, OP.CIT, P531

* . وادي ريـــغ نسبـــة إلى قبيلـــة ريغـــة البربرية التي كانت توجد بالشرق الجزائري وبالضبط قرب مليانة شرقا و سطيف غربا واستقرت بالمنطقة وحكمتها لمدة من الزمن، أنظر،

Philippe (F), Etapes Sahariennes, Alger 1880, p 15

الوادي، ومن الجنوب أولاد نايل، وتيماسين إحدى القرى المنتشرة بالإقليم، تقع جنوب عاصمة الإقليم تقرت، والتي تبعد عنها بحوالي 10كلم، يحدها شمالاً بلدية النزلة، وجنوبا بلدة عمر، وشرقا بلدية الطيبات، وغربًا بلدية العلية[1] محاذية بذلك وادي ريغ، أما فلكيا فهي تقع مابين خطي طول 5 ،37ْ و5 ْ،57ْ شرقا وخطي عرض32 ، 58 و 33ْ 64ْ شمالا على ارتفاع 49م عن مستوى سطح البحر[2] .

وتتكون هذه البلدة من عدة أحياء، ما فتئت تتسع إلى أن أصبحت عبارة عن قرى، فنجد قرية سيدي عمر والكودية وبحمرة والظهور، وعلى بعد 8 كلم نجد قرية قوق، أما الزاوية فهي تقع في قرية تملاحت★ التي تبعد عن تيماسين بحوالي1كلم من الجهة الجنوبية الشرقية(**الخريطة رقم3، الشكل رقم01، اللوحـــة رقم01).**

والمنطقة عموما عبارة عن كثبان رملية وهضاب وسبخات، كما تظم واحات النخيل، إذ أنّ منطقة وادي ريغ تقع في وسط حوض مائي واسع، يتركب من مجموعة من الطبقات الجوفية المركبة في ما بينها، وهذه المياه قليلة العمق، مما جعل المنطقة زراعية منذ القرون البعيدة، فبقيت هذه المياه الجوفية الوسيلة الوحيدة للعيش إلى يومنا هذا[3] .

ب . لمحـــة تاريخية عن نشأة التجانية بالمنطقة:

بعد وفاة مؤسس الطريقة التجانية الشيخ احمد التجاني سنة1230هـــ/1815م، أوصى

---

1. بولنوار (عبد الكريم) و آخرون، قصـــر تيماسيـــن وأهم معالمـــه الأثريـــة، دراسة تحليلية ومعمارية بغرض تصنيف معالم هذا القصر ضمن المعالم الأثرية الوطنية، مارس، 1995م، ص83

2 . وثائق من أرشيف بلدية تيماسين محفوظة نسخة منها بالوكالة السياحية

★ . تملاحت كلمة بربرية يقول البعض أنها تأنيث للكلمة العربية ملح والسبب في ذلك أن المنطقة غنية بهذه المادة والبعض الآخر يكتبها تملالـــت والتي تعني البيضاء وقد بررت هذه التسمية المحلية ببياض جدرانها الملبسة بالجير الأبيض أنظر: Fernand (pH), Etapes sahariennes, Alger, 1880 p44

3. Nesson (c), L` oasis du Sahara Algérienne, Paris, 1973, p1

بالخلافة من بعده إلى أكثر أوفيائه الحاج علي بن عيسى** الذي عاد إلى تيماسين من المغرب، حيث شرع في تأسيس الدار والجامع، وحدد ما كان من المساكن المختلفة بمساعدة أبنيه حينها وهما أحميدة والطاهر* وبعض أقاربه، لكن ما إن كثر الأبناء والأهل والعبيد ذكورًا وإناثًا، والقادمون لزيارته حتى صار مسكنه لا يتسع لكل هذا العدد، فاختار بقعة خارج بلدة تيماسين تعرف بتملاحت، لا يفصلها عنها إلا قرية واحدة صغيرة جدا تسمى" الحوار"، فقام بغرس النخيل حولها وأسكن جميع أهله، وكان عمره آنذاك تسع وثلاثين سنة، والجدير بالذكر أن معظم مباني قرية تملاحت تمت على يد أبنه الطاهـــر[1] وفي سنة 1277هـــ/1860م أمر محمد العيد* بإعادة بناء الضريح وتجديده، كما قام أحمد بن محمد حمة[2] بترميم المسجد وتشييده أحسن تشييد، وكان ذلك سنة 1346هـــ/1927م كما أدخل ترميمات وتحسينات على قبة الضريح.

2. الزاويـــة التجانية بقمـــار (وادي سوف)

** . ولد الحاج علي بن عيسى سنة 1180هـــ الموافق لسنة 1766م بتيماسيـــن، تولى الخلافة يوم الخميس 17 شوال 1230هـــ الموافـــق ل 21 سبتمبـــر1815م، أسس الزاويـــة بأمر من الشيخ الأكبر أحمد التجاني سنة 1220هـــ الموافق ل1805م، ووافته المنيـــة يوم الثلاثاء 22صفـــر 1260هـــ الموافـــق ل 12 مارس 1844م، بنى ضريحه نجلـــه الشيخ محمد العيد الأول عام 1284هـــ الموافق ل1868م. (نقـــلا عن اللوح التذكاري أعلى مدخـــل الضريـــح)

*. أحميدة هو الابن الأكبر للشيخ الحاج علي بن عيسى ولد بتيماسين عام 1198هـــ/1782م وتوفي بها عام 1277هـــ/1855م ودفن بالزاوية أما الطاهر فهو ثاني أبناء الشيخ ولد في 1209هـــ1794م بتيماسين وتوفي بها عام 1280هـــ1858م ودفن بجانب ضريح أبيه وكان له الفضل الكبير في بناء معظم مباني قرية تملاحت أنظر، محمد خميس التجاني، مرجع سابق ص من 15إلى 45

1 . لقاء مع شيخ الزاوية التجانية بقمار بتاريخ 2008/05/15

* . محمد العيد الأول أول من تولى الخلافة بعد أبيه الحاج علي ولد في 1230هـــ/1815م زار عين ماضي عدة مرات وتوفي بتيماسين في 17 شوال عام 1329هـــ/1911م مخلفا خمسة أبناء

2 . أحمد بن محمد حمة ولد عام 1316هـــ/1901م تولى الخلافة سنة 1346هـــ/1927م كان مشجعا للعلم والعلماء فساهم في بناء المدرسة الشعبية بعين ماضي كما أدخل عدة ترميمات على زاوية تيماسين أنظر، خميس التجاني (محمد) مرجع سابق من ص54 إلى ص55

أ . الموقـــع الجغرافـــي والفلكـــي:

تقع بلدة قمار على المحور القادم من بسكرة على بعد15 كلم من مقر ولاية وادي سوف في الجهة الشمالية الغربية، تحدها شرقا بلديتا الزقم وسيدي عون، ومن الشمال شط ملغيغ وبلدية الحمراية، ومن الغرب بلديتا الرقيبة وتاغزوت، كما تحدها من الجنوب بلدية تاغزوت(**الخريطة رقم02**)، وتقدر مساحتها الحالية 1264.60كلم^2، أما فلكيا فهي تنحصر مابين دائرتي العرض31 ْو34 ْ شمالا وبين خطي الطول 6 ْو 8 ْ شرقًا[1].

وقمار بلدة في واحات سوف، وهي البلدة الثانية أو الثالثة فيها من حيث النشأة، نشأت في جزيرة صغيرة يكونها وادي سوف المنحدر جنوبا عندما يتفرع إلى فرعين، وقد دفنت الرمال اليوم فرعي الوادي، ولكن السكان يعرفون آثار الجزيرة من التربة، فإن كانت عند الحفر رملية هشة فذلك دليل على مجرى الوادي المدفون، وإن كانت التربة صلبة أو صخرية فذلك دليل على أنها تقع خارج مجرى الوادي، أما اليوم فلا أثر لمياه الوادي على سطح الأرض، لقد توسعت بلدة قمار القديمة مع ازدياد عدد السكان فخرج العمران من الجزيرة إلى الأراضي الشاسعة من حولها(**اللوحـــة رقم01**) .

ب . لمحـــة تاريخيـــة عن نشأة التجانية بالمنطقة:

لقد ارتبط اسم الطريقة التجانية بأهل قمار ومنطقة سوف في وقت مبكر، عندما أرسل التجاني أحد أتباعه وهو محمد الساسي القماري لينشر الطريقة بقمار، وقد نجح في دعوة عشرة من أفراد قمار إلى زيارة الشيخ في عين ماضي، وأخذ الطريقة عنه مباشرة سنة 1204هـــ/1789م[2]، وكان من بينهم الحاج علي التيماسيني الذي دخل في الطريقة وكان له

---

1. عبد العزيز حسونة، النسيـــج العمرانـــي لمدينـــة قمـــار بمنطقـــة ســـوف، دراسة أثرية ومعمارية، رسالة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائـــر،2010/2009، ص16

2. عبد الباقي مفتاح، أضـــواء على الشيـــخ التجاني وأتباعـــه، مخطوط غير منشور، محفوظ لدى عائلة مفتاح بقمار.

دور كبير في قيادتها ونشرها خصوصًا بوادي ريغ ووادي سوف[1]، وقد أمر الشيخ أحمد التجاني مريديه وأتباعه بتأسيس زاوية لهم في قمار، فتم ذلك في أوائل السنة الهجرية من عام 1204هـ الموافق للثلاثي الأخير من عام 1789م[2]، على يد أول مقدم للطريقة التجانية بمنطقة وادي سوف الشيخ محمد الساسي القماري، بعدما اختطها السيد محمود التونسي، أحد الخواص من أصحاب الشيخ أحمد التجاني، وكان المشرف عليها في بادئ الأمر، ثم سلم مفاتيحها للشيخ الحاج علي التيماسيني، وبقيت تحت رعاية أبناءه من بعده[3]، هذا وكانت زاوية قمار خلال عهد الحاج علي تقتصر على غرفة مربعة 9م×9م، وكانت لها وظيفة قاعة الصلاة زيادة على الذكر الجماعي، لكنها كانت عامرة بالمردين فأراد الحاج علي أن يستقر بها مدة من الزمن، إلا أن الظروف حالت دون ذلك وأدركه الموت سنة 1260هـ/1844م، فخلفه ابنه محمد العيد الأول الذي وسع الزاوية وبنى بها المسجد وبعض المساكن للعائلة التيماسينية[4].

وبدأت بعد ذلك رحلتي الشتاء والصيف بين تيماسين وقمار، فكانت عائلة الحاج علي تأتي باستمرار بجل أفرادها لقضاء فصل الصيف بقمار، هربًا من الأمراض التي كانت تنتشر في تلك الأثناء بوادي ريغ و تيماسين التي يعودون إليها في فصل الشتاء، لأنهم كانوا يعتقدون بأن الأولاد يموتون إذا بقوا في تيماسين في ذلك الفصل[5].

وعمومًا تأسيس الزاوية التجانية بقمار، في تلك الفترة بالذات دليل على سرعة انتشارها في المناطق الجنوبية الشرقية، وكان اختيارها يتوافق كثيرا مع مركز قمار من الناحيتين العلمية

---

1. الطاهر التليلي، الفوائد المنثورة في المطالعات المبتورة، مخطوط غير محقق وغير منشور.توجد نسخة منه بالنادي السياحي لقمار.

2. ابن سالم بن الطيب بالهادف، سوف تاريخ وثقافة، مطبعة الوليد، الوادي، 2008ص86

3 . Le colonel(Noellat), L ‘Algérie en 1882,Librairie Militaire, Paris, 1882, p 100

4 .Gouvion (Marthe) et (Edmond), Kitab Aauame El Marhariba Imprimerie Algérienne ,Alger 1929, p 61,62

5 . علي قنايزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن ال13هـ 19م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2000.ص 178.

والثقافية في وادي سوف والمنطقة ككل[1]، خصوصًا أنها نحو الحدود الشرقية للجزائر، مجال انتشار الطريقة عبر تونس ومصر، حيث جامع الزيتونة وجامع الأزهر، والحديث عن تأسيـــس الزوايا وتشييد مبانيـــها، يقودنا حتمًا إلى الحديث عن التخطيط العمراني في هذه الزوايا في ظل البيئة الصحراوية .

3. التخطيـــط العمرانـــي في البيئـــة الصحراويـــة

إن الأنماط العمرانية على مر العصور كانت دائما انعكاساً صادقاً للبيئة الحضارية التي كانت تسود كل مرحلة من المراحل التاريخية المتلاحقة، ومن قديم الزمان أُقيمت المدن على أطراف الصحراء، حيث ساعدت البيئة الحارة بظروفها الطبيعية والاجتماعية على خلق نمط معين متلائم معها، فقد ساعدت البيئة الحارة على توجيه الإنسان إلى الداخل سواءً كان للحي أو المسكن أو في المدينة ككل، حتى يتوفر عامل الحماية من الظروف المناخية.

ولقد ظهرت التشكيلات المعمارية على مستوى التخطيط العمراني، بصوره عضوية وتلقائية دون الارتباط المسبق باعتبارات تشكيلية أو معمارية معينة، وبالتالي أصبحت العمارة الصحراوية تعبر بصدق عن الوظيفة والبيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية السائدة[2]، إذ استطاعت هذه العمارة التوصل إلى حلول معمارية سليمة كفيلة بتحقيق الحماية من العوامل الجوية شديدة القسوة، فظهرت المباني الملتحمة أو شبه الملتحمة في نسيج عشوائي وتلتف حول الفراغات الداخلية لأفنيتها مما يوفر أكبر مساحة مظللة[3].

ويعتبر تكامل الفراغات وتداخلها من أهم القيم التخطيطية والتصميمية للعمارة الصحراوية وخاصة في المباني السكنية[4]، ويعمل هذا التخطيط العضوي على الحد من تعرض مكوناته

---

1 . أنظر إصدار الديوان السياحي لقمار مدرســـة قمـــار مئة سنـــة من العطـــاء ، قمار، الوادي 2007 .

2 . وليد شلتوت، الأنماط المعمارية في العمران الصحراوي، المؤتمر الهندسي الثاني، كلية الهندسة، جامعة عدن، اليمن، 30، 31 مارس 2009، ص115

3 . وليد شلتوت، المرجـــع السابق، ص115

4 . وليد شلتوت، المرجع السابق، ص 116

المختلفة، كالمسكن والشوارع والممرات إلى قدر كبير من المؤثرات البيئية الخارجية، كأشعة الشمس المباشرة أو الحرارة المنقولة بالإشعاع أو الأتربة المحمولة في الهواء، ولذلك يكون الأنسب في البيئة ذات المناخ الحار الجاف أو الصحراوي بشكل عام، هو اللجوء إلى الأنماط التخطيطية المدمجة أو ما يعرف بالنسيج العمراني المتضام، وذلك بهدف التقليل بقدر الإمكان من التعرض للظروف المناخية الخارجية، هذا دون إغفال الجانب الاجتماعي بحيث يستجيب ـ النسيج العمراني ـ للشروط التي يسير عليها مجتمع القصر، وهي منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف الساعي إلى تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في الحياة، وهي المحافظة على الحرمة والاحترام بين الناس، وكذا النظافة والتعاون فيما بينهم، مصداقا لقوله تعالى﴿ **و تَعَاوَنُوا عَلَى البِّرِ والتَّقْوىَ ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ و العُدْوَانِ** ﴾[1]، وكذلك في قوله:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلا تَفَرَقُوا**﴾[2]، لذلك نلاحظ أن مساكن الزوايا التجانية والقصور في الجنوب الجزائري بنيت متراصة إلى بعضها البعض، تعكس صورة التضامن والتعاون بين السكان لقول رسول الله (ص) **«المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».**

أ. التخطيـــط المدمـــج أو المتضـــام:

يقصد بالتخطيط المدمج إتباع الحل المتضام، وهو تقارب المباني بعضها من بعض حيث تتكتل وتتراص في صفوف متلاصقة، في البيئة الصحراوية الجافة يكون التفاوت كبير بين درجة الحرارة صيفاً وشتاءً، وكذلك بين الليل والنهار، مما يوجب معه استخدام التخطيط المتضام المتلاحم*، لتوفير أكبر قدر من الظلال التي تسقطها المباني على بعضها البعض، والناتجة عن اختلاف الارتفاعات والبروزات في الحوائط الخارجية، بحيث لا تتعرض لأشعة

---

1 . القـــرآن كريـــم، ســـورة المائـــدة، الآيـــة 02

2 . القـــرآن كريـــم، ســـورة آل عمـــران، الآيـــة103

*. استخدم هذا النوع من التخطيط بصور كبيرة في قصور وادي ميزاب أنظر، أحمد عقاقبـــة ومصطفى قواس، التعميـــر فـــي وادي ميـــزاب، ندوة التنمية العمرانية الأولى، الدمام، المملكة العربية السعودية، 17، 19 ذو القعدة1431هـــ/25، 27 أكتوبر 2010م ص05

الشمس سوى أقل مساحة من الواجهات والأسطح، ومن ثم تكون الطاقة النافذة أو المتسربة إلى المباني في أضيق الحدود.

ومن سمات هذا التخطيط أن عروض الشوارع ضيقة وملتوية لتقليل المساحات المعرضة للشمس، مما يعمل على الاستقرار الحراري والحفاظ على ركود الهواء البارد أسفل الشوارع، مع مراعاة أن تكون متعامدة على اتجاه الرياح السائدة، بسبب احتمال هبوب الرياح المحمّلة بالرمال والأتربة التي تؤدي إلى رفع درجة الحرارة داخل المباني، أما الشوارع الضيقة (الممرات) داخل التجمعات السكنية ذات التخطيط غير المتضام، فإنها تظل قاصرة في الاستقرار الحراري، حيث ترتفع درجة حرارة الهواء في هذه الشوارع، وهذا راجع إلى سقوط أشعة الشمس المباشرة عليها، وسخونة الأرض وانعكاس الإشعاع الشمسي من الحوائط المجاورة لها، وعدم تهويتها بالشكل الجيد أو توجيهها في اتجاه الهواء السائد، وهذه الأسباب مجتمعة تجعل من هذه الشوارع الضيقة مخزناً للحرارة، مما ينقل هذه الحرارة للقشرة الخارجية للمبنى عن طريق خاصية التوصيل الحراري، أما في الشوارع المتسعة والتي تعد من العناصر السلبية كونها تزيد من الكسب الحراري، نجد أن اتساع هذه الشوارع وتحرك الهواء فيها بشكل سريع يمكن من خلاله التقليل من الكسب الحراري[1].

ثانيا: <u>التخطيـــط العمـــراني في زاويتي قمـــار و تيماسيـــن</u>

1. التصميـــم العـــام والمقاســـات:

إن جوهر العمارة الإسلامية بصفة عامة، يتمثل أولا وقبل كل شيء في التخطيط العام، وفي توزيع الوحدات الرئيسية التي تخضع بصورة فعالة ومباشرة للموقع الجغرافي والمناخ، وكذا العادات والتقاليد الدينية والمعمارية للمنطقة، لذلك نجد الكثير من الدراسات تركز على

1 . وليد شلتوت، مرجع السابق، ص 117

هذا الجانب، باعتباره الهيكل الرئيسي المنظم، ثم تأتي التفاصيل والعناصر التي تمثل الجانب الجمالي والزخرفي والتي تنعكس عليه تفاوت درجات الأناقة والثراء[1].

وإذا تكلمنا عن الزوايا التجانية في تصاميمها، فإنه يتبادر إلى الأذهان أنها مجرد مساجد صغيرة، تتصل بها أضرحة أولياء الله الصالحين، بالإضافة إلى أنها مكان لتدريس القرآن الكريم وبعض الأوراد والأذكار والمناقب، ولكن الباحث المتخصص في هذا المجال يدرك أنها أوسع من ذلك بكثير، فهي تأخذ أبعادا وأشكالا وأحجاما مختلفة، وتخضع في تخطيطها إلى قواعد المدينة الإسلامية في عمومها، والقصور الصحراوية في خصوصها، والتي يراعى فيها مختلف العوامل الطبيعية والثقافية للمنطقة، حيث يكون المسجد والساحة العامة والضريح محور الزاوية التي تحيط بها المساكن من كل جهاتها، ثم يأتي السوق وأخيرا السور الذي يحصن الزاوية[2] .

ومن خلال المخططين الذين هما محل دراستنا، ومن خلال الملاحظات العامة لكل مرافقهما، يجدر بنا أن نشير في البداية إلى أن التخطيطات كلها بوحداتها الرئيسية والثانوية وملحقاتها، كانت تخضع لشكل الموقع التي أقيمت عليه هاتين الزاويتين، ومن الملاحظ أيضا أن المخططين ليس فيهما صنف واحد منتظم الشكل، وهذا ليس أمرًا غريبًا بل منتظرًا لعدم انتظام الطرق والأزقة والدور داخل الزاوية الواحدة.

أ. تصميم زاوية تيماسين

نجد أن زاوية تيماسين (ورقلة) تأخذ الشكل المربع أو الشبه دائري على مساحة 1،34 هكتار كأقصى حد، ثم يضيق عرض هذه المساحة إلى أن يصل عند المدخل إلى 9 أمتار فقط، وهي تتكون من مجموعة من المباني التي تتوزع حسب دورها وأهميتها داخل الزاوية،

---

1. فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مج1، العامة للنشر والتأليف، القاهرة 1970م ص45

2 . محمد إبراهيم سعيد كعباش، العطف، تاجنينت أم القرى الميزابية في ذكراها الألفية ، غرداية 1996ص45

فنجد المسجد والضريح والمقبرة وقاعات التدريس، تشكل وحدة معمارية متجانسة تطل على الساحة العامة، وهي بذلك تعتبر النواة الأولى لتكوين الزاوية، باعتبار أن تأسيسها كان لدوافع دينية بحتة، ثم ما فتئت هذه الوحدة أن تدّعمت في الجهة الجنوبية بمجمعات معمارية سكنية واجتماعية ضخمة، كان لها دورًا أساسيًا في استقطاب الوافدين والزوار، لتتوزع بعدها الدور والمساكن في شكل مجموعات موزعة على كل مساحات الزاوية، مشكلةً بذلك أحياء، قد تكون متصلة فيما بينها أو منفصلة بواسطة الدروب والممرات، أو تتخللها ساحات أو أفنية صغيرة، لتتصهر هذه المجموعات على اختلاف أشكالها وأحجامها في بوتقة عمرانية واحدة تسمى بالوحدة الجماعية، والمنبثقة على وجه الخصوص من مركز الزاوية في حد ذاتها(**الشكل رقم02**).

تذكـــر بعض المصادر التاريخية أن الزاوية كانت محاطة بسور من تراب، مُحصّن في الزوايا بمزاغل صغيرة، تطلق منها القذائف، وكانت هذه الأخيرة صغيرة إلى درجة أنها لا تسمح إلا بمرور فوهة البندقية، وينتهي السور بباب ضخم يفتح للزوار من طرف الحراس[1]، أما فيما يخص مقاسات السور من حيث السمك والطول والارتفاع، فلم ترد أي معلومات حول ذلك خاصة وأن السور لم يبق له أي أثر يحدد مكان وجوده.

ومهما يكن فإنه ليس من المستبعد أن يكون للزاوية باعتبارها مركز ديني قوي سور يحمي نفوذها ويحدد ملكيتها، ويحيط بالزاوية واحات النخيل تتخللها بعض الآبار الجوفية، هذا وقد تعرضت الزاوية إلى انهيارات كبيرة مست أجزاء مهمة من مبانيها السكنية في الجهة الشمالية الغربية، خضعت لإصلاحات وإضافات، حيث أخذت في الاتساع مع الأيام لتأخذ الشكل التي هي عليه الآن، ومع ذلك فقد حافظت على طابعها المعماري الصحراوي المتميز، سواءً من حيث التخطيط العام، أو من حيث مواد البناء المستعملة.

ب. تصميـــم زاويـــة قمـــار

إذا تكلمنا عن تصميم زاوية قمار، فإننا نجدها تختلف بعض الشيء من حيث اتجاه الوحدات العمرانية، إذ نجدها تأخذ منحنى عمودي باتجاه الشمال، عكس زاوية تيماسين التي

1 . Zaccone (j), de Batna a tougort et au Souf, Paris, 168, p224

تأخذ منحنى أفقي باتجاه الجنوب الغربي، ولعل ذلك يرجع إلى محدودية المساحة التي بنيت عليها زاوية قمار مقارنة مع زاوية تيماسين، إذ تقدر مساحتها ب 1,8هكتار، كما أن الموقع في الجهة الشرقية من المدينة لعب دورًا رئيسيًا في تحديد اتجاه المرافق والدور، حيث يجعل مساحتها تختلف، فهي تُحدد بموقعها من الشوارع والأزقة كما تُحدد بالمنازل التي تحيط بها .

وتذكر بعض المراجع التاريخية، أن تخطيط زاوية قمار انطلق في بدايته من مساحة 81م$_2$ اختطها السيد محمود التونسي، أحد أصحاب الشيخ أحمد التجاني بأمر من الشيخ محمد الساسي القماري مقدم الطريقة بمنطقة وادي سوف، وكان ذلك عام 1204هـ 1789م، وبقيت الزاوية مدة ثمانون سنة من1204هـ إلى1287هـ/1789م إلى1869م على شكل قاعة مربعة (موقع الضريح حاليا)، وبعدها قام الشيخ العيد الأول 1815م /1875م، الذي خلف والده الشيخ علي بن عيسى على رأس الطريقة[1] ببناء مسجد الزاوية، كما بنى الطابق الأول بمثابة المقر الاجتماعي، وهو أول طابق علوي أقيم في منطقة وادي سوف[2]، وقد جلب الشيخ محمد العيد من عين ماضي، البنّاء أحمد بن الطاهر بن بلقاسم التجاني، الذي زين القبة الكبرى للمسجد بالنقش على الجبس، وكذا القبة الهرمية وقام هذا الأخير بتعليم هذه الحرفة للسيد عمر قاقة القماري، كما قام الخليفة الشيخ محمد حمة لعروسي (1262هـ،1330هـ/1844م،1912م)، بإنجاز الكثير من البناءات العمرانية التي ساهمت في توسيع الزاوية وتجديدها، فبنى مقرًا جديدًا للزاوية، ومباني الدار الخضراء التي كانت توظف لاستقبال الزوار وتدريس الفقه، وفي أواخر حياته أنجز محمد حمة الحوش الشرقي المعروف بقصر الضيافة عام1930هـ/1912م، أين يوجد ضريحه وذلك امتدادا للمقر الذي بناه عام 1890م[3]

---

1 . ابن سالم بن الطيب بالهادف، مرجع سابق، ص51

2. الزاوية التجانية بقمار(ماضي، حاضر، مستقبل) إصدارات الزاوية التجانية بقمار الوادي 2004 ص3

3. الزاوية التجانية بقمار، مرجع سابق، ص 4

وما يمكن ملاحظته على زاوية قمار حاليا، أنها تأخذ الشكل المستطيل متعدد الأضلاع بدل الشكل المربع أو الشبه دائري، إذ أنّ طولها من الشمال إلى الجنوب يساوي ضعف طولها تقريبا من الشرق إلى الغرب، وهذا الصنف من التخطيط حسب الدكتور علي حملاوي ميزة تكاد تتجلى في معظم القصور و المدن الإسلامية الواقعة بالمناطق الحارة* حيث يُفضل اتجاهها نحو الشمال أو الشمال الشرقي حتى تتمكن من استقبال الرياح الشمالية الشرقية المخّفضة للحرارة[1] .

والجدير بالذكر أيضًا أن تصميم زاوية قمار، اتسم بالتنظيم المحكم في توزيع الوحدات العمرانية، حيث نجد خاصية التناظر والتناسب والتناسق في توزيع المداخل والأروقة والشوارع والغرف والفضاءات الفاصلة بينها، وحتى في العناصر المعمارية كالدعامات والأقواس، فخاصية الدخول والخروج من فضاء إلى فضاء أوسع منه، لا نجدها تقريبا إلا في زاوية قمار(**الشكل رقم05**)، وقد أحيطت الزاوية بسور من كل جهاتها، يقدر ارتفاعه في أغلب الأحيان حوالي 3,80م وعرضه 0,80م، وينتهي في الجهتين الجنوبية والشرقية بواحات النخيل، التي تتخللها غيطان الخضر المسقية بمياه الآبار الجوفية .

2. التركيبـــة العمرانيـــة في الزوايـــا:

إذا تكلمنا عن التركيبة العمرانية في الزوايا التجانية بصفة عامة، فإننا نجدها متنوعة تنوع عمائر المدن الإسلامية، فهي وحدة عمرانية قائمة بذاتها، مكونة من جميع أنواع العمائر الإسلامية المعروفة، الدينية منها والمدنية والعسكرية، وبما أنها بنيت على أساس ديني بحت، فإننا نجد أن النواة الأولى فيها هي المسجد الجامع، الذي بناه الخليفة أو شيخ الزاوية أو أبناءه أو أحد الخلفاء المباشرين من بعده، والذي يعرف في ما بعد (أي بعد الوفاة)

---

* . قام المرحوم الدكتور علي حملاوي بدراسة جيدة عن علاقة القصر بالمدينة، من حيث أوجه الشبه والاختلاف، بعدما لاحظ أن جل الرحالة الأجانب يستعملون كلتا الكلمتين دون التمييز بينهما، أنظر علي حملاوي، مرجع سابق، ص32

1 . علي حملاوي، مرجع سابق ص243

بالولي الصالح، وتسمى الزاوية باسمه كمسجد الحاج علي بن عيسى بزاوية تيماسين، أو مسجد الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، ويتصل بالمسجد في جميع الزوايا دار الإمام أو الشيخ، وهي بمثابة دار الإمارة في المدينة الإسلامية من حيث الموقع، وهي مفتوحة بدورها على الساحة العامة، كما يحيط بالمسجد مساكن أبناءه وأهله ثم تتوزع بعده منازل الأتباع والمريدين والإخوان والمقربين، وذلك حسب مراتبهم في الزاوية، وتتشابك هذه البيوت والدور فيما بينها، وتتصل جدرانها مكونة نسيج معماري متميز تتخلله شوارع رئيسية وأخرى فرعية، ثم الأزقة والدروب الضيقة، ولفهم التركيبة المعمارية في الزوايا التجانية بصفة جيدة، لابد لنا من عرضها كل واحدة على حدة .

أ . المداخـــل الرئيسيـــة والثانويـــة

إذا سلّمنا بأن الزوايا من حيث تركيبتها العمرانية عبارة عن مدن إسلامية مصغرة – إن صح التعبير– فإن المداخل الرئيسية عنصر أساسي يدخل في تركيبتها العمرانية والمعمارية، لأن الزوايا بصفة عامة كما هو معلوم يحددها الإطار الجغرافي و الزماني، والذي يخضع بصفة مباشرة للظروف السياسية والاجتماعية والدينية، التي تنشأ فيها أو تمر بها هذه الأخيرة، ونقصد بالظروف السياسية الأوضاع الأمنية السائدة وعلاقة شيوخ الزوايا بأنظمة الحكم القائمة، أما الظروف الاجتماعية فنقصد بها أهمية المحيط العمراني وموقعه على الحياة الاجتماعية، كالتجارة مثلاً أو الزراعة أو الحرف، وغيرها أما الظروف الدينية فهي تتلخص أساسًا في مكانة الزاوية بين الأتباع والمريدين، وأهميتها بين بقية الزوايا الأخرى .

أ.1 مداخـــل زاويـــة تيماسيـــن

تعددت المداخل الرئيسية في الزوايا التجانية ككل، إذ يتراوح عددها من مدخلين إلى ثلاث مداخل، حيث يتم الدخول إلى زاوية تيماسين عبر مدخلين رئيسيين، أحدهما فتح في الجهة الشمالية الشرقية، والثاني بالجهة الجنوبية الغربية، فالمدخل الشمالي الشرقي ينطلق من مكان السوق أو ما يسمى بساحة الفندق، ويؤدي إلى شارع شبه مغطى بقباب (**اللوحة رقم02**)، ومنه إلى فضاء مستطيل تفتح على جانبيه واجهات البيوت، وبما أن المدخل يعد

عنصراً فاصلاً بين الفضاء الداخلي والفضاء الخارجي، نجد غرفة على شكل مقصورة خصصت للحراسة، وهو لا يفتح على السوق إلا في أيام محددة، أما المدخل الثاني فإنه يتصل بالشارع الرئيسي، الذي يتفرع منه أزقة تفتح بها مداخل البيوت، وهو كسابقه مغطى بأقبية متقاطعة، ويؤدي بدوره إلى الساحة العامة، حيث يوجد مسجد وضريح الولي بالإضافة إلى هذين المدخلين الرئيسيين، يوجد مدخلين ثانويين صغيرين، احدهما يفتح في الجهة الجنوبية الشرقية على الأحياء السكنية، والآخر بمثابة ممر نافذ إلى واحات النخيل التابعة للزاوية بالجهتين الشمالية والشرقية .

أ.2 مداخـــل زاويـــة قمـــار

نجد في زاوية قمار ثلاثة مداخل رئيسية، لعل أهمها المدخل الجنوبي الشرقي، الذي يمتاز بالضخامة والمتانة، ارتفاعه 5م وعرضه 2,80م، به بوابة من النحاس الأحمر ذات مصراعين، ارتفاع الواحد منها 4م، وهي تؤدي إلى رواق مكشوف عرضه 3أمتار (**اللوحة رقم03**) يؤدي إلى رحبة فتحت في جانبيها غرفتين، ومنها إلى رواق مغطى به مجموعة من البوائـــك المطلة على الساحة العامة والضريح، أما الباب الثاني وهو أصغر حجماً من الأول، فإنه يفتح على الساحة العامة مباشرة في الجهة الشمالية الشرقية (**اللوحة رقم03**)، ويؤدي عبر رواق مكشوف إلى الشارع الرئيسي، والباب الثالث في الزاوية هو الباب الغربي، ويسمى باب الضريح، يفتح على الأحياء السكنية في الجهة الغربية من الزاوية، وهو على مستوى جدار الضريح، يؤدي عبر رواق مغطى بأقبية متقاطعة إلى الساحة العامة.

ب . الشـــوارع والأزقـــــة:

إن اللجوء لإتباع التخطيط المتضام في النسيج العمراني الصحراوي أدى بالتبعية أن تكون الشوارع والأزقة ضيقة، حيث يؤدي ذلك إلى تعرضها لأقل قدر ممكن من الإشعاع الشمسي المباشر، إلى جانب أن ضيق الشوارع كان يتناسب مع وسائل الانتقال المستعملة داخل هذا المحيط (الدواب والعربات التي تجرها الدواب) والتي لم تكن تتطلب شوارع ذات عروض أكبر.

وبما أن المداخل الرئيسية والثانوية هي التي تتحكم في مراقبة حركة الدخول والخروج من وإلى الزاوية، فهي تؤدي إلى الشوارع والأزقة والدروب، وتربط مابين المداخل الرئيسية وتؤدي إلى مركزها (الساحة العامة، المسجد، الضريح)، باعتبارها القلب النابض لها، وذلك مرورًا بمختلف المرافق والوحدات السكنية، ويتم الربط بينها بمجموعة من الطرق والمسالك العمودية والأفقية التي تمتد على طول الزاوية (**اللوحة رقم04**).

وإذا لاحظنا توجيه الشوارع و الممرات داخل الزوايا التجانية بصفة عامة، فإننا نجد أن غالبيتها تأخذ الاتجاه الشمالي الجنوبي، وذلك ما يساعد على عدم تعرضها وواجهات البيوت المطلة عليها لفترة طويلة للشمس، مما يجعل الشوارع تكتسب ظلال طوال النهار، بالإضافة إلى تعرضها للرياح الشمالية التي تساعد على استمرار برودتها أطول فترة ممكنه، لوجود نسبة التظليل العالية في هذه الشوارع.

والملاحظ أيضاً على هذه الأخيرة، أنها جاءت قليلة الالتواء في كلتا الزاويتين، وذلك للطبيعة المستوية التي بنيت فوقها، أو لكونها خُططت قبل تخطيط المرافق والدور(**الشكل رقم02**)، هذا وقد جاءت هذه المسالك داخل الزاوية على ثلاثة أنواع أو أقسام، مثل جميع القصور والزوايا في المناطق الصحراوية، حيث خضعت في تخطيطها إلى عادات وأصول السكان، فيكون تقسيمها على حسب حاجاتهم لها، وكذلك حسب دورها في الحياة اليومية لأفراد المجتمع، كالتي تؤدي مثلاً إلى المسجد أو السوق أو الواحة وغير ذلك .

وقد حدد الشيخ أحمد أبو العباس هذه الأنواع ودورها قائلاً « الأزقة على ثلاثة أوجه منها الشارع الرئيسي الذي يسلكه العامة، ومنها السكة النافذة تكون لقوم مخصوصين ومنها السكة غير النافذة تكون للعامة وتكون للخواص »[1]

---

1 . أحمد أبو العباس، القسمـــة وأصـــول الأرضييـــن، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحقيق وتعليق الشيخ بكير بالحاج، والدكتور محمد صالح ناصر، ط2، جمعية التراث، غرداية، 1997ص170

ومن هنا فإن المسالك والطرق في الزوايا إما **رئيسية** وإما **ثانوية**، فالرئيسية يطلق عليها اسم **الشوارع العامة**، كشارع المسجد نجدها أوسع المسالك، حيث تتراوح مقاساتها مابين 2.60م إلى 3أمتار، وهي بذلك قريبة من الحد الذي نصّت عليه الأحاديث النبوية الشريفة، إذ يقول رسول الله (ص) ‹‹ **إذا تدارأتم في شارع فاجعلوه سبعة أذرع**›› وقد قدَّر الفقهاء سبعة أذرع بثلاثة أمتار ونصف المتر كحد أدنى في عرض الشوارع، أما المسالك الثانوية فهي قسمين، **مسالك نافذة** تؤدي في غالب الأحيان إلى الوحدات السكنية، تكون ضيقة نوعا ما، مقاساتها تتراوح مابين 1,80م إلى 2,10م، و**مسالك غير نافذة** تكون محدودة، وهي خاصة بأفراد العائلات القاطنة بها، وتتراوح مقاساتها ما بين 1,30م إلى 1,70م، وتسمى بالأزقة يستعملها الأشخاص الذين لهم بيوت تفتح فيها أبواب على الزقاق، وهي خالية من الحركة والنشاط وأحيانا تتخلل هذه الأزقة ممرات أكثر ظيقا منها تسمى "الدريب"، تفتح بها أبواب أخرى للمنازل عادة ما تكون لعائلة واحدة، ويمثل الدريب الوحدة العائلية لسكان الزاوية، أما الدرب فيمثل الحد الفاصل للتجمعات العائلية وأحيانا للحي كله[1]، وتكمن وظيفة هذه الطرق والمسالك في الغرض الذي أنشأت لأجله، فلا يجوز تعطيل السائرين.

ذكر الشيخ أبو العباس في وظيفة هذه المسالك والطرق قائلا « وكذلك الطرق كلها إن جُعلت لمعنى شيء معلوم، فإنه يمنع من أراد أن يتخذها لغير ذلك المعنى....»[2].

والشيء الملاحظ أن بعض هذه المسالك والطرق جاءت مغطاة في بعض الأماكن بواسطة أقبية أو بجذوع النخيل وخشب العرعار، كالرواق الغربي المؤدي من الساحة العامة إلى الضريح بزاوية قمار، أو بواسطة القباب المزخرفة بالجص، كشارع المدخل الرئيسي في زاوية تيماسين (**اللوحة رقم05**)، ولعل ذلك يعود إلى المراحل الأولى من تأسيس الزوايا، وما لا يمكن إهماله كذلك، هو أن هذه الشوارع مزودة بعنصرين بارزين، أولهما ما يسمى محليا

1. Marçais (PH), « Notes de sociologie et de linguistique sur Beni-Abbas » ,T.I.R.S, T.13, 1955, p.160

2 . أحمد أبو العباس، مرجع سابق، ص 175

"بالملفــق"، وهو فضاء يفتح مابين الأماكن المغطاة، كالسقائف والشوارع للتزود بالضوء والهواء، وثانيهما هو وجود تلك المقاعد الحجرية التي تُعرف محليا "بالدكّانات" على الجانبين، خُصصت لجلوس السكان للحديث والمسامرة مع أكواب الشاي خاصة في ليالي فصل الصيف الحارة، أين تكثر العقارب والحشرات السامة، فتكون هذه الأخيرة أحسن مكان لتوفير الظل والهواء اللطيف، وأفضل دليل على ذلك هو تزويد الجدران بكّوات صغيرة توضع بها الشموع أو المصابيح ليلا، مثلما هو الحال بأروقة الضريح والمسجد بزاوية قمار(**اللوحة رقم06**)، ويرجع تغطية المسالك والطرق ليس في الزوايا فقط، وإنما في جميع القصور الصحراوية، إلى غرضين أساسيين، الأول طبيعي يتمثل في تلطيف حرارة الشمس المُحرقة التي تعرفها المنطقة طوال فترات السنة، وهذا باستغلال الظل الناتج عنها، وكذا تكسير التيارات الهوائية والرياح العنيفة التي غالبا ما تتعرض لها المناطق الجنوبية، خاصةً إذا كانت وجهة هذه المسالك والطرق شمالية جنوبية بما يسمح لها أن تكون عمودية على أشعة الشمس، وفي استقبال الرياح الشمالية الجنوبية التي تقوم بتغيير هواء البنية الداخلية للزاوية، مثلما هو الحال في زاوية قمار حيث نجدها أحسن بكثير من زاوية تيماسين فيما يخص هذا الجانب .

أما الغرض الثاني من تغطية المسالك فهو دفاعي محض، ناتج عن الخوف[1] من احتمال اختراق العدو لأسوار الزاوية وتحطيمها، لذا استعملت الممرات المغطاة كوسيلة تحصين ودفاع عن الزاوية أو المدينة ككل، وهذه التقنية معروفة على كل حال في العمران الإسلامي عبر مختلف العصور، وإن اختلفت أساليب التغطية باختلاف المناخ ومواد البناء المتوفرة، فبينما كانت سقوف المسالك مسطحة في شوارع القاهرة، وُجدت على هيئة أقبية من الآجر وعرشَات العنب والخشب في شوارع الأندلس، كما استخدمت الأقبية الحجرية في مدن أخرى كحلب ودمشق وغيرهما، أما في الشوارع والممرات غير المسقوفة فقد لجاء فيها

---

1 . حسين علي الجبــوري، أثــر الخوف والقلــق على طــراز البناء في منطقــة النجف وكربــلاء، مجلة التراث الشعبي، وزارة الإعلام، العدد7، السنة السادسة، بغداد 1975م، ص88.

المعماري إلى تقنية أخرى، حتى يتم إلقاء المزيد من الظلال على أرضيات الشوارع وواجهات المباني أيضًا، فابتكر فكرة عمل بروزات بواجهات المبنى المطلة عليها، وهذه البروزات المتراكبة تقوم بإلقاء الظلال على واجهات المبنى نفسه، وعلى أرضية الشارع التي تطل عليه، كما أنه في حالة وجود بعض العناصر المعمارية البارزة كالمشربيات مثلاً، فسيتم إلقاء المزيد من الظلال، وهذه التقنية نادرة جداً في شوارع وممرات الزوايا .

ت . الساحـــات العامـــة (الرحبات):

تعتبر الساحات العامة أو ما تُعرف محليا بالرحبات، من الناحية العمرانية نقطة التقاء الأزقة والشوارع، وهي الفضاء الذي من خلاله تتنفس الشوارع والدروب والأحياء المتراصة وبها تُفرغ حمولتها[1] ، كما تساعد على تسهيل حركة المرور وتنظيمها .

وإذا كانت الساحات العامة في القصور الصحراوية من الناحية الاجتماعية، المكان المناسب لالتقاء جموع السكان وقضاء حاجاتهم الاقتصادية والاجتماعية، وبها تمارس جميع الأنشطة اليومية، فإنه للزوايا التجانية نظامها الخاص في تسيير هذه الأماكن (الرحبات)، كونها ترتبط بالجانب الروحي والديني والعقائدي فبها تقام حلقات الذّكر وتلاوة الورد، وهي نقطة التقاء المشايخ في المناسبات والاجتماعات الدينية، كما تقام بها الصلوات في أوقات معينة من الأسبوع، هذا فضلا عن اتخاذها كمكان لفض النزاعات والخلافات بين الأفراد والعائلات، ومكان لعقد القرآن الشرعي بين الأزواج .

وما تجدر الإشارة إليه أن الرحبات أو الساحات العامة في زاويتي تيماسين وقمار تمتاز بقلة المساحة، خاصة في زاوية تيماسين، حيث نجد أن طولها حوالي 18م في حين عرضها 16م وهي بذلك تأخذ الشكل شبه المربع، في حين نجد طولها في زاوية قمار حوالي 40م وعرضها 21م أي أنها مستطيلة الشكل .

---

1 . علي حملاوي، مرجع سابق ص168.

وما يلاحظ كذلك أن الرحبة في زاوية تيماسين مفتوحة مباشرة على المرافق، كالمصلى المكشوف بالجهة الغربية، وباب المسجد في الجهة الشمالية، أو على قاعات التدريس في الجهة الجنوبية، على عكس زاوية قمار، إذ نجد أنه يجب الدخول في الجهة الغربية إلى رواق ومنه إلى رواق آخر للوصول إلى باب المسجد وباب الضريح، ونفس الشيء بالنسبة للمقبرة، إذ يتم الدخول إليها عبر رواق في الجهة الشمالية الغربية، وكذا دار الضيافة في الجهة الشرقية، حيث يتم الدخول إلى سقيفة مغطاة ثم قاعات الاستقبال، وهي الخاصية التي تكلمنا عنها سابقا فيما يخص التدرج في دخول المرافق.

تكتسب الساحات العامة أهميتها الكبرى في كلتا الزاويتين باعتبارها المنفذ الوحيد لزيارة الضريح أو المسجد، خاصة إذا علمنا أن جميع الشوارع الرئيسية في الزوايا تلتقي فيها **(اللوحة رقم07)** .

ث . **الأحيـــاء والـــدور:**

جاءت الأحياء السكنية في الزوايا التجانية متكاثفة، والبناءات متداخلة والأزقة ضيقة والمساكن ملتصقة بعضها ببعض، فتعطي بذلك كتلة كبيرة من المباني تبدو مساحتها في المسقط الأفقي العام، أو على المخطط العام للزاوية أكبر بكثير من مساحة الفراغات التي تتخللها، سواءً كانت فراغات داخلية أو خارجية، وقد جاءت بهذا الشكل كذلك حتى يكون هناك تواصل على مستوى الواجهات، ويبدو ذلك جليًا من خلال زاوية تيماسين، حيث جاء التخطيط وتوجيه المداخل والنوافذ والبيوت على شكل خلية معقدة التركيب، روعي في بناءها ما يتطلبه الدين الإسلامي الحنيف من المحافظة والتزام الحشمة، وعدم إلحاق أي ضرر بالجار، لذلك نجد أن عدد طوابق المنازل قلما تتعدى الطابق الواحد .

وإذا ما حاولنا تتبع أقسام اتجاهات الأحياء السكنية في كل من زاويتي تيماسين وقمار فإنه يصعب علينا ذلك، كون جل الأحياء أصابها التلف فانهارت أجزاء مهمة من مبانيها، لكن من خلال ما تبقى يمكن تحديد الأقسام الرئيسية، التي تبدو مستقيمة الشكل بالنسبة لزاوية قمار،

كون تصميمها مستطيل أو شبه مستطيل، ومبانيها لها نمط ومظهر خاص(**الشكلين رقم 03 و04**)، إذ أن أكثرها بها الطابق الأرضي فقط، منها ما يظهر بشكل لافت وبارز على الشوارع الرئيسية تعبر عن مكانة صاحبها الاجتماعية ومدى ذوقه الفني، وذلك من خلال ما تحويه من زخارف جصية وعناصر معمارية متنوعـــة.

وبما أن البيوت أو الدور تعتبر الخلية الأولى في تكوين الأحياء، نجدها في زاوية قمار كما في زاوية تيماسين وفق التقاليد الإسلامية المعهودة، من خلال مكوناتها المعمارية ولكن لكل منها خصوصياتها، فالمساكن بزاوية قمار أوسع وأقل ارتفاعا مما هي عليه في زاوية تيماسين، وتنتهي كلها تقريبا بالقباب الصغيرة أو الأقبية المتقاطعة، مما يعطيها المظهر الموحد، وهي ميزة في البناء تمتاز بها كل منطقة وادي سوف (**اللوحة رقم 08**) .

وعن قلة الارتفاع يذكر لنا أهل الزاوية، أنّ البّناء عندما يريد بناء المنزل يزيد قليلا على قامة الإنسان العادي، وربما يعود ذلك لشساعة الفضاء المخصص لبناء الحجرات، أي بمعنى آخر حركة الكتل تكون أفقية وليست عمودية، مثلها مثل حركة الأحياء، هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يمكن أن يخلو أي منزل في كلتا الزاويتين من الحوش أو وسط الدار، لأن أغلب أيام السنة حارة وتحتاج هذه الأخيرة للضوء والهواء الطلق حتى يبرد الرمل، بالإضافة إلى كونه فضاء واسع تفتح به الحجرات أو الغرف وغيرها من المرافق، كما نجد السقيفة التي تتقدم المدخل، وتكون مستورة بحائط حتى لا ينكشف الأجانب على البيت ونساءه، ويمكن استغلالها لجلوس الضيوف العاديين، كما تُزود الدور غالبًا ببيتٍ خاص يُطلق عليه دار الخزيـــن أو المخزن، ويقتصر دوره على حفظ المؤونة بمختلف أنواعها وأصنافها، وخاصة التمر والحبوب والعسل والزيت والصوف، ولذلك يزود بالوسائل الضرورية للحفظ، في بناء أحواض أو مطامير ذات شكل هرمي أو دائري، مبنية بالجبس في أحد نواحي الحجرة وتكون مرتفعـــة على مستوى الأرض، وهي ما تعرف في بعض المناطـــق بالخابية أو الخوابي .

ج . المساجـــد:

تعد المساجد من أهم المباني الدينية في الزوايا التجانية، لما لها من دور فعّال في حياة المجتمع التجاني بصفة خاصة، حيث اكتسبت أهميتها من دورها الديني والسياسي فهي تُعد مركزًا ومقرًا للسلطة الروحية، ومكانًا للقضاء وإصدار الفتوى وتنظيم حلقات الدرس وممارسة التعليم لكل فئات المجتمع، إلى جانب دوره كمخزن لبعض الأثاث والتحف القديمة، وبعض المؤن كالتمور والحبوب، ومن هنا فإن المسجد يُعد القلب النابض للزاوية فيبعث فيها الحياة ويعمل على تأطير المجتمع دينيًا واجتماعيًا .

وقد حرص التجانيون على إعطاء المكانة اللائقة للمسجد معماريا، وتجسيد تلك السلطة المعنوية ميدانيًا واقعيًا، لذا اختير له موقعًا إستراتيجيًا مناسبًا في كل الزوايا، فكان أول ما يُبنى في الزاوية المسجد على غرار المدن الإسلامية، ثم يتم بعد ذلك تشييد المساكن والمباني العامة من حوله، بحيث تنتهي كل الطرق والمسالك إليه(**الشكل رقم05، اللوحة رقم09**).

ففـــي **زاويـــة قمـــار**، نجد أن مسجد الشيخ احمد عمار – وهو مسجد صغير تم بناءه سنة 1260هـــ/1844م من طرف الخليفة محمد العيد الأول[1]– يأخذ موقعه بالجهة الغربية من الزاوية، مقابلاً للساحة العامة وملاصقا للضريح، يتم الوصول إليه عبر مدخل رئيسي في الجهة الجنوبية من الساحة العامة، عبر ممر ضيق هو أشبه بالرواق ذو درجات عريضة، كما يمكن الدخول إليه عن طريق مدخل ثانوي في الجهة الشمالية من ساحة المقبرة عبر رواق الجنائز، في حين التحمت به المساكن من الجهتين الباقيتين(**الشكل رقم05**)، وقد تعرض المسجد في وقت لاحق إلى إضافات وترميمات، مست خصوصًا الأعمدة في بيت الصلاة وكذا بعض الزخارف الجصية فوق المحراب أو في رقبة القبة، ومع ذلك فقد بقي محافظا على طابعه الأصلي.

وفيما يتعلـــق **بزاويـــة تيماسيـــن**، فنجد أن مسجد الحاج علي بن عيسى – بني من طرف الخليفة الأول الحاج علي بعد وفاة مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التجاني سنة 1230هـــ /1815م[2] – فإنه يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للزاوية، على مقربة من الساحة العامة فهو

---

[1] . Gouvion (Marthe) et (Edmond), op cit, p 61

2 . محمد خميس التجاني، مرجع سابق، ص 15

يفتح عليها بمدخل في الجدار الجنوبي من بيت الصلاة، كما يفتح على الضريح من الجهة الغربية ويفصل بينهما ممر مغطي بسقف محمول بواسطة أعمدة مدمجة في الجدار، تحمل عقود نصف دائرية، أما من الناحيتين الشمالية والشرقية فتحيط به مجموعة من المساكن.

وقد تعرض المسجد هو الآخر إلى إضافات وترميمات مست العديد من أجزاءه، أهمها التجديدات التي قام بها الخليفة أحمد بن محمد حمة سنة 1346هـ/1927م[1].

. دور المساجـــد في هيكلـــة النسيـــج العمرانـــي

لقد كان المسجد منذ صدر الإسلام زيادةً على العبادة التي اختص بها، جامع لمهام أخرى كالتدريس، وإدارة الحكم والقضاء، وجمع الغنائم وأموال الصدقات والزكاة وتوزيعها على المحتاجين، فكان مركز القرار ومنبع الانطلاق.

وقد اكتسبت المساجد أهميـــة كبرى في تمييز الحياة لدى المسلمين، فتفننوا في عمارتها وزخرفتها، حتى أضحت من المعالم الرئيسية في دراسة العمارة والعمران لدى الشعوب عبر الحقبات التاريخية المتعاقبة وكان من ابرز خصائصها :

- **هـــيكلـــة المحيـــط العمرانـــي:**

إضافة إلى كون المسجد وحدة معمارية مميزة، فانه يمتلك خاصية هيكلة النسيج العمراني، خاصة في البيئة الصحراوية، وهذا نظرًا لقيمته المعمارية المُستمدة من قيمته العقائدية التي نلمسها في فضل البيوت والمساكن القريبة منه، كما ورد في حديث النبي محمد (ص) حيث قال ‹‹ **فضل الدار القريبة من المسجد على الدار الشاسعة كفضل الغازي على القاعد** ››.

- **خاصيـــة الاجتـــذاب:**

يشكل المسجـــد لوحده قطب اجتذاب له تأثير مباشر على حركة السير داخل النسيج العمراني، وبالتالي التحكم في تخطيط اتجاهات الشوارع والأزقة، فإلى جانب وظيفته الرئيسية والمتمثلة في عبادة الله سبحانه وتعالى، فان المسجد كما ذكرنا سابقًا متعدد الوظائف والمهام، مما أهله دون شك لتشكيل قطب اجتـــذاب، لذا تعددت منافذه ومخارجه وبالتالي

---

1 . نفس المرجع، ص54

تعددت الطرقات والشوارع المؤدية منه وإليه، فقد ورد عن النبي (ص) انه **كان إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره.**

- **خاصيـــة الاطـــراد:**

فإلى جانب خاصية الاجتذاب، هناك خاصية عكسية وهي الاطراد، وهذا ليكون التأثير في دينامكية العمل داخل الزاوية بصفة متواصلة ومستمرة، فبعد تجميع الناس لعبادة الله سبحانه وتعالى، كما ورد في قوله ﴿ **إِذَا نُوْدِيَ للصّلاَةِ مِنْ يَومِ الجُمعَةِ فَاسْعَوا إِلَى ذِكْرِ الله**﴾[1] هناك خاصية أخرى لتفريقهم وتصريفهم لتحقيق الغاية الثانية وهي عمارة الأرض، مصداقًا لقوله تعالى ﴿ **فإِذَا قُضِيتْ الصَـــلاةِ فَانْتَشِـــرُوْا فِي الأَرضِ وَابْتَغـــُوْا مِنْ فَضْـــلِ الله**﴾[2]

- **خاصية التمركز والتوحيد:**

يعبر المسجـــد عن لب المعتقد وهو توحيد الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فان من خصائص المسجد هي وحدة المسلمين، ففيه تجتمع المواصفات العمرانية وتُكملها المواصفات المشكلة لوجه العمارة، ليعبر الكل بشكل واضح عن وحدة الله، ووحدة المسلمين روحيًا وماديًا، فمركزية المسجد عمرانيًا بحيث تحفه البيوت هو تعبير مادي، أو تزكيةً ودعمًا لتلك الوحـــدة المقدسة التي تربط المسلمين ببعضهم البعض، مصداقا لقوله تعالى ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيْعًا وَلا تَفَرَقُوْا...** ﴾[3] وقوله ﴿ **و تَعَاوَنُوا عَلَى البِّرِ والتَّقْوىَ ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ و العُدْوَانِ** ﴾[4]، لهذا رأينا كيف كان موقف المولى عز وجل حازما، عندما سعى البعض إلى إنشاء مسجدا ضرار في المدينة المنورة، على غرار مسجد الرسول (ص)، فجاءت الآيات القرآنية رافضة لهاته الفوضى العمرانية[5] التي ستمتد انعكاساتها السلبية لا محالة على عقيدة المسلمين ووحدتهم، فتشكيل قطب عمراني آخر لتجميع المسلمين داخل نفس النسيج

---

1 . ســـورة الجمعـــة، الآيـــة 09

2 . نفـــس الســـورة، الآيـــة 10

3 . ســـورة آل عمـــران، الآيـــة 103

4 . ســـورة المـــــائدة، الآيـــة 02

5 . أنظر الآيات 08، 09، 10، 11، من ســـورة التوبـــة

العمراني، هو إرباك لطبيعة هذا النسيج والذي يؤدي بدوره إلى خلل في وظائفه ووحداته المعمارية.

هـ . الأضـــرحـــة:

أخذت عمارة الأضرحة قسطا كبيراً من اهتمام المسلمين عبر العصور، حتى أضحت إحدى سمات العمارة الإسلامية في المشرق والمغرب، والأضرحة من العمائر التي شاع بناؤها على قبور الأولياء في المغرب الإسلامي والجزائر خاصة، فتنوعت أشكالها الخارجية وطريقة تسقيفها بقبابها المتميزة، رغم ما يكتنفها من الغموض في تأريخها والشخصيات التي دفنت فيها[1].

ولعل من أهم أسباب انتشار ظاهرة بناء الأضرحة على قبور الأوليـــاء والصالحين، هي درجة التقديس والاحترام الذي يكنه السكان لأولياء الله في هذه المناطق منذ فترة قديمة، وقد تواصل تقديس الأولياء لفترة طويلة في العصور الوسطى، وبصفة كبيرة ابتداءً من القرن 10هـــ/16م في بلاد المغرب الإسلامي، إذ اهتم السكان ببناء الأضرحة على قبور أولياء الله الصالحين والعلماء والمتصوفين، فهي لا تخلوا من العنصر الهام ألا وهو القبة التي تنوعت أشكالها حسب المنطقة التي شيدت فيها[2]، وعلى غرار ذلك فقد انتشر بناء الأضرحة المقببة في الجزائر، فكانت تقليدًا شائعًا أن تبنى الأضرحة على قبور الأولياء والعلماء في المقابر وفي القرى وخارجها، وأحياناً نجدها داخل النسيج العمراني للمدن، كما لا تخلوا الأرياف والواحات من هذا النوع من العمائر التي تلفت انتباه الزائر بلونها الأبيض أو الأخضر، وتنوع أشكال عمارتها من منطقة لأخرى، فقد اختلفت الأنماط التي شيدت عليها في الشمال عن مثيلاتها في الجنوب[3].

---

1 . محمد بن سويسي، العمـــارة الدينيـــة الإسلاميـــة في منطقـــة تـــوات، تمنطيـــط نموذجًـــا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2007م/2008م، ص120

2 . Marçais (G), Architecture musulmane d'occident…op cit, p 300

3 . عن أنماط الأضرحة في شمال إفريقيا أنظر: Commandant (couvet), op cit, pp, – 329,448–521

وقد اهتم سكان الزوايا التجانية في الجنوب الجزائري بمباني الأضرحة، فحظيت عندهم بكل العناية والتبجيل والاحترام، لأنهم يعتبرونها معالم روحية يسترحون إليها، ويطلقون عليها تسمية القبة أو المقام، أخذًا بقوله تعالى﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾[1]، فيحرصون على أن يكون ضريح الولي قريباً منهم، خاصة وأنهم يترددون على زيارته أيام الأعياد والجمعة، فبه تزداد قداسة الزاوية والمكان بين السكان.

هـ.1 ضريح الشيخ أحمد عمـــار

يأخذ ضريح الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار موقعه وسط المباني الدينية، يحده من الجهة الشمالية مسجد الزاوية، ومن الجهتين الجنوبية والغربية رواقين فاصلين، أما من الجهة الشرقية فهو يلتحم مع الأحياء السكنية، وهو ذو تصميم بسيط مربع الشكل ومغطى بقبة مضلعة، فلا نكاد نميزه عن بقية المنازل القديمة المجاورة له، وتتخذ مداخله شكلاً هندسيًا مقوسًا متشابهًا، كما أن تواجده في عمق الزاوية يزيد من صعوبة العثور عليه ما لم يتم طلب الإرشاد **(اللوحة رقم10)**.

وعلى مستوى الفضاء الداخلي يجد الزائر بأن ممارسة الطقوس الدينية عند الضريح لا تقام داخل الضريح في حد ذاته، بل تقام في الرواق الفاصل، وذلك لضيق المساحة التي شُغِلت بقبور أفرادٍ من العائلة التجانية، مع وجود الدعامات الضخمة التي تحمل القبة ولعل وجود هذا الفضاء جعل تأثير الضريح يمتد إلى الأحياء التي تحتضنها الزاوية، خاصة في الوقت الذي يقام فيه حفل المولد النبوي داخل هذه المقرات، إذ تبقى تلك الأحياء في هدوء وسكينة فارغة من المارة، بحيث يستقطب المكان جزءً من الزوار الذين ينتمون إلى مناطق وأحياء أخرى غير تلك التي يتواجد بها المقر.

هـ.2 ضريح الحاج علي بن عيســـى

ونفس الكلام يُقال عن ضريح الحاج علي بزاوية تيماسين، من حيث موقعه وسط المباني الدينية، وإن كان منفصلاً عنها نوعًا ما من الجهة الغربية، وهو يفتح من الجهة الجنوبية على

---

1 . سورة آل عمـــران، الآيـــة 97

الساحة العامة، ذو تصميم بسيط مربع الشكل، وعلى خلاف ضريح الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، تبدو بنيتـــه المعمارية الخارجية ضخمة مقارنة ببقية المنازل المجاورة خاصة قبته المضلعة الكبيرة التي تظهر للعيان من أقصى المدينة، فأصبح الضريح يطبع محيطه بطابعه الخاص، خاصةً في ظل توسع المدينة وامتداد أطرافها (**اللوحة رقم11**).

أما على مستوى البنية الداخلية، فنجد بأن الضريح يضم ثلاثة أقسام أو فضاءات، خصص القسم الأول منها لممارسة العبادة، من صلاة وأدعية وقراءة للقرآن، وهو يلي مدخل الضريح مباشرة، ويفصل بينه وبين القسم الثاني الذي يضم رفات أبناء وأحفاد العائلة التجانية سياج حديدي مزخرف بزخارف نباتية من النحاس، أما القسم الثالث وهو الأصغر فيتوسطه قبر الولي الصالح الحاج علي بن عيسى، ويعلوه قبة الضريح الضخمة، وتتخلله بعض القبور الصغيرة، كما نجد قبورًا أكبر حجمًا في الأركان الأربعة من هذا القسم.

وصفوة القول أن النسيج العمراني في الزوايا التجانية رغم ما يتسم به من بساطة في مظهره الخارجي، إلا إنه يقدم للدارسين تركيب معماري متميز وثروة فنية رائعة، بقيت تصارع الظروف المختلفة، لتوصل إلينا من كل مرحلة من مراحل تطورها معالم متميزة يمكننا من خلالها فهم الصورة العامة لأسلوب الحياة داخل هذه المجتمعات، بما يتماشى مع الظروف الطبيعية والمناخية السائدة، وعلى هذا الأساس يمكننا تشخيص خصائص العمارة الدينية والسكنية بصفة عامة، ويمكن تحديـــد ذلك في عدة عناصر سنتطرق لها بالتفصيل في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

الفصل الثاني

العمارة في زاوية تيماسين وقصار

أولا: العمارة الدينية

1. المساجد
2. الأضرحة
3. المقابر

ثانيا: العمارة المدنية

1. التخطيط الخارجي للمسكن
2. نماذج من العمارة السكنية
3. توزيع العناصر المعمارية
4. وسائل الدعم والتغطية

بعد أن تعرضنا إلى دراسة النسيج العمراني بصفة عامة داخل الزوايا التجانية من خلال النموذجين ــ زاويتي تيماسين وقمار ــ وما يشمل عليه من مرافق كالمداخل والأزقة والشوارع، وكذا الساحات العامة والأحياء وما تحويه من مساكن ومساجد وأضرحة، رأينا أن نكمل هذه الدراسة بفصل يشمل تحليل العمائر الدينية والمدنية، مع التطرق بالتفصيل إلى توزيع العناصر المعمارية المكونة لها.

أولاً: العمـــارة الدينيـــة في زاويتي تيماسين وقمار

تتمثل المنشآت الدينية في الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري في مجموعة من العمائر المختلفة كالمساجد والمحاضر والأضرحة والمقابر، ولكن أهم هذه المباني على الإطلاق عمارة المساجد، لما لها من أهمية ودور كبيرين في حياة المجتمع الصحراوي، ولما لها من دور في تحفيظ القرآن الكريم للصغار، وتلقينهم المبادئ الأولى لتعلم اللغة العربية، فساهمت بذلك في الحفاظ على مبادئ الدين الإسلامي.

1. المساجـــد

أ. التصميـــم العـــام

لقد لعبت العوامل الجغرافية والمناخية وكذا طبيعة مواد البناء المتوفرة في البيئة الصحراوية، دورًا أساسيًا في تحديد معالم التخطيط العمراني، وعلى أشكال المباني وعلى العناصر المعمارية المتمثلة في الجدران، المداخل، الفتحات والأسقف وغيرها.

فكما هو معلوم المناخ الصحراوي يتميز بقلة تساقط الأمطار في فصل الشتاء وبالحرارة الشديدة في فصل الصيف، وكذا الزوابع الرملية على مدار السنة، لذلك روعي عند وضع النوافذ والفتحات أن تكون ضيقة، للتقليل من شدة الضوء والحرارة داخل بيوت الصلاة، وكذلك إيجاد أفنية مضللة أمام مداخل المساجد لتلطيف الجو، فضلاً عن التصاق المباني ببعضها البعض لتقوية تحملها وتسهيل المرور من مبنى إلى آخر، خاصة المساجد التي يجد المصلّون العناء للوصول إليها في فصل الحر.

أما بالنسبة للتصميم العام للمسجد داخل النسيج العمراني الصحراوي بصفة عامة، فيتخذ شكلاً بسيطًا لأداء وظيفة واضحة وهي الصلاة، إذ جاءت بيوت الصلاة على شكل مستطيل، عرضها أكبر من عمقها أو العكس، والأمثلة على ذلك كثيرة أهمها ما تناولها الدكتور علي حملاوي ــ رحمه الله ــ بالدراسة، منها نماذج للجوامع والمساجد بقصور منطقة الأغواط، وهي من الواحات في الجنوب الشرقي للجزائر، مثل قصر تاويلة الذي يحتوي على مسجدين، وهما المسجد الغربي عبارة عن مصلى خال من جميع العناصر المعمارية، والمسجد العتيق عبارة عن قاعة صلاة عمقها أكبر من عرضها، وأيضا نجد مسجد بقصر تاجموت، الذي يستمد بعض التأثيرات المرابطية من حيث تخطيطه العام مثل احتواءه على الصحن والميضأة ورواق يبدو أنه أضيف في وقت لاحق، فضلا عن استعمال مختلف العناصر المعمارية[1].

ومن ناحية التخطيط نجد أن المساجد في جميع الزوايا التجانية تقريبا، اتخذت الشكل الشبه مربع غير المنتظم الأضلاع، والزوايا غير قائمة، وجدرانها تتميز بعدم الاستقامة واختلاف سمكها من مكان لآخر، مثلما هو الحال في مسجد الحاج علي بن عيسى بزاوية تيماسين، ومسجد الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، فهي تصاميم بسيطة وساذجة خالية من جميع العناصر المعروفة في المساجد، كالصحن والأروقة والمئذنة والميضأة وغيرها **(الشكل رقم06 و07)**، وهذا التصميم ليس وليد الزوايا أو المنطقة فحسب، وإنما يكاد يكون ظاهرة عامة في مساجد القصور والزوايا في الجنوب الجزائري ككل.

ب. مــداخــل المساجــد:

ــ مسجــد الحاج علي (زاويــة تيماسيــن):

لا يخلو أي مسجد من المداخل التي تتحكم في توجيهه وتلعب دورًا مهمًا في تقسيم أجزاءه، فلهذا نجد في مسجد الحاج علي بن عيسى بزاوية تيماسين مدخلان رئيسيان أحدهما

---

1 . علي حملاوي، منهجية البحث حول القصــور الصحراويــة، دراسة نموذجية لقصور منطقة الأغواط، الملتقى الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية، المسيلة، الجزائر، 1995م، ص83

يفتح بالجدار الجنوبي لبيت الصلاة، باتجاه الساحة العامة ارتفاعه 2م وعرضه 1,65م (**اللوحة رقم14**)، أما الباب الثاني فإنه يفتح بالجهة الغربية لغرفة الضريح، يبلغ ارتفاعه 1,80م وعرضه 1,15م، وهو يؤدي عبر ممر ضيق مغطى بأقبية متقاطعة طوله 2,70م إلى بيت الحاج علي بن عيسى الذي لم يبقى منه إلا الأطلال، وفي الجدار الأيسر من الممر فتح باب يؤدي إلى سقيفة مستطيلة مقاساتها 5,55م ×2.60م، مزودة بمجلس حجري ربما تكون قد بنيت لانتظار المصلين دخول وقت الصلاة لأدائها، أو لاستقبال زوار الشيخ، خاصة وأن هذه السقيفة مفتوحة على الساحة العامة بواسطة باب ضخم يتجاوز علوه 3م وعرضه 2,15م.

ـ مسجـــد الشيخ أحمد عمار (زاويـــة قمـــار):

أما مسجد الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، فيمكن الدخول إليه إما عن طريق الساحة العامة، من الجهة الجنوبية عبر سقيفة مغطاة بأقبية متقاطعة بها مقاعد حجرية يبلغ طولها حوالي 14م وعرضها 3م (**اللوحة رقم12**)، ومنها إلى رواق عرضي طوله 9م وارتفاع جدرانه 2,50م، وهو الآخر مغطى بأقبية متقاطعة، وينتهي بمدخل المسجد عرضه 1,40م ويعلوه عقد مدبب متجاوز مدمج مع الجدار، كما يمكن الدخول إلى المسجد عن طريق ساحة المقبرة عبر رواق الجنائز بالجهة الشمالية للمسجد، بمدخل ثانوي ارتفاعه 1,85م وعرضه 92سم، هذا ونجد مدخل آخر في الجدار الجنوبي من المسجد يؤدي إلى غرفة الضريح، لا يفتح إلا في المناسبات الدينية أو في أوقات تجديد لوازم الضريح، وما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، هو أن ظاهرة البهو أو الرواق المنكسر الذي يتقدم المسجد والضريح، والذي يفصل بينهما وبين الساحة العامة بسقيفة بها مقاعد حجرية ومغطاة بأقبية متقاطعة، هي سمة بارزة في جميع مساجد وأضرحة الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري، ولعل ذلك يرجع إلى خصوصية المكان باعتباره مكان مقدس، فهو محل زيارة من مختلف شرائح المجتمع، ومن مختلف الربوع والمناطق، لذا فالرواق ربما يكون له دور الحاجز الفاصل بين الساحة العامة الكثيرة الحركة، وبين الضريح محل الزيارة، أو ربما يرجع ذلك إلى مركزية السلطة في جميع الزوايا، وبالتالي مركزية الإشراف على عملية التهيئة والبناء .

ت. بيــوت الصــلاة:

ــ مسجــد الحاج علي (زاويــة تيماسيــن):

تشكل بيوت الصلاة الإطار العام لكل مساجد الزوايا التجانية، فهي تأخذ الشكل المربع غير المنتظم، تبلغ مساحته في مسجد الحاج علي بن عيسى بتيماسين 81م2، ويقع بالناحية الشرقية من الضريح، به ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة وثلاث أساكيب موازية له، تشكلها بائكتين من الدعامات المضلعة الشكل ذات عقود نصف دائرية، تبلغ المسافة مابين البائكتين 2,72م باستثناء أسكوب المحراب الذي يبلغ عرضه 3,34م، وتشكله بائكة من الأعمدة الأسطوانية تحمل عقود حدوية (**اللوحة رقم15**)، أما المحراب فإنه يحتل الجهة الشرقية من بيت الصلاة، وهو ذو تجويف نصف دائري يكتنفه عمودان ينتهيان بتاجين بسيطين، يحملان عقد منكسر متجاوز يبلغ ارتفاعه 2,30م وعرضه 1,24م، وهو خال من أي زخرفة باستثناء الإطار الخارجي الذي يحيط به شريط من الزخارف الجصية البسيطة، هذا ويغطي بيت الصلاة قبة ثمانية الأضلاع، بها زخارف نباتية وهندسية في غاية الروعة والإتقان، يتم تحويل قاعدتها من المربع إلى المثمن بواسطة مراكز انتقال مقرنصة (**اللوحة رقم17**).

ــ مسجــد الشيخ أحمد عمار (زاويــة قمــار):

فيما يخص بيت الصلاة في مسجد الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، فهو أكبر مما هو عليه بمسجد زاوية تيماسين، إذ تبلغ مقاسات جدرانه غير المنتظمة وغير المستقيمة 15م ×15م من الداخل وسمك جدرانه ما يقرب 60سم، ويتكون من ست بلاطات عمودية على جدار القبلة وست أساكيب موازية له، يتوسطه أربع دعامات ضخمة مضلعة الشكل، تقدر مقاساتها 1,30م وارتفاعها 1,68م، ويحيط بالدعامات من الجهتين الشمالية والجنوبية بائــكة من الأعمدة الأسطوانية، وبائكتين من الجهة الغربية تحمل عقود متقاطعة، تختلف أنواعها مابين الحدوي والنصف دائري، وذلك لعدم تناسب المقاسات مابين الأعمدة والدعامات (**اللوحة رقم16**)، وهذه الأخيرة تحمل قبة كبيرة مضلعة الشكل تزينها زخارف نباتية وهندسية وشعارات وآيات قرآنية غاية في الروعة والجمال، تمتد إلى غاية منبت العقد من الدعامات، وتقوم على قاعدة مربعة حُولت إلى مثمن بواسطة حنايا ركنية على شكل بصمة الأصبع، أو

على شكل الصدفة من الداخل، كما فتحت بقاعدتها المربعة أربع نوافذ صغيرة استعملت لإضاءة وتهوية بيت الصلاة (**اللوحة رقم18**)، أما المحراب فهو لا يختلف في شكله عن محراب مسجد الحاج علي بزاوية تيماسين، أو المحاريب الموجودة بالمساجد العريقة في وادي سوف وتقرت، كمحراب مسجد سيدي عبد الله بتيماسين*(**الشكل رقم08**) ومحراب الجامع الكبير بقصبة تقرت[1]، ويبقى الاختلاف البسيط فيما بينها في الزخرفة المحيطة بها.

وما يثير الانتباه بصفة عامة عن مساجد الزوايا التجانية، أنها جاءت صغيرة جدًا من حيث المساحة مقارنة مع بعض مساجد المنطقة، كمساجد بني ميزاب وبعض مساجد إقليم توات، أو مقارنة بالمساجد الكبيرة المعروفة عبر مختلف مناطق العالم الإسلامي، هذا رغم أهميتها ودورها الكبير داخل الزوايا أو في المنطقة ككل .

وما يلفت الانتباه أيضًا أن التخطيط المربع في بيوت الصلاة، تكاد تنفرد بها مساجد الزوايا التجانية في المنطقة، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن لماذا اختير هذا النموذج دون غيره في تخطيط هذه المساجد؟ خاصة إذا علمنا أن تخطيط بيوت الصلاة في معظم المساجد الصحراوية جاءت ذات شكل مستطيل عرضها أكبر من عمقها، مثل الجامع العتيق بالأغواط والجامع الكبير بتقرت وجامع سيدي إبراهيم بتيميمون[2]، على نمط الجامع

---

* . مسجد سيدي عبد الله اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ إنشاءه فمنهم من يرجعه إلى عام 1192هـ /1777م والبعض الآخر إلى 1319هـ/1902م من طرف الحاج عبد الله المغراوي يحتوي هذا المسجد على منارة ضخمة تتوسط القصر القديم يبلغ ارتفاعها 23.20م وعرضها 20م وقد ذكرها العياشي في رحلته بناه البناء احمد بن محمد الفاسي المغربي وأكثر ما يشد الانتباه في هذه المئذنة هو طابعها المعماري الضخم

1 . أسسه السلطان إبراهيم بن محمد بن جلاب عام 1220هـ/1805م وذلك على أنقاض المسجد القديم الذي بناه سليمان الجلابي والذي تهدم إثر هجوم صالح باي على تقرت أنظر، شهبي (عبد العزيز)، دراسة أثرية لمساجد الزاب ووادي ريغ ، رسالة دكتوراه حلقة ثالثة في تاريخ الجزائر، 1985م، ص140

2 . علي حملاوي، مرجع سابق ص190

الأموي بدمشق[1]، ولكن من خلال الملاحظة والتدقيق، تبين لنا أن بيت الصلاة بمسجد زاوية تيماسين في أصله كان أوسع مما هو عليه الآن، إذ كان يتكون من خمس بلاطات عمودية على جدار القبلة، وثلاث أساكيب موازية له، ولكن بعد بناء الضريح والمقبرة نقصت المساحة المخصصة له بخصم البلاطتين الغربيتين، وأخذ بذلك الشكل الذي هو عليه الآن .

أما فيما يخص مسجد الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، فيذكر أهل الزاوية أنه كان في الأصل يشغل المكان المخصص حاليا للضريح، وبعد وفاة الشيخ أحمد عمار دفن بالمكان ليتحول إلى ضريح*، في حين بنى الخليفة محمد العيد الأول (1230هـ،1292هـ /1815م،1875م) في ظرف سنتين المسجد المعروف حاليا بمسجد الشيخ أحمد عمار ذا الشّكل المربع، مابين الضريح والمقبرة والساحة العامة، أي أن الشكل المربع للمساجد بالزوايا التجانية كان استثناءًا لضرورة إنشائية بحتة، كما ظهر في بداية الإسلام في جامع الكوفة حيث استخدم رمي الرمح لتحديد الأركان الأربعة للجامع[2].

وتبقى المساجد من المباني الدينية المحورية داخل النسيج العمراني، اتخذت موقعًا مميزًا وسط الزوايا، على غرار ما عُرفت به في المدن الإسلامية، كما اتخذت موقعًا ملاصقًا للضريح والساحة العامة، تتجه إليه مثلما سبق وذكرنا جميع الأروقة والدروب.

2. الأضـــرحـــة:

---

1 . كمال الدين سامح، العمـــارة في صـــدر الإســـلام، الهيئة العامة للكتاب، القاهـــرة، 1982، ص27

* . يذكـــر أهل الزاويـــة روايـــة عن الشيـــخ أحمد عمار حفيـــد الشيخ التجاني أنه جاء في زيـــارة رفقة زوجتـــه إلى زاويـــة قمار فمرض وتوفي بها فدفـــن بمسجد الزاويـــة ولكن زوجته الفرنسيـــة السيدة أوريلي رفضت ذلك وأصرت على أخذ رفاتـــه إلى زاوية عين ماضـــي أين دفـــن والـــده محمد الحبيب مستعينـــة بالسلطات الفرنسيـــة ولكن سكان قمـــار تحايلوا عليها ونبشـــوا الضريح ولكن قدمـــوا لها رفات غيـــر رفاته لتأخـــذها إلى عين ماضـــي ويبنى عليه ضريـــح لذا يطلـــق التجانيون عليـــه لقب ذو القبـــرين.

2 . مهنا رئيف وبحر ويس، نظريـــات العمـــارة، الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992 ص70

الضريح في زاوية تيماسين كما في زاوية قمار يأخذ الشكل المربع المتقايس الأضلاع طول كل ضلع فيه 8,30م في زاوية تيماسين، و9م في زاوية قمار(**الشكلين رقم06 و07**) وهذا التخطيط معروف وشائع في جميع الزوايا المنتشرة عبر مختلف مناطق المغرب الإسلامي، إذ يعود أصله إلى أقدم الأضرحة الإسلامية في المشرق بإيران والعراق*، وهو تقليد لبعض العمائر الجنائزية القديمة المعروفة لدى الفرس، ثم استمر انتشاره عند المسيحيين وتلاهم المسلمون فيما بعد[1] .

والأضرحة في الزوايا التجانية يتم الدخول إليها جميعا من بيت الصلاة مباشرة، أو عبر مدخل في الرواق الذي يتقدم المسجد والضريح، باستثناء ضريح الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، حيث نجد مدخل واحد مفتوح على الجهة الشرقية (**اللوحة رقم19**)، في حين نجد نافذة صغيرة في جدار الرواق، ويشغل وسط الضريح أربع دعامات ضخمة، ثُمانية الأضلاع في ضريح زاوية تيماسين، ومتقاطعة الأضلاع بضريح زاوية قمار، وهي خالية من القواعد والتيجان وتعلوها عقود نصف دائرية، ترتفع على مستوى الأرض بمقدار 3,30م بزاوية تيماسين، و3,65م بزاوية قمار، وهي متصلة كذلك بالجدار من الجهات الأربع وتحمل بدورها قبة ضخمة مضلعة الشكل، تقوم على رقبة مثمنة تم تحويلها من المربع بواسطة حنايا ركنية، زُينت بزاوية تيماسين بأطر من الجص المزخرف بأشكال هندسية ونباتية وكتابية أضيفت في فترة زمنية لاحقة، وذلك بعد عملية التجديد التي مست معظم أجزاء الضريح، في حين لا نجد أي زخرفة سواءً بالجص أو بالألوان المائية بقبة ضريح زاوية قمار، ولعل ذلك يعود إلى كون الضريح لم يخضع لأي زيادات أو ترميمات مست جوانبه

---

*. تعد القبة الصليبية التي تنسب إلى الخليفة العباسي المستنصر بأمر الله (623هـ،640هـ /1228م،1243م) والتي تقع قبالة قصر الجوسق الخاقاني من أقدم نماذج المدافن الإسلامية والتي يعود تاريخها إلى العصر العباسي .

1. لمعرفة طرز الأضرحة الإسلامية، أنظر ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، القاهرة 1981 كذلك Henri (Stierlin) , Architecture de l 'Islam. Office de livre Fribourg, 1979

المعمارية والفنية، إذ يعتبر المعلم الوحيد تقريبًا في الزاوية الذي حافظ على شكله الأصلي منذ سنة 1789م، رغم التجديدات التي مست معظم أجزاء الزاوية، هذا ونجد بضريح زاوية تيماسين خزائن جدارية عددها ثلاثة، واحد بالجدار الغربي والآخرين بالجدار الجنوبي، وهي لوضع الأشياء والتحف الثمينة الخاصة بالعائلة التجانية، يبلغ عرض هذه الخزائن 1,25م وارتفاعها حوالي 3م، كما توجد نافذة بعرض1م بالجدار الجنوبي المطل على رواق المسجد والضريح، ويتوسط الضريح قبر الولي الصالح والخليفة الأول للطريقة الحاج علي بن عيسى التيماسيني، وهو على شكل صندوق من الخشب المنقوش مغطى بسياج حديدي أبعاده 6, 64م× 5 ,2م، ومغطى هو الآخر بأقمشة حريرية تحيط به من كل جانب **(اللوحة رقم20)**، ونفس الشيء نجده بضريح أحمد عمار بزاوية قمار، وعلى جانبيي قبر الولي نجد قبور مختلفة الأحجام خاصة بأفراد عائلته أو أقرب المقربين إليه، وهذه الظاهرة نجدها في كل الزوايا تقريبا[1] **(اللوحة رقم21)**.

3 . المقابـــر:

إذا كانت المقابر في القصور الصحراوية تقع خارج الأسوار، على مشارف المداخل مثلما هو معروف بالمدن الإسلامية، فإن المقابر في الزوايا التجانية ارتبط موقعها مع المساجد والأضرحة، فهي تشكل وحدة عمرانية لا يمكن الفصل بينها**(الشكلين رقم 06 و07)**، ضف إلى ذلك أن المقابر في الزوايا جاءت داخل غرف خاصة مستطيلة وواسعة، تقع هذه الغرف في زاوية تيماسين في الجهة الشمالية لبيت الصلاة، يتم الدخول إليها عبر مدخل عرضه 1,18م وعددها ثلاث غرف مقاساتها تتراوح مابين 18,30 و20م طولا و4,95م و6,20م عرضا، مغطاة بقباب محمولة على حنايا ركنية وهي مخصصة لدفن أفراد العائلات القاطنة داخل الزاوية فقط، وتلحق بهذه المقابر غرف خاصة خصصت لوضع لوازم الدفن **(اللوحة رقم22)**.

1 .Commandant (couvet), ‹‹les marabouts petites funéraires et votifs du Nord de l’Afrique ›› in revue africaine t 64 Alger 1923, pp 274, 329, 521

وما يلاحظ في زاوية قمار وجود غرف دفن إضافية في الجهة الجنوبية من الضريح وهي أصغر حجما وأقل عدد من حيث القبور، يقول أهل الزاوية أنها خصصت لدفن أبرز أعضاء الطريقة، أو أحفاد وأقارب الولي الصالح (**اللوحة رقم 23**).

أما فيما يخص القبور في حد ذاتها، فإنها جاءت بسيطة خالية من أي علامة أو كتابة تفرق بين قبر وآخر فهي لا تبرز عن الأرضية أكثر من شبر أو شبرين، ويتم تحديد موضع الرأس والأرجل بواسطة حجارة مصفحة مثبتة عموديا.

وصفوة القول أن المباني الدينية في الزوايا التجانية، رغم ما تتسم به من بساطة في مظهرها الخارجي وفي توزيع عناصرها المعمارية، فقد قامت ولا تزال تقوم بدور معتبر في هيكلة النسيج العمراني في المنطقة ككل، علاوة على كونها أماكن يُستفاد بها فيما يصلح للمجتمع من أمور دينية ودنيوية، ساهمت عبر مختلف المراحل في نشر الثقافة والوعي بين أفراد المجتمع، والحديث عن النسيج العمراني في الزوايا يقودنا حتمًا إلى الحديث عن العمارة السكنية، باعتبارها هي الأخرى وجهًا من الأوجه الثقافية والحضارية المعبرة للأسرة والمجتمع، كما تعد الخلية الأساسية التي يقوم عليها أي عمران.

ثانيـــا: <u>العمـــارة السكنيـــة</u>:

تعد البيوت من أهم المباني التي تشكل أي تجمع سكاني، فبناء المسكن وتطويره من أهم انشغالات الإنسان منذ القدم، لأن الهدف الأول من وراء ذلك هو تمكين الإنسان من الحصول على مكان ملائم يحميه حر الصيف وبرد الشتاء، ويوفر له الأمن والراحة والاستقرار، فكل الشعوب تحاول أن تعطي لمساتها على هندسة بيوتها، فوجدت على وجه الأرض أشكالاً وأحجامًا هندسية مختلفة، هي نتاج لآلاف السنين من الثقافة والابتكار[1] وصراع مع الطبيعة لوجود بيت يُلائـــم الظروف المناخية السائدة.

ولم يكن تأثير الظروف المناخية ومواد البناء على التصميم العام للزوايا وعلى توزيع الكتل العمرانية فحسب، بل انعكس كذلك على توزيع الوحدات والمكونات المعمارية لها، من

1 .Fathy (H), Construire avec le peuple, sindibad, paris,1970, p 15

مداخل وسقائف وصحون وغرف، وغيرها من المكونات التي دفعت بالسكّان إلى محاولة البحث عما يوفر لهم الحماية والراحة الجسمية والنفسية، ويلبي رغباتهم ويرضي أفكارهم النابعة من الدين والمجتمع[1] .

وبما أن البيوت تُعتبر النواة الأولى في تكوين أي مدينة إسلامية، فإنها تتقّيد بالشريعة الإسلامية من حيث التخطيط وتوجيه المداخل والنوافذ، وكان من نتاج ذلك أن اتجهت معماريًا نحو الداخل، على غرار ما فعلته المجتمعات الإسلامية، وهي ظاهرة أضحت من أهم مميزات العمارة الإسلامية[2] بصفة عامة والصحراوية بصفة خاصة .

1. التصميـــم الخارجـــي للبيت التجانـــي:

مما لا شك فيه أن البيت بالمغرب الإسلامي بصفة عامة والقصور الصحراوية بصفة خاصة، قد عرف العديد من التطورات والتغيرات في العهود السابقة، مما أُدخل عليه من تحسين في التخطيط والعناصر المعمارية، لا سيما وأن تقاليد بناء البيوت كانت متقاربة في حضارات مدن البحر الأبيض المتوسط، إذ يُراعى فيها ظروف المناخ، بتوفير الرطوبة، ولتقي أهلها لفحات الحر "فالبياتو" و"الأتريوم"(Atrium) في البيت الروماني، كالفناء في البيت المشرقي والمغربي، فهو عنصر أساسي[3]، فاتجاه الرياح والشمس من بين الظروف المناخية التي تتحكم في اتجاه البيت، إذ تكون الغرف أكثر حرارة عندما تكون متجهة جنوبًا، ولتفادي ذلك توجه باتجاه الشمال، كما توجه حسب اتجاه الرياح فإذا كانت الرياح شمال شرق من الأحسن اتجاه البيت شمال شرق أو جنوب غرب[4]

---

1 . عبد القادر الريحاوي، البيـــت في المشـــرق الإسلامـــي، ضمن مجموعة أبحاث، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، تلمسان 15 ــ 18 نوفمبر 1982م ص14

2 . ثروت عكاشة، القيـــم الجماليـــة في العمـــارة الإسلاميـــة، دار الشرق، القاهرة، 1984م ص61

3 . عبد القادر الريحاوي، مرجع سابق، ص02

4. Fathy (H), Op Cit. p94

ولاستغلال هذه الرياح أحسن استغلال أُعطي لعملية التهوية أهمية كبيرة في بناء هذه البيوت، فكلما زاد اتساع الفتحات التي يدخل منها الهواء وضاق مخرجه كلما زادت نسبة تهوي المبنى[1].

ومن خلال دراسة بيوت كل من زاويتي قمار و تيماسين يلاحظ تلك البساطة التي تظهر من الخارج، إذ يبدو البيت بشكل مكعب خالي من جميع مظاهر الترف أو الزخرفة حتى النوافذ تكاد تنعدم، وإن وجدت فهي ضيقة وبأعلى الجدار، وهذه الظاهرة يمكن ملاحظتها بكل قصور وادي سوف ووادي ريغ، وبيوت قصور الجنوب التونسي والبيوت الإسلامية في البيئة الصحراوية بصفة عامة[2]، فهي لا تتقيد بقواعد أكاديمية في التشكيل ولا بنظريات الجمال الخاصة بالعمارة والفنون، وهذا ما أعطاها ميزتها وطابعها الأصيل فجاءت المباني والتجمعات العمرانية بأعمال متميزة، عفوية وتلقائية من واقع الخبرة التراكمية عند الإنسان الصحراوي وفي تذوقه لفنونه المعمارية والشعبية.

ويتكون البيت بكلتا الزاويتين من وحدات سكنية مشتركة بين بيوت الخواص وبيوت العامة، مع اختلاف من حيث المساحة المخصصة وعدد الغرف بالبيت والملحقات الإضافية المتمثلة في المرافق المعيشية والصحية، في حين يشتركان في الوحدات الأساسية والتي سنتعرض لها بالتفصيل بعد عرض نموذج من العمارة السكنية العامة في كل من زاويتي تيماسين وقمار.

2. نمـــاذج من العمـــارة المدنيـــة

أ. زاويـــة تيماسيـــن

ـ دار الســـادة (المشايـــخ):

اشتملت الزاوية التجانية بتيماسين على عدة منشآت مدنية، تمثلت في الدور السكنية الخاصة بعائلات الزاوية، والتي جُعلت في شكل مجمع في الجهة الجنوبية الشرقية من الزاوية، بالإضافة إلى المجمع العلمي أو دار العلوم في الجهة الجنوبية آخر الشارع

1. Ibid, p93
2. Combus (L), l ’habitation djerbienne, Tunisie, C.A.T. A.N, T5, Toulouse,1959 p 56

الرئيسي، وأكثرها ترفـــا وأروعها هندسةً دار السادة أو المشايخ، التي أشرف على إنجازها الشيخ محمد العيد الأول.

تتكون دار المشايخ ــ وهي عبارة عن مجمع معماري ضخم ــ من ثلاثة أقسام متلاصقة هي بهو الاستقبال في الجهة الشرقية، ودار الخُدّام في الوسط، و الحوش الرئيسي في الجهة الغربية.

يمكن الولوج إلى المجمع من الشارع الرئيسي عبر باب ثانوي عرضه 2.30م، مغطى بقبة نصف دائرية والذي يفضي بدوره عبر رواق إلى الصحن المتميز باتساعه، إذ يتراوح طوله بين 14.70 من الشرق إلى الغرب و 18.90م من الشمال إلى الجنوب، تحيط به أروقة من جهاته الأربع تحمل كل منها بائكة تشكلها مجموعة من العقود المنكسرة المتجاوزة ترتكز على أعمدة مضلعة الشكل، يتقدم كل رواق مجموعة من الغرف ذات مقاسات وأشكال مختلفة، تتميز الغرفتان الواقعتان في الجهتين الشمالية والجنوبية بكبرهما، يقدر طول كل منهما 9.25م، وعرضهما حوالي 7.20م، تفتحان على الصحن بواسطة باب مكون من دفتين خشبيتين، بعرض 1.40م وارتفاع 2.30م، ونجد على جانبي الغرفة الشمالية من الصحن نافذتان عرض كل واحدة 0.90م، وارتفاع 1.20م، أما على الجهة الغربية فنجد غرفتان مربعتان صغيرتان نوعًا ما، يقدر طولهما ب4م وعمقها 4.5م، تفتح بهما نافذتان بنفس مقاسات نوافذ الغرفة الشمالية، أما الغرفة الواقعة في الجهة الشرقية طولها 5.50م وعمقها 2م .

يكتنف الغرفة الجنوبية رواقان صغيران، يضم أحدهما درج يؤدي إلى السطح، ويشتمل الآخر على خابيتين كبيرتين كانتا تستغلان لتخزين التمر، ويفضي هذا الرواق في جانبه الغربي إلى مخزن كبير، مقسم إلى عدة أجزاء مخصصة لتخزين الحبوب، كما تكتنف الغرفة الشمالية غرفتان مربعتا الشكل تقريبا طول ضلعيهما 3.20م×3م، وتوجد في الركن الشمالي الشرقي للحوش دورة المياه مُشكَلةً من مرحاض وميضأة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن البوائك المطلة على الصحن لم تُزخرف بشرائط من الزخارف الجصية مثلما هو عليه الحال بدار الشيوخ بزاوية قمار، وإنما كُسيت بطبقات حديثة من الفسيفساء الخزفية، غيرت نوعا ما من وجهها التقليدي الأصيل.

يوجد في الجهة الغربية بالقرب من دار الخزين ممر يؤدي إلى فناء أقل اتساعا مربع الشكل تقريبا أطواله 13م×14م، ويفصل بينه وبين الساحة العامة جدار سميك يمكن الوصول منه إلى بهو الاستقبال عبر الفناء، وهو عبارة عن قاعة فسيحة مستطيلة الشكل يقدر امتدادها من الغرب إلى الشرق 9.20م×5.80م، جعلت لها نافذتين كبيرتين في الجهة الشرقية، ويقابلها في الجهة الغربية مدخل آخر يُفضي إلى الساحة العامة وهو مخصص لدخول الشيخ دون المرور على الشارع الرئيسي .

تتصل بالبهو على جوانبه قاعات أخرى أقل اتساعا، زينت جدرانها بنوافذ صغيرة صماء، كما زخرفت أسقفها بألوان مائية زاهية غلب عليها اللونان الأزرق والأخضر تشبه إلى حد كبير تلك التي زينت بها جدران أواوين التدريس بمجمع القبة الهرمية بزاوية قمار، تمثلت مواضيعها الزخرفية في دوائر مشكلة من فصوص وأطباق نجمية صغيرة، بالإضافة إلى زخرفة الأرابسك المتكونة من الأوراق والأزهار الصغيرة، كما يلاحظ زخرفة كتابية أعلى الجدار.

وفي آخر هذا الموضوع يمكن أن نقول عن دار السادة أنها كانت ولازالت تستقبل كبار الضيوف من مشايخ الطريقة الوافدين من قمار أوعين ماضي أو حتى من خارج البلاد يظهر ذلك من خلال فخامة الغرف الرئيسية وكذا الدار الملحقة المخصصة للخدم وأيضا من البهو المستطيل، والتي كانت بمثابة قاعات تشريفات أو تكريم من خلال الزخارف الفنية المتنوعة أو من خلال التوزيع المحكم للعناصر المعمارية .

ب. زاويـــة قمـــار

ـ <u>مجمع القبـــة الهرمية</u>:

تعرف بدار الضيافة، وهي من أروع نماذج العمارة السكنية في زاوية قمار، سواء من حيث التصميم أو من حيث غناها بالعناصر المعمارية والفنية، حتى جازت تسميتها بالقصر، كان تأسيسها بتكليف من الشيخ محمد لعروسي في الفترة ما بين 1893م - 1920م، وهي تنقسم إلى قسمين:

القســـم الأول: ويشمل على قاعة كبيرة مربعة الشكل تقريبا مقاساتها 6.5م×7م، جُعلت لها خمس نوافذ، واحدة على الجدار الشمالي مطلة بذلك على الساحة العامة، والبقية تُفتح على البهو الجانبي (**الشكل رقم09**) مقاساتها 1م×0.75م، أما السقف فقد جُعل بشكل هرمي متناسق الأضلاع، كُسي بطبقةٍ من الجص المخرم بزخارف ملونة*.

وللقاعة باب صغير في الجدار الغربي، يؤدي إلى قاعة أخرى صغيرة مستطيلة الشكل بها مرحاض ومدفئة، كما تشمل على سلالم تؤدي صعودًا إلى السطح، ونزولاً إلى دهليز أسفل القاعة، وهو مخصص لتنقل الحريم خلال مواسم الزيارات، حيث يكثر الوفود والأجانب.

القســـم الثاني: ويشمل على ست قاعات صغيرة ثلاثة في كل جانب، يفصل بينها رواق طولي ينتهي في الجهة الغربية بنافذة مفتوحة باتجاه المدخل الرئيسي للزاوية، كما ينتهي في الجهة الشرقية برواق عرضي يفصل بينها وبين القاعة الكبيرة، وقد بُنيت بشكل متناوب مع قاعات أخرى هي أشبه بالأواوين، جعلت مفتوحة على الرواق بعقود مختلفة الأشكال، تتخللها زخارف بالألوان المائية، فقـــدت الكثير من معالمها بفعل الرطوبة الخارجية، وهي مخصصة لاستقبال الضيوف الأجانب عن الزاوية يظهر ذلك من خلال السجل الذهبي الموضوع على طاولة في آخر الرواق (**اللوحة رقم24**).

---

*. عن القبة الهرمية من حيث مقاساتها وتقنيات بنائها أنظر موضوع القبة في آخر هذا الفصل

والشيء الملاحظ على هذه الغرف أنها غير متساوية في المساحة، فهي تتراوح مابين 8.5م و 10م، أُضيف لها في النصف الثاني من القرن الماضي غرف أخرى مشابهة في الطابق الأرضي وبنفس عددها.

يمكن الصعود إلى مبنى القبة الهرمية ولواحقها بدرجيــن، أحدهما حلزوني يصعد مباشرة أسفل القاعة الكبيرة، وثانيهما يصعد من الجهة الشرقية للغرف الصغيرة، ورغم أنه لم تتضح الوظيفة الحقيقية لهذا القصر، ولكن يبدو من خلال شكله ومرافقه أنه يشبه تخطيط المدارس الداخلية التي أنشئت في الحواضر الكبرى[1]، والتي عادة ما تشمل على قاعة للدروس أو أكثر، وقاعات صغيرة للمذاكرة أو للجلسات العلمية وإقــامات للطلبة.

3. توزيــع العناصــر المعماريــة في العمــارة السكنية:

أ. المداخــل:

يعتبر المدخل من أهم العناصر المعمارية المتحكمة في توجيه العمائر وتحديد نظامها في مباني الزوايا بصفة خاصة، وفي البيت الإسلامي بصفة عامة، فأول ما يُلاحظ عند مدخل المنزل العتبة، وهي درجة صخرية موضوعة عند مدخل المنزل قبل الباب، يبلغ ارتفاعها حوالي عشرة سنتيمترات، هذه العتبة تقي الدار من دخول الأتربة الرملية و مياه الأمطار و الحشرات الضارة و خروج الهواء البارد أيام الحر الشديد.

والمدخل المنكسر[2] الذي وجدناه في جميع النماذج المدروسة تقريبا، يعتبر سمةً لافتة في كل المرافق، لما يتسم به من مزايا تتماشى وتعاليم الدين الإسلامي الداعي إلى اتقاء نظرات المارة والحفاظ على أسرار وحرمة البيوت، إذ نجد أنّ الأبواب تكون مفتوحة على الدروب والأزقة الضيقة في وضع غير متقابل، وما يُلاحظ على المداخل المنكسرة في زاوية تيماسين، هو عدم الانتظام في الشكل أو التخطيط، حيث نجده في بعض المرافق عبارة عن

---

1 . عبد العزيز حسونة، مرجع سابق، ص 103

2 .أطلق عليه المؤرخــون القدامى في المشرق اسم الباشــورة أنظر فريد شافعي، العمــارة العربيــة في مصــر الإسلاميــة مج1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م ص45

رواق طوله 5م وعرصه1م، ينتهي بحائط في الواجهة لكسر النظر، وبهذا يعتبر الرواق ككل مدخل تابع للفضاء الخارجي، إذ أنّ حدود المرفق تكون مع واجهة الحائط، كما نجد مداخل منكسرة أخرى في بعض البيوت بزاوية قمار، تأخذ الشكل العرضي إذ أنّ الحائط الأفقي يكون مفتوحا من الجهتين، جهة مفتوحة على الصحن والجهة الأخرى على غرفة الاستقبال، والجدير بالذكر أن هذا النظام يسمح بترك الباب مفتوحًا طوال النهار، وبالتالي خلق تيار هوائي بينه وبين الفناء والغرف .

ب. السقائـــف:

السقيفة إحدى المكونات الأساسية ليس في بيوت الزوايا التجانية فحسب، بل وجدت في معظم منازل القصور الصحراوية والبيوت الإسلامية ككل، مع الإخلاف في أشكالها وعدد أقسامها، فهي ترتبط بعدد المداخل إذ تأتي مباشرة بعد المدخل، ووظيفتها يفرضها عليها موقعها في زاوية المسكن، الشيء الذي يجعلها تكسر رؤية الناظر الذي يحاول النفاذ من الخارج إلى قلب المسكن، وهذه الحيطة جعلت من الباب الرئيسي أهم الأماكن التي تعمل على تهوية المنزل، وتكون مراقبة من الداخل بواسطة فتحة تتصل بوسط الدار، ورغم أن باب المسكن يبقى مفتوحًا طوال اليوم، إلاّ أن عادات وآداب أهل المنطقة لا تسمح لأي شخص بالدخول إلى مسكن غيره دون طلب الإذن بالطرق على الباب، ولذالك يبقى الطارق في فضاء السقيفة ينتظر أن يؤذن له بالدخول، وهذا عملاً بقوله تعالى ﴿ **يَاأيها الذين آمنوا لا تَدخلُوا بُيوتًا غَيرَ بُيوتِكم حتَى تَستَأنسُوا وتُسّلمُوا عَلى أهلِها ذَلِكم خَيرٌ لكم لَعَلّكم تــذّكَرون** ﴾[1]، ومع ذلك نجد العديد من بيوت الخواص تتكون السقيفة فيها من جزئيين، سقيفة صغرى أو أمامية خاصة باستقبال الغرباء، تليها سقيفة كبرى يُحدد طولها حسب أهمية الدار نفسها، وإن كانت جل السقائف يُراعى فيها دائمًا أن تكون ذات انكسارات على وسط

1 . قــرآن كريــم، الآيــة 27 من ســورة النــور

الدار، أو تأخذ شكل الحرف اللاتيني(L)[1]، وفي بعض البيوت فتحت بالسقيفة مدخل بيت الضيوف، أو مدخل يؤدي إلى الإسطبل لمنع توغل أي حيوان إلى وسط الدار، بالإضافة إلى ذلك تؤدي السقيفة دورًا معتبرًا للأسرة، كونها تعتبر من الأماكن الملائمة في البيت لما تمتاز به من برودة في فصل الصيف، ولذلك غالبًا ما تُؤدَى بها بعض الأغراض المنزلية، كالطاحونة اليدوية المخصصة لطحن الحبوب، كالقمح والشعير، أو تجرى بها أشغال النسيج، كما يمكن أن تُستّغل للطبخ في فصل الشتاء، لذلك نجد أنّ أغلب السقائف في زاويتي تيماسين وقمار زُودت بمشكوات للإنارة.

ت. الصحـــون (الأفنيـــة):

يعتبر الصحن أو ما يسمى محليا بوسط الدار أو الحـــوش★ أهم فضاء في المنزل، وهو ميزة أساسية من مميزات العمارة الإسلامية، وأهم وحدة معمارية في العمارة السكنيـــة الصحراوية، عُرف بالمشرق كما عُرف بالمغرب، واستمر وجوده إلى يومنا هذا ولكن أصله يعود إلى حضارة ما بين النهرين، حيث ظهر هذا النمط في حدود 2000 سنة قبل الميلاد[2]، فقد أظهرت التنقيبـــات الأثرية نماذج لدور السكن من مختلف عصور العراق القديم، كانت تبنى من الطين وهي في الغالب مؤلفة من طابق واحد تحتوي على مجموعة من الحجرات يتوسطها ساحة مكشوفة[3].

---

1 . محمد الطيب عقاب، المدخـــل إلى المسكـــن العربـــي الإسلامـــي بمدينـــة الجزائـــر، المؤتمر العاشـــر للآثـــار، تلمسان،1982، ص04

★ . الحوش جمعه أحواش، وهو من جمع الشيء وضمه أو حاشه أي جعله في الوسط، ومن هنا كل منزل له فراغ في الوسط يسمى حوش ويقال المحاشة، أي أثاث البيت، أنظر ابن منظور، لســـان العـــــرب، مج2، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص1050

2. Atlas d architecture Mondale France, 1978, P89.

3 . مصطفى عباس الموسوي، العوامـــل التاريخيـــة لنشأة وتطـــور المـــدن العربيـــة الإسلاميـــة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص 220

ولقد استند الفكر التصميمي للمسكن الصحراوي التقليدي بصفة خاصة، على استخدام الفناء الوسطي كنقطة مركزية لتحقيق مبدأ التوجيه نحو الداخل، واستخدام الفناء الوسطي كان أحد أهم المبادئ التصميمية في عمارة مختلف الحضارات في العالم، رغم التباين في البيئات الحضارية والطبيعية، وهذا نابع من قدرة البِنَاء ذي الفناء الوسطي على التكّيف مع مختلف الظروف، من حيث تحقيق الكثير من المُتطلبات البيئية والحضارية والجمالة والاجتماعية، مثل الخصوصية والتوجيه للداخل والحماية، سواءً من الأخطار الخارجية أو البيئة القاسية، خاصةً في مناطق المناخ الحار.

ومما لا شك فيه أن وجود الفناء داخل المبنى يُحسن من البيئة المناخية الداخلية للفراغات المطلة عليه، حيث توّصل العديد من الباحثين* إلى خلاصة وهي أن المبنى ذو الفناء يعتبر أفضل المباني استخدامًا في المناطق الصحراوية، لأن الفناء يقوم بدور المنظم الحراري للمسكن، حيث يعمل على تلطيف درجة الحرارة داخل المبنى مستفيدًا من الفرق الكبير في درجة الحرارة مابين الليل والنهار، وتكوين أماكن ضغط متباينة مابين الشوارع الضيقة المظللة والفناء الوسطي المفتوح، من خلال دورة التبريد التي تتكون أثناء الليل والنهار، والتي تبدأ من ترسيب الهواء البارد في الفناء والغرف المحيطة به ليلا إلى ظهيرة اليوم التالي عندما تسخن الأسطح المعرضة للشمس[1]، فأثناء النهار يكون الفناء الوسطي مازال محتفظاً بالهواء البارد الذي اكتسبه ليلاً، كما يكون كله أو جزءً منه مظللا مما يوفر مكاناً

---

* . هناك العديد من الباحثين والنقاد المختصين في دراسة هندسة العمارة العربية الإسلامية، بأساليب مختلفة فكرية وهندسية وأثرية فنية تحليلية، للخروج بنتائج عن ماهية المعنى في عمارة المسلمين وفنونهم، ولازالت الأبحاث قائمة في هذا المجال لغزارة الإرث الحضاري الذي تركته حضارة المسلمين من عمارة وفنون وعلوم مختلفة، أذكر منهم ــ ممن اطلعت على بعض أعمالهم ــ الدكتور علي حملاوي رحمه الله في كتابه "نماذج من قصور منطقة الأغواط"، والدكتور سامي سعيد الشمراني صاحب كتاب "فلسفة الجمال في العمارة الإسلامية"، وكذا الدكتور وليد شلتوت صاحب "الأنماط المعمارية في العمران الصحراوي" والدكتور محمود سعد في بحثه "التنسيق الحضاري عبر العصور" والمهندس عبد العزيز سعود الرشود، وكذا الباحثة نهاد عبد المنعم، وغيرهم من الباحثين كثير.

1 . وليد شلتوت، مرجع سابق، ص 121

مريحًا للاستخدام من قبل الساكنين، وعند ارتفاع زاوية سقوط الشمس وزيادة درجة الحرارة أثناء النهار، ونظرًا لكون مواد البناء تكتسب الحرارة بسرعة، يصبح الفناء الوسطي أشبه بالمدخنة الحرارية، إلا أن الأزقة المُظللة تكون في هذه الفترة محتفظة بالبرودة وبالتالي ستُكون أماكن ضغط مرتفع، إذ يتحرك الهواء البارد عبر الفتحات في جدران المسكن من الأزقة إلى الفناء الوسطي عبر الفضاءات الداخلية التي مازالت محتفظة بالبرودة، بسبب خاصية التخلف الزمني التي تتسم بها مواد البناء الكتلية، والتي تؤخر وصول درجة الحرارة العالية إلى حوالي10أو 12ساعة[1] .

وفي الفترة المسائية أو الليل يستخدم الساكنون السطح للجلوس والنوم، حيث يبدأ الفناء والجدران السميكة بإشعاع الحرارة المختزنة طوال النهار إلى السماء الصافية، ومع النسمات الأولى للفجر يبدأ الهواء البارد بالهبوط تدريجيا إلى الأسفل، ويتجمع في الفناء الوسطي ليحل محل الهواء الدافئ الذي كان داخل الفناء، حيث أن الهواء البارد أثقل كثافة من الهواء الدافئ وهذا ما يُطلق علية بالتفريغ الليلي[2].

وقد أُجريت دراسة لمعرفة تأثير الفناء الداخلي بأحد المنازل التقليدية في كلٍ من القاهرة والقسطنطينية، في خفض درجة حرارة الغرف، وقد تبين أن درجة الحرارة داخل الفناء تكون أقل من درجة الحرارة فوق سطح المنزل، كما أن درجة حرارة الفناء تقل بحوالي 4 إلى 7 درجات مئوية[3] .

وفي دراسةٍ أخرى أجريت في بغـــداد على المساكن الصحراوية، إحداها كان بفناء وسطي مفتوح، والأخرى كانت بفناء وسطي تم تغطيته بمواد خفيفة، وقد وُجِد أن الأداء البيئي للفناء الوسطي المفتوح كان أكثر كفاءة من حيث تقارب المدى الحراري اليومي وكونه يقع ضمن حدود الراحة الحرارية المطلوبة للإنسان، خاصةً في ساعات الصباح وفترة ما قبل الظهر، أما الفناء المغطى فقد كاد يقترب في أدائه الحراري من درجات حرارة الهواء

---

1 . نفس المرجع، ص 122

2 . نفســـه.

3 . وليد شلتوت، مرجع سابق، ص125

الخارجي في ساعات الصباح الأولى، ويقل عنها في فترة ما بعد الظهر، أما في المساء وبعد غروب الشمس حيث تبدأ درجات حرارة الهواء الخارجي بالانخفاض يكون الفناء المغطى أكثر حرارة، حتى بعد منتصف الليل لكونه يختزن الحرارة المكتسبة طوال النهار، دون أن يتمكن من إعادة إشعاعها إلى السماء كما في الفناء المفتوح[1]، وهذا ما يؤكد أن الفناء المفتوح هو الحل التصميمي الأكثر كفاءة للمسكن في المناطق الصحراوية الحارة، إذ تكمن أهميته صحيًا واجتماعيًا وتنظيميًا، فهو النافذة التي يطل منها الإنسان على مظاهر الفضاء الخارجي، من رمل وشمس ونجوم وغيوم فيحس معها بالحرية المطلقة والهدوء وراحة البال[2] .

والفناء المركزي في الوحدة السكنية في الزوايا التجانية عمومًا تحيط به الغرف وملحقات البيت، فهو النواة التي تتوزع عليها من كل الجهات، بحيث يضيق ويتسع حسب حجم الدار، ويتم الدخول إليه عن طريق السقيفة مباشرة، كما يستفيد أهل البيت من استغلال الخدمات الصحية والاجتماعية التي يقدمها الصحن، إذ يعتبر مقرًا للنسوة في فصل الصيف، حيث تُنقل إليه معظم الأعمال المنزلية التي تنجزها المرأة كالحياكة والخياطة والطبخ وطحن الحبوب، ومقرًا لالتقاء جميع أفراد الأسرة وتعاونهم في الجلسات الصباحية والمسائية، كما هو فضاء للعب الأطفال الصغار خاصةً، مما يسهل عملية تنظيمهم ومراقبتهم من طرف الأم[3].

أما من حيث الجانب المعماري والفني، فإن الصحن أو الفناء لا يخضع لمقاييس محددة ومضبوطة، فهو يختلف من مبنى إلى آخر حسب حجم الدار، ففي بعض المنازل جاء واسع وفي أخرى مكتظة بالوحدات السكنية تقل مساحته، ولكن أغلب الصحون في بيوت زاويتي تيماسين وقمار، تأخذ الشكل المستطيل غير المتساوي الأضلاع، وهذا راجع إلى توزيع

---

1 . نفس المرجع، ص127

2 . عبد القادر الريحاوي، مرجع سابق، ص14 أنظر كذلك، حسن فتحي، العمارة الإسلامية والذاتية الثقافية واتصال الأرض بالسماء مجلة تنمية المجتمع، العدد الأول، السنة السابعة، القاهرة، 1982م ص4

3 . محمد تركي و خالد بوزيد، مرجع سابق ص9

الغرف من حولها، حيث يبلغ طولها في أغلب الأحيان مابين 7.84م و9.11م، ونادرًا ما يصل إلى 11م أو يتجاوزه قليلاً مثلما هو عليه الحال في أحد بيوت زاوية قمار(**الشكل رقم 10**)، وقد يكون للمنزل صحن ثاني يفتح به الباب الخلفي، ويضم عادةً الإسطبل ودورة المياه وبعض الغرف الملحقة، وبهذا تبعد نهائيًا عن الصحن الرئيسي الذي يكون في هذه الحالة أقلُ حجمًا واتساعًا، وليس فيه أي تأثيث باستثناء بعض الشبابيك المعدنية التي توضع لحماية الأطفال من السقوط، أو وجود السدة في وسطه، وهي بمثابة السرير النافذ داخل الرمل، لأن أرضيته غير مبلطة، تستغل في ليالي الصيف الحارة، فضلا عن ذلك أنّ بعض الصحون ــ وهي نادرة جدًا ــ تظم في وسطها بئر أو بئران للتزود بالمياه الصالحة للشرب، ولإضفاء الصبغة الجمالية عليه تحاط بعضها بأشرطة من الزخارف الجصية في أعلى الواجهات، أو بعض الأعمدة التي تحمل العقود والتي تشكل الأروقة الجانبية، وهي موجودة بكثرة في بيوت زاوية قمار على وجه الخصوص.

ث. الأروقـــــة (السابـــاط)

الأروقة في الزوايا التجانية عبارة عن مساحة مسقفة، تحيط بالصحن من جهاته الأربعة، أو من جهتين أومن جهة واحدة، تفصل بين الصحن والغرف وتطل عليه بواسطة عقود محمولة على أعمدة موزعة على مسافات متساوية فيما بينها، بحيث تعطي للمبنى توازنه، كما تضفي عليه سحرًا جماليًا، وتوزيع الأروقة موحد بحيث يتطابق مع الطابق العلوي دون تغيير، ماعدا من حيث شكل الأعمدة ويزخرف سقفها أحيانا بنوع من الزخرفة الجصية النباتية والهندسية، وتستغل للجلوس والراحة واجتماع العائلة، كما تكمن أهميتها في مراحل انتقال الفصول، من فصل إلى آخر، حيث تستعمل في الصيف والشتاء، كما تستعمل في الخريف والربيع، فرواق الجهة الجنوبية من الصحن يسمى بالرواق الظهراوي، ويخصص لفصل الصيف كونه يساعد على تلطيف الجو والتقليل من حدة أشعة الشمس، أما رواق الجهة الشمالية فيسمى بالرواق القبلاوي ويخصص لفصل الشتاء، إذ يُستعمل لتجفيف التُمور بعيدًا عن مختلف الظواهر الطبيعية كالأمطار والرياح، هذا فضلا عن كونه المخرج الرئيسي

الذي يسمح باستغلال قدر كبير من التيار الهوائي ويخلق بها جو من البرودة[1]، وزيادة على ذلك فإن الأروقة لها دور معماري، حيث تتخذ بمثابة الحامل الذي يقوم عليه الطابق العلوي وسقفه أيضا[2].

والأروقة في الزوايا التجانية بصفة عامة تختلف وتتنوع من مبنى إلى آخر ومن زاوية إلى أخرى، كل حسب موقعها ودورها **(اللوحة رقم25)**، ولكن ما يمكن ملاحظته هو أنها تشترك في بعض الخصائص، لعل أهمها هو ارتفاع مستواها عن وسط الدار بدرجة أو درجتين، قد تصل إلى 25سم أو30سم، أما الطول فهو متباين مابين 4.13م و6.75م، بالنسبة للأروقة المحيطة بصحون المنازل والبيوت، ومابين 11.13م و15 م بالنسبة للأروقة الفاصلة بين الكتل المعمارية، كالرواق المطل على الساحة العامة بزاوية قمار و عرضها ما بين 2.65م و3.83م ويصل في رواق الساحة العامة إلى 4.27م، وبها كّوات مستطيلة في مختلف الجهات، وهي بطول 40سم×25م، تضع فيها النساء الحاجيات الصغيرة، وقد تستعمل لوضع الشموع في الليل.

ج. الغــرف وملحقاتــها:

تعتبــر الغرف أو الحجرات الوحدات الأساسية في المسكن الصحراوي بصفة عامة وفي مساكن الزوايا التجانية بصفة خاصة، باعتبارها العنصر الأساسي لمختلف الوظائف المعيشية كالنوم والراحة والتخزين وغيرها، وهي تختلف من حيث البناء والتخطيط في الشكل العام، وفي توزيع مختلف العناصر المعمارية كالدّعامات والأقواس، ومن حيث المقاسات، ولكنها تشترك في كونها تتوزع بانتظام حول الصحن أو حوش الدار، فهي تفتح عليه كما تفتح غرف الطابق الأول على الأروقة .

ومما لا شك فيه أن عدم انتظام الغرف داخل البيت الواحد من حيث الشكل والحجم والعدد، يعود إلى حجم المسكن في حد ذاته، وإلى عدد أفراد الأسرة المكونة له، كما له

---

1 . علي حملاوي، المرجع سابق، ص248

2 . نفســـــه

علاقة مباشرة بالظروف العمرانية كضيق الشوارع وتعرجاتها وانكساراتها، دون إغفال الجانب الوظيفي لهده الغرف وملحقاتها، فغرف الاستقبال مثلا نجدها في جميع المساكن الصحراوية تقريبا، وهي تأخذ مكانها في أحسن موقع بالمنزل، وتكون متصلة غالبا بالسقيفة، حتى لا يُسمح للغريب بالتوغل داخل الدار، ونادرًا ما نجدها في الطابق الأول وإن وجدت فهي قاعة إضافية مثلما هو الحال بأحد بيوت زاوية تيماسين(**الشكل رقم11**)، حيث نجد باب مخصص لدخول الضيوف غير العاديين* دون الإثقال على أهل البيت وهو يؤدي إلى سلم يوصل إلى غرفة الاستقبال الموجودة في الطابق العلوي، كما يفتح بها باب ثاني خاص بأهل البيت، ليسهل عليهم عملية تنظيفها ونقل الطعام إلى الضيوف وتزويدهم بما يحتاجون .

والشيء الملاحظ أن هذه الغرف جاءت واسعة نوعًا ما، مقارنةً مع بقية الغرف الأخرى، فهي تأخذ الشكل المستطيل في كِلا النموذجين، فجاءت إحداها في زاوية تيماسين بمقاسات 3.90م×و2.40م، كما جاءت أخرى بزاوية قمار بمقاسات3.55 م ×2.75م وفي غالب الأحيان يُزخرف سقفها بنوع من الزخارف الجصية ذات مواضيع نباتية وهندسية، كما احتوت جدرانها على كوات فُتحت على مستوى الأرضية أو في وسط الجدار، استعملت لوضع وسائل الإنارة وغيرها من الأدوات، أما فيما يخص باقي الغرف الأخرى فهي تختلف وتتعدد على حسب عدد أفراد الأسرة، فنجد في زاوية تيماسين نماذج رائعة من الغرف الخاصة بأهل الدار، إذ تتوزع مابين الطابقين الأرضي والعلوي، حيث تكون الأسرة في غالب الأحيان منقسمة إلى قسمين أفراد الأسرة القديمة، أي أسر الجيل الأول كالجد والأب، والتي تكون غرفهم في الطابق الأرضي، أما الطابق الأول فغرفه تكون للأسرة الحديثة أو للأطفال، والتي توزع عليهم على حسب العمر والجنس .

والملفت للانتباه أيضًا أنه في الطابق العلوي لمعظم البيوت المحيطة بالمسجد، توجد غرفة واسعة مغطاة بقبة كبيرة نصف دائرية، تقوم على حنايا ركنية مزخرفة بزخارف من

---

* . نقصد بالضيوف غير العاديين، الضيوف القادمون من خارج المدينة في إطار الزيارات الرسمية في مواسم وأوقات معينة عكس الضيوف العاديين من أهل المنطقة.

الألوان المائية، عبارة عن عناصر هندسية وكتابية ونباتية، وهي مزودة بنوافذ مطلة على الواحة، مما يزيد الغرفة انشراحًا، ومن خلال بعض النصوص التاريخية يتبين أنها كانت خاصة بصاحب البيت يستقبل فيها بعض ضيوفه الخواص، حيث يقول الرحالة الفرنسي لارجو[1]*(Largeau) ‹‹... وقد أخذنا إلى غرفته، التي هي عبارة عن قاعة واسعة تغطيها قبة كبيرة، تُستغل كمصلى وفي الوقت نفسه قاعة الاستقبال، وذلك لِما تحتوي عليه من مجلس خشبي مغطى بزرابي غالية الأثمان، جُلبت من معظم بلدان العالم تحيط به أرائك مغطاة بالمخمل، ويحيط بأسفل القبة أسماء الله الحسنى التسع والتسعين التي كتبت بألوان مختلفة ....››[2]، وأحيانًا تكون هذه الغرف مقسمة إلى قسمين، قسم للجلوس عادةً ما يضم في جدرانه كّوات نصف دائرية أو مثلثة متساوية الساقين، كما تتوفر في إحدى زواياها على مدفئة تستغل شتاءًا، أو في أعلى الجدار رفوف تعرف محليا "بالمرافع"، وهي من الخشب لوضع قارورات العطر ومواد الزينة، أما القسم الثاني فهو عبارة عن مقصورة مخصصة للنوم، يتم الدخول إليها عبر مدخل معقود بعقد نصف دائري متجاوز ارتفاعه 1.50م وعرضه 66سم، ويُطلق على هذا القسم "جناح الحناين" وهو على شكل مربع غير متساوي الأضلاع، تغطيه قبة مضلعة الشكل، ويستعمل هذا الجناح كمخزن للمجوهرات والتحف الثمينة في البيت، كما يُستعمل لنوم كبير المنزل أيام فصل الشتاء، أما في أيام الحر فإنه ينام في القسم الأول من الغرفة، أو في الرواق المقابل للصحن .

وما يمكن ملاحظته كذلك على بعض الغرف في زاوية قمار، أنها تمتاز ببساطتها وبضيقها واستطالتها، فهي عادة لا تتجاوز 2.20م×1.90م، ذلك تسهيلاً لعملية تسقيفها فأغلب الناس عندما يريدون بناء الغرف، يتمددون أرضًا فيكون ذلك هو مقياسها طولا وعرضا، أما

---

* . من الرحالة الفرنسيين زار منطقة وادي ريغ بغرض التعرف على المنطقة واستكشافها، تعرض خلالها إلى مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص مركزًا على أهم العادات والتقاليد والعناصر البشرية واللهجات وغيرها، كما حضي الجانب المعماري بجزء من الاهتمام للمزيد أنظر،

1. Largeau (v), Le Sahara Algérien, Paris, 1881.

2 . Largeau (v), Op. Cit p96

ارتفاعها فيكون حسب طول قامته[1]، وعلو الجدران لا يتجاوز2م في الغالب، ولا يرجع ذلك إلى عدم توفر مواد البناء بل للبساطة والاقتصاد، إذ نجد أن بعض الغرف حجارتها بادية في الجدران من الداخل والخارج، وأرضها غير مبلطة وعميقة على مستوى الصحن أو الرواق[2]، يُنزل إليها بدرجة أو درجتين، ومدخلها ضيق وهو الوحيد في الغرفة، أما الباب فمصنوع من تجمع أغصان النخلة مثبتة بقطع من نفس الجريد وأقفالها من نفس أجزاء النخلة، أما سقفها فأعد من جريد النخلة وأخشابها، ثم انتشرت القباب والأقبية بشكل واسع ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر، فلما زار المنطقة ــ قمار ــ الرحالة Duveyrier عام1860م والرحالة vilargeau عام 1875م أكدا على وجود هذه القباب التي تغطي أسقف الغرف في وادي سوف وفي عام 1900م أطلقت عليها Isabelle Eberhardt مدينة الألف قبة[3].

وما يمكن ملاحظته كذلك على بعض الغرف الصغيرة المشيدة من قبة واحدة خاصة في زاوية قمار، هو استحداث البنّاء لأقواس على الجدران، لإضافة قباب جديدة الغرض منها زيادة مساحة الحجرة إذا اقتضى الأمر ذلك فيما بعد.

ج.1 المطبـــخ:

يعتبر المطبخ من أهم المرافق المعيشية في المسكن الصحراوي بصفة عامة، لما له من أهمية قصوى في حياة الأفراد والأسر، ومع ذلك قلما نجد في الزوايا التجانية غرف خاصة بالطبخ، وإن وجدت فهي صغيرة الحجم وتوجد في إحدى الزوايا بوسط الدار وللإشارة فإن اختيار هذه الزاوية للطبخ يجب استشارة الجار في بعض الأحيان .

---

1 . لقاء مع شيـــخ الزاويـــة التجانيـــة بقمار بتاريخ 2008/05/15

2 . أحمد ابن الشين، المرجع السابق ص103

3 .Ahmed (Nadjah) , Op Cit. p91

والمطبخ عبارة عن موقد تعلوه رفوف وأوتاد وبعض الكُوات التي تستعمل لوضع لوازم المطبخ والأواني المستعملة بها[1]، ويرجع اختيار المطبخ في وسط الدار حتى تكون المرأة قريبة من غرفة الاستقبال، كما يسهل عليها عملية مراقبة دخول وخروج الأشخاص من وإلى المنزل، وكذلك مراقبة الأطفال في هذا الوسط، كما تتميز المطابخ بصفة عامة باحتوائها على المدفئة في أحد الأركان، تستغل في عملية الطبخ ومزودة بمدخنة تمتد داخل الجدار إلى أعلى السطح، وهي معروفة في العمارة الإسلامية الصحراوية والريفية على وجه الخصوص(**اللوحة رقم 26**)، وما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، أن بعض البيوت في زاوية تيماسين، اتخذت ركنًا من أركان السقيفة كمكان للطبخ، وهو مجهز أحيانا برفوف جدارية إضافة إلى المدفأة .

ج.2 المخـــــزن:

تزود المنازل في الزوايا التجانية الصحراوية بغرف خاصة تعرف ببيت الخزين، أو المخزن أو دار العولة، وهي غرف تتميز بعدم اتساعها مقارنةً بالغرف الأخرى، ووقوعها بعيدةً عن أعين الناس حتى لا يُعرف ما بداخلها، وعادة ما تكون في أبرد مكان بالبيت وأقله عرضة لأشعة الشمس، خاصةً بالطابق الأرضي .

وعدد المخازن واتساعها وضيقها مرتبط بمدى غنى صاحب البيت وحاجته لأماكن أوسع، ففيها يخزن أهل البيت مؤونتهم وموادهم الغذائية وخاصة التمر، فقد شيدت للتمر الجيد(دقلة نور) أو ما يعرف محليًا بالملبوزة، خوابي دائرية الشكل أو مخروطية، مبنية بالجبس في أحد نواحي الحجرة، وفي أسفل الخابية قصبة يخرج منها عسل التمر المضغوط بالنعناع، ويُجمع في قلة ثم يوضع بالزير، كما شيد بالقرب من الخابية الحد وهو مربع الشكل، يوضع فيه معجون التمر أو الحبوب من القمح والشعير، كما تُستعمل السبالات، وهي قلل كبيرة لحفظ

---

1 . محمد تركي و خالد بوزيد، مرجع سابق ص95.

الحبوب، كما يحفظ في القلل الصغيرة والزير، الزيت والشحم ومختلف الدهون، وفي زاوية من زوايا الدار يجمع الاحتياطي من الصوف ووبر الجمال والخشب وغيرها .

والملفت للانتباه أن هذا النوع من المخازن له أهميته الكبرى، باعتباره الممون الرئيسي لأهل الدار وقت الحاجة الملحة، كون المنطقة تتعرض للعديد من الأزمات الغذائية، كما يرجع ذلك إلى قساوة الظروف الطبيعية كالجفاف والفيضانات وحتى الأزمات الأمنية .

وفي وقت سابق كانت هناك مخازن رئيسية مشتركة بين أهل الزاوية الواحدة، شأنها في ذلك شأن العديد من سكان قصور المنطقة، أين تلعب الزاوية أو القصر دور مستودع التخزين، كما يفعل ذلك سكان جنوب المغرب الأقصى حيث يخزن المنتوج في أماكن آمنة، وفي حالة أي هجوم أو حصار يجد السكان ما يكفيهم من مؤونة، كما تظهر هذه المخازن المشتركة في بعض القصور الأخرى كقصور توات، ولكن مع الوقت تلاشت وأصبح كل واحد يخزن ببيته[1] .

ج.3 المرافــق الصحيــة:

من أهم المرافق الصحية التي تحويها منازل الزوايا التجانية والقصور بالجنوب الجزائري الإسطبلات ودورات المياه، فالإسطبل يكون منعزلاً عن وسط الدار، ويضم الحيوانات التي تساعد على العيش بما توفره من لحوم وحليب وأصواف، فضلاً عن كونها وسيلة للتنقل فنجد الحمير والجمال، كما نجد الماعز والأغنام والدجاج والأرانب وغيرها، أما معماريًا فالإسطبل قد يكون غرفة كبيرة واسعة مقسمة إلى أجنحة ومرابض، على حسب أنواع الحيوانات، وقد يكون غرف صغيرة لها عدة وظائف كتخزين العلف وأدوات الفلاحة، ووسائل التنظيف، وأماكن لوضع صغار الحيوانات وغيرها .

أما عن دورة المياه، فإنها في الغالب تكون تابعة للإسطبل، كما قد تكون منفصلة عنه في أماكن معزولة عن جناح المعيشة ومحجوبة عن الأنظار، لها مدخلها الخاص لا يستطيع معرفتها من لا يعرف البيت، أما من حيث شكلها وتصميمها فهي بسيطة للغاية، عبارة عن

1 .Godard (j), l’oasis moderne, essai d’urbanisme saharien, paris, 1953, p49

غرفة صغيرة أو غرفتين مساحتهما محدودةٌ جدًا، واحدة في الطابق العلوي وأخرى في الطابق السفلي، ولتسهيل إنجازهما يكونان على مستوى عمودي واحد لتسهيل عملية تجميع الفضلات وتنظيفها، ومن شروط اختيار الموقع أنهما لا يستندان إلى حائط الجار، بل تطل على الشارع الرئيسي بواسطة فتحة تسهل عملية التهوية، ونظرًا لانعدام المياه بالداخل فإنه يوجد بالقرب من المدخل زير يملئ بالماء كلما فرغ، وبجانبه إناء الوضوء، وكنموذج أخذنا عينة من المراحيض بأحد بيوت زاوية قمار، حيث نجده عند الدخول مباشرة إلى وسط الدار على الجهة اليمنى، وهو ما يزال تقليديًا محافظًا رغم بعض التجديدات، مرتفع بحوالي 30سم عن مستوى سطح أرضية الدار، له مدخل عرضه70سم وارتفاعه 1.8م، وهو عبارة عن مساحة شبه مستطيلة طول أضلاعها 1.4م×1.6م، وبها خشبتين صغيرتين عموديتين على المدخل، تتخللهما فتحة صغيرة تستعمل لقضاء الحاجة، متصلة بقناة ناقلة إلى مكان مخصص لرمي الفضلات وتخزينها لتستعمل فيما بعد كأسمدة لغابات النخيل، وبعض المحاصيل الزراعية بصفة عامة وبالقرب منه يوجد مدخل يؤدي إلى الإسطبل، وهو ذو مساحة كبيرة يُفتح على الفضاء الخارجي بواسطة مدخل يسمى المدخل الخلفي، وهو عادةً لا يفتح إلا عند دخول أو خروج الحيوانات.

ح. الأبـــــواب:

تعتبر الأبواب من أهم العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية بصفة عامة، فبواسطتها يتم الانتقال من مجال خارجي إلى مجال آخر يكون إلى الداخل أو العكس، وهي تختلف وتتعدد في أشكالها وأحجامها حسب موقعها ودورها بين المساجد والأضرحة والبيوت، وبين الأزقة والشوارع والدروب، فنجد الاختلاف حتى في المعلم الواحد، فهي مركبة وضخمة في المداخل الرئيسية، ومتوسطة الحجم في المداخل الثانوية الفرعية وصغيرة مبسطّة في مداخل الغرف والمرافق العامة، وبالتالي فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: أبواب المداخل الرئيسية، وتمتاز بكونها ضخمة ومركبة بحيث تتكون من مصراعين، مصنوعة إما من الخشب الصلب المغطى بالصفائح المعدنية النحاسية أو البرونزية، والمثبّتة بالمسامير ذات الرؤوس المستديرة، مثل باب مدخل حمة لعروسي الشرقي بزاوية قمار، وإما

من المعدن الخالص مثل الباب النحاسي الضخم للمدخل الرئيسي لزاوية قمار، وإذا كان النوع الأول مألوف ومعروف في العديد من مداخل المدن الإسلامية مثل أبواب القاهرة والمهدية وغيرها، فإن النوع الثاني فريد من نوعه في مثل هذه العمائر، لما تمتاز به في الصلابة والحجم من قوة وضخامة، وفي زخارفه ودقة صناعته من حسن وجمال (**اللوحة رقم04**).

أما فيما يخص **أبواب المداخل الثانوية أو الفرعية**، فهي تربط مابين الفضاءات الداخلية والأزقة الفاصلة ما بين الكتل المعمارية، لذا فهي تتميز بكونها أقل حجمًا من أبواب المداخل الرئيسية، ولكن لا تكاد تختلف عنها من حيث القوة والصلابة، مما يعكس أهميتها ودورها في الحفاظ على الأمن والنظام في مثل هذه المباني، فهي مصنوعة من مجموعة ألواح خشبية سميكة مشكلة بطريقة تسمح بتداخلها مع بعضها البعض، إما مسطحة مستطيلة وإما مجموعة أعمدة مكعبة[1] تمتد أفقيًا وعموديًا وتتماسك في ما بينها بواسطة تعشيق أطراف الألواح، أو بواسطة النقر بالمسامير المعدنية على الوجه الخارجي لها (**الشكل رقم 12**) ، وإلى جانب كونها تتكون من مصراعين يفتح في أحد مِصراعيها أو في صُلبها بابٌ صغير، يستطيع من خلاله من بالداخل معرفة القادم دون فتح الباب كله، وهي ميزة عُرفت في أبواب مدينة الجزائر باسم باب الخوخ أو الخويخة، كالباب الرئيسي لقصر الداي[2]، ولكن الاختلاف أنّ هذه الأبواب في زاويتي تيماسين وقمار جاءت صغيرة جدًا بما يصعب معه المرور، وذلك باعتبارها من الوسائل الدفاعية التي تزيد من تقوية وحصانة الأبواب، ضف إلى ذلك أنها تحافظ على خصوصية البيت بحيث يمنع الإطلاع على من بداخل السقيفة، أو الرواق أخذًا بقول رسول الله (ص) ‹‹ **من اطّلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقئوا عينه**››[3].

---

1. الطيب عقاب محمد، مرجع سابق، ص118

2 . الطيب عقاب محمد، مرجع سابق، ص118

3 . القرضاوي يوسف، الحـــلال والحـــرام في الإســـلام، ط2، دار البعث، الجزائر، د ت، 119

وأحسن مثال على ذلك الباب الرابط بين رواق المدخل الرئيسي والساحة العامة لزاوية قمار، أو باب رواق الضريح والمسجد بنفس الزاوية، وهي أبواب كذلك تتميز بالبساطة وعدم التناسق بين مختلف أجزاءها، باستثناء الباب الكبير الرابط بين بيت الصلاة وغرفة الضريح بزاوية تيماسين، فهو يتكون من مصراعين منسجمي الصنع، زخرف كل واحد منهما بأطباق نجمية ثمانية الرؤوس والمعروفة في مثل هذه العمائر بتونس والمغرب والتي تزخر بها العديد من التحف الخشبية والبلاطات الخزفية*.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن غلق هذه الأبواب يكون إما بأقفال من خشب مصنوعة بطريقة يدوية، يطلق عليها محليًا اسم " أنّاس" مثلما هو عليه الحال بباب رواق المسجد والضريح بزاوية قمار(**الشكل رقم13**)، وإما عن طريق ألواح خشبية عريضة وسميكة تكون غالبا لأشجار مثمرة كالزيتون، وتوضع بطريقة متقاطعة على ألواح الباب من الداخل، وهي طريقة معروفة ومستعملة بكثرة في المناطق الصحراوية والشبه الصحراوية، هذا ونجد بعض الأقفال المعدنية الثقيلة في أبواب زاوية تيماسين كباب الضريح وباب الرواق الغربي لزاوية قمار، يذكر أهل المنطقة أنه جيء بها من جربة التونسية، ضمن العديد من الصناعات والتحف التي تعج بها مختلف مرافق الزوايا التجانية بالجنوب الشرقي للجزائر، أما النمط الثالث من الأبواب فهو يتعلق **بأبواب الغرف والمرافق المعيشية**، فكلها ذات شكل واحد سواءً في المباني الخاصة كغرف البيوت وملحقاتها، أو في المباني العامة كأبواب المساجد والأضرحة وغيرها، فهي ذات شكل بسيط متكونة من دفة واحدة، أقل ارتفاعًا وعرضًا من الأبواب الثانوية، يصل معدل عرضها في كلتا الزاويتين إلى 75سم كأدنى حد وإلى 95سم كأقصى حد، أما ارتفاعها فهو يتراوح مابين 1.60م كأدنى حد و2م كأقصى حد، وهي مصنوعة في معظمها من خشب النخيل، زيِّن بعضها بزخارف بسيطة أنجزت إما بواسطة تجميع قطع خشبية ذات أشكال هندسية، تجمع مابين الدائرة والمربع والمثلث، مثلما هو عليه

---

* . يوجد نماذج منها على بعض أبواب قصر الضيافة بزاوية قمار، وعلى البلاطة الخزفية الموجودة في رواق الضريح والمسجد

الحال بباب قصر الضيافة والدار الخضراء بزاوية قمار، وإما عن طريق الحز أو الشطف أو الحفر بأنواعه، أو بواسطة المسامير الكبيرة الرؤوس المعروفة في مختلف العمائر الدينية خاصة كباب ضريح سيدي بومدين بتلمسان وأبواب الجامع الكبير بتقرت.

خ. النوافــذ والفتحــات:

تطلق كلمة نافذة على الفتحة التي تخترق الجدار لأغراض ثلاثة وهي: (التهوية والإضاءة والرؤية)، وكان أهم ما يميز المباني الصحراوية بصفة عامة منذ القدم، هو استخدام فتحات خارجية محددة، تكون صغيرة بالواجهة الخارجية بينما الفتحات الكبيرة تفتح على الفناء الداخلي، وتكون النوافذ ضيقة من الداخل واسعة من الخارج لتوسيع زاوية الرؤية من جهة، وتخفيف كمية النور ومنع الأشعة المباشرة من الدخول من جهة أخرى[1]، وكان لذلك أكبر الأثر في الحفاظ على درجات الحرارة الداخلية وتقليل الضغط الحراري النافذ من هذه الفتحات الخارجية، وعند الاضطرار لتصميم الفتحات الواسعة يتم معالجتها باستعمال العناصر التي تعمل على تفتيت هذه المساحة كالشبابيك المعدنية أو الخشبية أو حتى المشربيات*وهو ما وقفنا عليه بكثرة في زاويتي قمار وتيماسين **(اللوحة رقم27)** .

وعمومًا يجب الإشارة إلى أن البنّاء أو المعماري في البيئة الصحراوية اهتم بالتوجيه المناسب لفراغات المبنى والفتحات الخارجية على وجه الخصوص لتحقيق الأغراض الثلاثة السالفة الذكر وهي:

خ.1. التهويــة الطبيعيــة:

وذلك بفضل إيجاد فتحات متقابلة في التوجيه، تكون الفتحات صغيرة في الحوائط المواجهة للرياح، وفتحات كبيرة في الحوائط المقابلة لها، لأن فرق الضغط بين اتجاه الهواء

---

1 . وليد شلتوت، مرجــع سابق، ص125

✶. تعــرف المشربيــة في بعض بلــدان العالم الإسلامي باسم (روشن أو روشان) وهي تعريــب للكلمــة الفارسيــة (روزن) وتعنــي الكــوّة أو النافــذة أو الشرفــة، وأيا كان المسمــى، فإن الشكــل لم يختلف إلا في بعــض الجزئيات البسيطــة التي أضفت على شكل المشربيــة طابعاً مميزاً وخاصاً بكل بلد من بلدان العالم الإسلامي.

والاتجاه المضاد له يؤثر على كمية وسرعة حركة الهواء داخل المبنى، فكلما زادت نسبة فتحة خروج الهواء عن فتحة دخوله كلما زادت سرعة حركة الهواء داخل الفراغ وتحققت التهوية الطبيعية[1]، وبذلك نجد أن قلة الفتحات الخارجية تُمثل حلاً مناخيًا مناسبًا لمشكلة التسرب الحراري من الداخل نحو الخارج ليلاً أو شتاءً أو التسرب الحراري نحو الداخل من الخارج نهارًا أو صيفاً .

خ.2. الإضـــاءة الطبيعيـــة:

بالنسبة لتوفير دخول الإضاءة الطبيعية فتكون الفتحات أو النوافذ بصورة أكبر في اتجاه الشمال للاستفادة من الضوء الخالي من أشعة الشمس المباشرة، وتكون هذه الفتحات صغيرة في الغالب إذا كانت موجودة بأي واجهة أخرى غير الشمالية للحماية من الشمس المتوهجة بالخارج، أو تكون هذه الفتحات محمية بصفائح خشبية مركبة أو مشربيات للتحكم في درجة الإضاءة الطبيعية المناسبة.

خ.3. الرؤيـــة:

استعمال المشربيات أو الشبابيك الخشبية أو المعدنية، توفر الرؤية من الداخل إلى الخارج وتقللها أو تحجبها من الخارج إلى الداخل، لتحقيق مبدأ الخصوصية وبذلك تكون الفتحات متوافقة مناخيًا.

وما يميز المباني بصفة عامة في الزوايا التجانية هو ذلك الكتمان الذي يظهر من خلال قلة الفتحات على الخارج، حتى وإن وجدت فهي قليلة و صغيرة الحجم، خصوصًا تلك الموجودة بالطابق الأرضي، حيث نجد نوافذ صغيرة للإضاءة والتهوية في الغرف المخصصة للاستقبال وغرف التخزين وبعض غرف النوم خاصة في زاوية قمار(**اللوحة رقم 28**)، أما نوافذ الطابق الأول فهي في الغالب أكثر عددًا وأكبر حجمًا، تتراوح مقاساتها مابين

---

1 . وليد شلتوت، مرجـــع سابق، ص126

80 سم×65 سم، كالنوافذ الثلاثة الموجودة بغرفة القبة الهرمية بزاوية قمار، وغرفة الضيوف بالطابق الأول في زاوية تيماسين.

والملاحظ أن جميع النوافذ المفتوحة على المستوى الخارجي مزودة بشبابيك حديدية تختلف أشكالها من غرفة إلى أخرى، شأنها في ذلك شأن النوافذ الموجودة في معظم البيوت الإسلامية وقصورها لتحقيق المبدأ الذي تكلمنا عنه سابقا، وتُغلق في الغالب من الداخل بمصراعين من الخشب، كما أنّ البعض منها مزود بقطع من الزجاج الملّون والشفّاف، كالنوافذ الموجودة في الجدار الجنوبي لغرفة الضريح بزاوية تيماسين، كما نجد في أضلاع القباب سواء في المساجد أو في الأضرحة، نوافذ صغيرة مفتوحة بالتناوب، أربع نوافذ في ثمانية أضلاع، باستثناء ضريح زاوية تيماسين، حيث نجد نافذتين في الضلع ونافذة واحدة في الضلع الذي يليه وهكذا.

كما يمكن أن نشير إلى وجود أربعة نوافذ في مسجد الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار اثنتان منها كبيرتان نسبيًا أطوالها 1م × 1.7م فُتحتا في الجدار الشمالي باتجاه الرواق الفاصل بين الأحياء السكنية والمسجد، والأخريان صغيرتان 0.5م × 0.7م جُعلتا مرتفعتين في الحائط الجنوبي، أما مسجد الحاج علي بن عيسى بزاوية تيماسين فنجد نافذتان في أسفل الجدار الجنوبي وهي متوسطة الحجم، وفي أعلاه ثلاث نوافذ أصغر منها حجمًا فتحت في فترة لاحقة، بالإضافة إلى هذه النوافذ نجد الفتحات الصغيرة التي تؤدي نفس الدور أي الإضاءة والتهوية، وتعمل على التقليل من أشعة الشمس الحارقة أيام فصل الصيف، وكذا الزوابع الرملية وبرودة الشتاء، كما أن لها أحيانًا وظائف أخرى دفاعية تحصينية أو جمالية تزيينية (**اللوحة رقم28**)، وغالبًا ما تكون هذه الفتحات في الجدران العالية بطريقة غير منتظمة، أو على مستوى السقيفة أو فوق المداخل، كما يمكن أن تكون مع المدفأة وذلك لتساعد على خروج الدخان، ويتراوح عرض هذه الفتحات على العموم مابين 30سم و45سم.

د. الكــوّات والرفــوف:

تعتبر الكــوّات من العناصر المعمارية التي تتشّكل لأغراض عديدة ومتنوعة، فهي عبارة عن تجاويف غير نافذة في الجدران الداخلية، وتشغل حيزًا معتبرًا من جدران العمائر الدينية والمدنية على السّواء، خاصةً في الزوايا التجانية، لما لها من أهمية ودور في حياة المجتمع التجاني تبعًا لطبيعة الوظائف الاجتماعية والدينية التي تؤديها في مثل هذه المنشآت، والتي نستخلصها من خلال أشكالها وأحجامها وأعدادها ومواقعها، فنجد منها ما هو مخصص للإنارة، سواءً في المرافق العامة أو في الأروقة أو في غرف النوم صغيرة نوعًا ما مقارنة بالكــوّات التي عادة ما نجدها بالسلالم ووسط الدار، وأحسن مثال على ذلك الكوة الموجودة داخل الرواق على الجدار الخارجي لضريح الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، وهي بحجم الشمعة تقريبًا، ومنها ما هو مخصص للتبرك بالأولياء في المباني الدينية خاصة الأضرحة وغرف الدفن، وهناك كوّات أخرى نجدها في السلالم وفي قاعات الاستقبال، كما نجد أخرى بقصر الضيافة وغرفة القبة الهرمية بزاوية قمار (**اللوحة رقم29**)، وهي تتميز بجمالها وحسن زخارفها كبيرة نوعًا ما تتراوح مابين 65سم×35سم، وهي مخصصة لوضع الحاجيات والأغراض الخاصة كلٌ حسب موقعها، فأحيانًا توضع فيها بعض أغراض الضيوف وأحيانًا أواني الشرب، كما قد توضع فيها حاجيات خاصة بعمل المرأة، وهذه الكّوات بها زخارف غاية في الروعة والجمال، نفذت بألوان مائية داكنة بمواضيع جمعت مابين الهندسية والنباتية والكتابية والرمزية، وتكون أحيانًا معقودة بعقود مدببة أو نصف دائرية، مثل كّوات غرفة القبة الهرمية، إضافة إلى هذا نجد كّوات مختلفة الأشكال منها المربعة والمستطيلة والمتفاوتة الأحجام داخل المساجد والمصليات والأضرحة والساحات العامة، حيث تستقبل الزوايا في أوقات زمنية معينة أعدادًا كبيرة من دارسي القرآن الكريم والعامة من الناس، وفي نفس الوقت تتهاطل كميات معتبرة من الأوقاف والصدقات المرتبطة بالمناسبة، والتي يستقدمها الزوار والمريدين والأهالي، ويتم توزيعها على الحاضرين، ومن هنا جاءت الحاجة الماسة إلى فتح عدد كبير من الكّوات على الجدران لتفي بالغرض المطلوب، إضافةً إلى أنها تُستغل

لوضع المصاحف في بيوت الصلاة أو الأحذية عند المداخل، وغير ذلك من الأدوات والأغراض اللازمة والمتعلقة بأداء تلك الشعائر داخل هذه الفضاءات وفي تلك المناسبات .

4 . وسائـــل الدعـــم والتغطيـــة:

أ. وسائـــل الدعـــم:

لقد تميزت معظم مباني الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري بالبساطة والسذاجة في التصميم والتخطيط، وبالقوة وحسن التنظيم فيما يخص الجانب المعماري والفني، يظهر ذلك جليا في توزيع العناصر المعمارية المتمثلة في وسائل الدعم والتغطية، حيث تعددت أشكالها واختلفت أحجامها وفقًا لما تدعوا إليه الضرورة المعمارية، وبذلك ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بمواد وتقنيات البناء المستعملة، ومن هذه الوسائل نذكر أهمها فيما يلي:

أ.1 الدّعامـــات:

تعتبر الدعامات من العناصر المعمارية التي تزيد المبنى قوة وثباتا وأكثر مقاومة للعوامل الطبيعية والبشرية، وكذلك تساعد على التحام المساكن وإمكانية التغيير داخل المبنى دون إلحاق أي ضرر بالمباني المجاورة، كما أن طبيعة المباني بالزوايا التجانية من حيث التخطيط، تعتمد على تداخل الكتل العمرانية وعدم انتظام حدودها، ما فرض على المعماري وضع دعامات إسناد تزيد من حصانة الأسوار وتماسكها، فضلا عن كونها تخفف الثقل عليها وعلى الجدران الداخلية، كونها تحمل السقف كما تحمل أطراف العقود، وتساعد على فرض التوازن مابين الفضاءات، خاصةً تلك الدعامات المستندة على الأرض مباشرة دون واسطة .

ومن خلال ملاحظة ومقارنة معظم الدعامات الموجودة في مباني زاويتي تيماسين وقمار، اتضح لنا أن هذه الدعامات مختلفة الأشكال والأحجام من حيث الطول والسمك والعرض، حيث نجد الدعامات المربعة، كما نجد الدعامات المستطيلة، والدعامات التي يتألف شكلها من تلاحم دعامتين متقاطعتين، وهكذا تتحدد الأشكال والأحجام حسب دور كل دعامة وموقعها في الزاوية.

ـ الدعامـــات المربعـــة:

استخدمت الدعامات المربعة بشكل كبير في مباني زاوية قمار، وهي على نوعين من حيث الحجم والموقع، فالنوع الأول يتمثل في تلك الدعامات الضخمة التي تحمل أطراف عقود أربعة تتراوح مقاساتها في أغلب الأحيان مابين 85م و1م، وتتميز بقلة ارتفاعها وخلوها من القواعد والتيجان، ومن أي عناصر زخرفيه كونها ذات وظيفة ارتكاز للضغط المفروض عليها من السقف، وللفراغات الموجودة فيما بينها بحيث لا تُدعم بجدران في غالب الوقت، خاصة إذا كان المبنى يتكون من طابقين مثلما هو عليه الحال بالنسبة لدعامات بوائك رواق المدخل الرئيسي في زاوية قمار، ودعامات وسط الغرف المخصصة للدفن في نفس الزاوية، وما يجدر الإشارة إليه أن هذا النوع من الدعامات، وجد في العديد من العمائر الصحراوية، كبعض مساجد وادي ميزاب، والجامع الكبير بتقرت، وجامع سيدي عقبة ببسكرة[1].

أما الدعامات المربعة الأصغر حجمًا، فإننا نجدها على نطاق واسع في مختلف المرافق خاصة في المساجد والأضرحة، وفي الأروقة المطلة على الصحون، وفي زوايا الغرف وبالأخص نجدها مدمجة مع الجدران في السقائف والممرات الفاصلة مابين الكتل، تحمل أطراف العقود كما ترتكز عليها القباب والأقبية، لذا نجدها تتميز بالارتفاع مقارنة مع الدعامات الضخمة السالفة الذكر، وتتراوح مقاساتها في غالب الأحيان مابين 36سم و60سم.

ـ الدعامـــات المستطيلـــة:

نجدها على وجه الخصوص في تدعيم المداخل الخارجية وفي تشكيل الأروقة والسقائف، مقاساتها تتراوح مابين 50سم و70سم، فهي غير مضبوطة في كل الدعامات إذ هناك اختلاف بسيط بين دعامة وأخرى، وهي خالية من القواعد والتيجان مثلما هو عليه الحال في دعامات الأروقة المطلة على الصحون بأحد بيوت زاوية تيماسين، كما وجدت دعامات أخرى عريضة في أسفلها كما يمكن أن تكون أكثر عرضًا في أعلاها إذا كانت حاملة

---

1 . علي حملاوي، مرجع سابق ص201

لعوارض النخيل، حتى يكون التوازن في الثقل مثلما هي عليه دعامات بعض الأروقة بزاوية قمار.

ـ الدعامات المتقاطعـــة الأضـــلاع:

اقتصر استعمالها في زاوية قمار، يبلغ عددها أربع دعامات بغرفة ضريح الشيخ أحمد عمار، تتميز بالضخامة والارتفاع، تحمل تيجان ذات شكل مربع متدرج، وتحمل بدورها أطراف عقود أربعة بكل ضلع، وما يلاحظ على هذه الدعامات هو اتصالها بالجدران من الجهات الأربعة بواسطة العقود، وذلك حتى يتوزع الثقل بين الدعامة والجدار في آن واحد، خاصة وأنها تحمل قبة كبيرة مضلعة الشكل، كما نجد دعامات متقاطعة أخرى على مستوى بعض الأروقة المطلة على الصحن بزاوية قمار، تقابلها في الجدار دعامات مربعة مدمجة تحمل عقود منكسرة، ومن هنا يظهر لنا أن هذا العنصر المعماري في هذا النوع من المباني، له ميزة التفاوت والاختلاف في الأشكال والمقاسات من حيث القصر والخشونة وكثرة العدد، مقارنةً مع المساحات التي تحتلها، والسبب من وراء ذلك حسب الدكتور علي حملاوي، يكون في إمكانية حمل السقف وتدعيم الجدران بكل سهولة، خاصةً وأنه يعتمد في انجازه على العوارض الخشبية والتخفيف من حدة ثقله وتوزيعه على كافة العناصر دون استثناء، كما تضفي على مباني الزوايا جوًا من الرهبة والقدسية والخشوع[1]

أ.2 الأعمـــــدة:

يمكن حصر الأعمدة الموجودة في عمائر الزوايا التجانية في نموذجين رئيسيين أولهما **الأعمـــدة الأسطوانية الضخمة:** وهي أعمـــدة ملساء تمتاز بالسمك والقصر وجدت على وجه الخصوص إما بمفردها في بيوت الصلاة بمسجدي الزاويتين، أو جنباً إلى جنب مع الدعامات في مداخل بعض المرافق، كضريح الشيخ محمد حمّة لعروسي **(اللوحة رقم 30)** مقاساتها تتراوح من حيث الطول مابين 1.55م و1.80م، ومن حيث القطر مابين 50سم و88سم، في حين تقدر مقاسات الأعمـــدة الصغيرة الموجودة في بعض مداخل زاوية

1 . علي حملاوي، مرجع سابق ص202

تيماسين ب1.10م بالنسبة للارتفاع، و48 سم بالنسبة للمحيط، وهي تمتاز بالانسياب والرشاقة والدقة في الصنع مقارنة مع غيرها من الأعمدة، لعل ذلك يرجع إلى كونها تدخل ضمن العناصر الزخرفية المعمارية أكثر مما تدخل في جانب التدعيم والحمل، وهي معروفة في العالم الإسلامي عمومًا والمغرب الأوسط خصوصًا، حيث نجدها في المسجد الكبير بقسنطينة[1]، وبعض مساجد المنطقة كتقرت وتيماسين وعين ماضي وغرداية، وكذا بعض المساجد العثمانية بوهران ومعسكر[2].

أما النموذج الثاني من الأعمـــدة، فيتمثل في **الأعمـــدة المثمنة**، حيث استُعمل هذا النوع في رفع عقود الطابق العلوي في أحد بيوت زاوية تيماسين، يعلوها تيجان بسيطة على شكل شبه منحرف، يمكن اعتبارها مناطق انتقال لرفع العقود المطلة على الصحون والمحددة لأروقة الطابق العلوي، ويربط بين هذه الأعمـــدة عادة روابط معدنية حلزونية الشكل، كما وجدت على جانبي الباب المؤدي إلى المقبرة التابعة للضريح.

وفيما يخص زاوية قمار، استعملت الأعمـــدة المثمنة في رفع قبة المسجد، وعددها أربع دعامات ضخمة، يذكر أهل الزاوية أنها كانت في الأصل اسطوانية كغيرها من الأعمدة الموجودة في بيت الصلاة، لكن أثناء التجديدات التي عرفها هذا الأخير في فترات سابقة، خاصة فيما يتعلق بالزخارف الجصية أو المنّفذة بالألوان المائية التي زينت بها رقبة القبة، أدخلت عليها تشدييات بمثابة الدعم للعمود، والذي تحول من الاسطواني إلى المثمن، وهذا

---

1 . المسجد الكبير بقسنطينة يعود تأسيسه إلى الفترة الحمادية في أواخر القرن 13م في حوالي633هـ / 1236م وهذا ما يدل على أن هذا النوع من الأعمدة استعمل في المغرب الأوسط منذ القرون الأولى للإسلام بالمنطقة أنظر، Bourouiba (R), L' Art religieux musulman en Algérie s.n.e.d, Alger, 1973, p31

أنظر كذلك، Marcais (G), Architecture musulmane d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc Espagne, et Sicile, A.M.G, Paris, 1954, p14

2 . مبروك مهيرس، المساجـــد العثمانيـــة بوهـــران ومعسكـــر، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 1981 /1982، ص96

النوع من الأعمدة وجد كذلك ببعض المساجد القريبة من المنطقة كمسجد سيدي عبد الله بتيماسين في بيت الصلاة، والمسجد الكبير بقصبة تقرت.

أ.3 العقـــــود:

تعتبر العقود بوظيفتها المعمارية وسمتها الجمالية، من أهم العناصر التي كان لها الفضل الكبير على العمائر الدينية والمدنية والعسكرية على السواء، فلا يمكن تصور مبنى إسلاميا أصيلاً خالياً من العقود، نظرًا لأهميتها في كونها عنصراً معمارياً يوفر للمبنى القوة والارتكاز، من خلال توزيع ثقل السقف على الدعامات والجدران، بالإضافة إلى كونها عنصرًا زخرفيًا زينت به واجهات البيوت والأروقة والمآذن والمحاريب وغيرها.

وقد عرف استعمال العقد منذ العصور القديمة، ثم انتقل إلى العمارة الإسلامية مع ما انتقل إليها من عناصر أخرى منذ وقت مبكر، وتكيّف مع العمارات المحلية في الأقاليم التي فتحها المسلمون، واستمر في التطور إلى أن بلغ مستوى راقٍ من الدقة والجمال والتنوع.

واستعملت العقود بكثرة في العمائر الصحراوية، لذلك سنحاول دراسة الأنواع الموجودة في الزوايا التجانية محل الدراسة بصفة خاصة، والتي انحصرت في ثلاثة أنواع اختلفت مقاساتها وحدة انكسارها من مبنى إلى آخر، ومن زاوية إلى أخرى.

ـ العقــد النصف دائــري:

وهو من أقدم الطرز المعمارية، استعمله الفراعنة في عمائرهم، وكان يسمى في حضارتهم بالعقد الأُوزيري، نسبة إلى أُوزيريس إله الموتى عندهم[1]، أما في العمارة الإسلامية، فهذا العنصر أقدم وأوسع انتشارًا[2] من غيره، بحيث أنه إذا بحثنا عن أقدم نموذج ما يزال قائمًا بالعمارة الإسلامية، وجدناه في قبة الصخرة بالقدس، ثم في الجامع الأموي بدمشق[3]، كما استعمل هذا النوع من العقود بصفة عامة في أبواب مدينة الجزائر[4] وكذلك

---

1 . ثروت عكاشــة، القيــم الجماليــة في العمــارة الإسلاميــة ، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ص101

2 . فريد شافعــي، مرجع سابق ص 201

3 . أحمد فكــري، مساجــد القاهــرة ومدارســها، دار المعارف، القاهرة، 1961م ص120

4 . محمد الطيب عقاب، مرجع سابق ص20

أبواب القصور والزوايا الصحراوية بصفة عامة، حيث يذهب رأي أغلب الباحثين الجزائريين أمثال الدكتور عقاب والدكتور علي حملاوي إلى اعتبارها من بين العقود الأكثر استعمالاً في المباني الإسلامية الجزائرية، خاصة في المناطق الجنوبية الشرقية رفقة العقود الحدوية والمنكسرة المتجاوزة، وذلك نظرا لسهولة إنجازها مقارنة بالأنواع الأخرى التي تتطلب مهارة كبيرة، فهي عقود بسيطة على شكل نصف دائرة لا انكسار فيها[1]، خاصةً وأن مواد البناء المتوفرة بكثرة في المنطقة والتي استعملت كقوالب أو هياكل، هي المسؤولة إلى حد كبير في تشكيل ذلك المنحنى **(اللوحة رقم 31)**.

وقد طغى استعمال هذا النوع من العقود في العمائر التجانية بالجنوب الجزائري خاصة الزاوية التجانية بقمار، فنجده في مداخل الشوارع والأزقة وفي مداخل ملحقات البيوت كالمخازن والإسطبلات وغيرها، وما يمكن ملاحظته على هذه العقود أنها جاءت على نوعين، من حيث الموقع والشكل، فالعقود التي تقوم على دعامات في أروقة المداخل والممرات تكون عقوداً نصف دائرية غير كاملة، ويكون منبتها من فوق الدعامة مباشرة وهي غير منسجمة وغير منظمة وارتفاعها يعادل قدر مرور الإنسان تحتها، فهي تتناسب مع قامته[2]، فتكون عمومًا حوالي 2م، كما نجد عقودًا نصف دائرية كاملة في بعض المداخل، أو على مستوى السلالم وفي بعض البيوت وأواوين التدريس بغرفة القبة الهرمية بزاوية قمار، وهي عقود متقنة الصنع قياساتها متناظرة ومضبوطة في كل الاتجاهات، مقارنةً مع عقود الممرات والشوارع الرئيسية، ويكون انفتاحها حوالي 1.10م أفقيا و95سم عموديا، وهي ترتكز على نهاية جدارين وهما بمثابة العمودين أو الدعامتين، لذلك لا يظهر منبت العقد منهما، ويكون ارتفاعها أكبر مما هو عليه بالنسبة لعقود بوائك الأروقة والممرات.

---

1 . Bourouiba (Rashid), rapport de l’Algérie à l’architecture religieuse arabo-islamique o p u, Alger, 1986, P48.

2. André (Ravereau), le M’Zab. Une leçon d’architecture, Ediluns sindibad, Paris, 1981 p14

ـ العقــود المنكســرة المتجــاوزة:

تعتبر العقود المنكسرة المتجاوزة لنصف الدائرة أو المدببة من أقدم العقود وأكثرها انتشارًا في العمارة الإسلامية بمختلف أنواعها، خاصة في العمارة المغربية الأندلسية[1]، إذ ظهرت في المغرب الأوسط منذ وقت مبكر، حيث تُلاحظ في العديد من المباني الدينية كالجوامع المرابطية في تلمسان وندرومة، والجوامع العثمانية بالجزائر العاصمة[2] أما في الزوايا التجانية فإننا نجدها بكثرة وعلى نطاق واسع في المساجد والأضرحة وقاعات التدريس، وعلى مداخل المقابر والمحاريب في زاويتي تيماسين وقمار، كما نجدها في البيوت وعلى الدعامات المحيطة بالصحون، سواءً في المستوى الأرضي أو في الطابق العلوي كما وجدت في بعض مداخل غرف الضيوف.

ومن خلال الملاحظة العامة على هذه العقود، نجد أن العديد منها لم يكن من الدقة في الإنجاز، حيث نلاحظ ميلانها عن المحور، كما أن مقاييس أحجامها وأشكالها غير متساوية، لكن في الوقت نفسه نجد نماذج أخرى رائعة من حيث البناء ومن حيث المواضيع الزخرفية التي كسيت بها، سواءً الجصية منها أو بالألوان المائية، بعناصرها النباتية والهندسية والكتابية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى صعوبة انجازها مقارنة مع العقود نصف الدائرية، ولكن السؤال المتبادر إلى الذهن هو ما الدافع الذي جعل البّناء التجاني يفرط في استعمالها رغم صعوبة انجازها؟ لعل السبب في ذلك يعود إلى نقطتين أساسيتين أولتهما تقنية، بحيث أن قوة العقد المنكسر المتجاوز ضد اندفاع القوى الناشئة من انحنائها، تفوق قوة مقاومة العقد النصف دائري، وأن هذه القوة لا تتلاشى خارج حدود العقد بل تساعده على توازنه وتماسكه[3]، أما النقطة الثانية فهي فنية، إذ أن العقود المنكسرة المتجاوزة تضفي على المباني أكثر رونقًا وسحرًا وجمالاً من العقود النصف دائرية، لذلك استُعملت كعناصر زخرفيه صماء، وجدت في أعلى المحراب بمسجد الحاج علي بن عيسى بزاوية تيماسين، كما وجدت

---

1 . محمد عقاب الطيب، مرجع سابق ص126

2 . علي حملاوي، مرجع سابق ص20

3 . فكري أحمد، مرجع سابق ص74

في واجهته الجنوبية من الخارج، وكذا قبة الضريح، فضلاً عن ذلك وجدت نماذج أخرى في كوات غرفة القبة الهرمية بزاوية قمار، وكذا في الجدران الخارجية لغرف الدفن، وفي جدران الرواق الغربي المؤدي إلى الضريح والمسجد.

ـ العقــود الحدويــة:

من خلال تسميتها يمكننا تصور شكلها، فهي تمثل شكل حدوة الفرس، نشأت في العمارة الساسانية وبآسيا الصغرى، ثم انتقلت إلى العمارة الإسلامية بالمسجد الأموي بدمشق، في عقود البائكات المحيطة بالصحن وفي الشبابيك التي تعلوها[1]، كما ارتبطت ارتباطًا وثيقا بالعمارة الإسلامية المغربية الأندلسية خاصة العمارة الدينية الأغلبية، والتي عُرفت باسم العقود المنفوخة[2]، لكونها مضغوطة من الأعلى و منتفخة من الجانبين، ويعتبر وجودها في العمارة الإسلامية بالجزائر إلى جمالها و أناقتها، و كذا سهولة تشكيلها ونلمس هذا النوع في العديد من المنازل و القصور الصحراوية الدينية و المدنية على السواء، في مباني ورقلة و وادي سوف و مباني أدرار و بسكرة و ميزاب.

أما في الزوايا التجانية فقد استعملت على نطاق محدود مقارنة مع النموذجين السابقين فنجد نماذج في زاوية قمار من خلال عقود بائكة رواق الجنائز بالجهة الشمالية من مسجد الشيخ أحمد عمار، كما نجد نموذج آخر بأحد أروقة البيوت بزاوية تيماسين ينفتح أفقيا بـــ 80سم و عموديا بـــ 50سم و هذا الانفتاح جاء معقولاً مع حجم الغرفة و متناسقًا مع المدخل .

وما يمكن ملاحظته بصفة عامة عن العقود بالزوايا التجانية، هو ذلك الإفراط الكبير في استعمالها، فلا يكاد يخلو مدخل أو رواق أو سقيفة أو أي مبنى مهما كان نوعه من العقود، التي تعددت أشكالها واختلفت وظائفها و فق ما أشرنا إليه سابقا، و لعل ذلك الإفراط الكبير راجع بالدرجة الأولى إلى ما تحققه من راحة للنفس، سواءً بجمال شكلها أو لوظيفتها في الحمل و التدعيم، و كذا الوقاية من الحر و تلطيف الهواء داخل الوحدات المعمارية للزاوية

---

1 . فريد شافعي، مرجع سابق ص203

2 . عبد الحميد سعد زغلول، العمــارة والفنــون في دولــة الإســلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت، ص214

على وجه الخصوص، ضف إلى ذلك أن العقود لها صلة وثيقة بالقباب و الأقبية، التي تعتبر سمة بارزة في العمارة التجانية خاصةً في زاوية قمار، من حيث أنها وحدتها المبسطة، بمعنى أن القباب نظريًا تتكون من مجموعة أقواس أو عقود متقاطعة، والتي يربط بينها حجر مركزي في القمة وهو مفتاح القبة، واستعمال أنواع معينة من العقود يعطينا بالضرورة أنواعًا معينة من *القباب، فالعقود المدببة* المنكسرة في أضرحة و مساجد الزوايا أعطتنا قباب مضلعة الشكل ساعدت بشكل كبير في زيادة ارتفاع السقف[1]، وبالتالي فان الزيادة المفرطة في استعمال العقود أملته الضرورة الملحة في عمليات البناء و الإنشاء.

ب. وسائـــل التـــغطيـــة:

إن قلة مادة الخشب بالمنطقة و غلاء أثمانها، فرض على البنّاء الصحراوي الاستنجاد بطرق أخرى، محاولاً تعويضها في التسقيف، وذلك باستخدام القباب والأقبية في مختلف الوحدات المعمارية، دون إهمال ما توفره هذه الوسائل من التغطية في تلطيف درجة الحرارة خاصة في فصل الصيف، وذلك بتأثيرها على الهواء، إذ أن الهواء الساخن يصعد إلى الأعلى في حين يبقى الهواء البارد في الأسفل بفعل كميات الظل التي يخلقها هذا النوع من التسقيف، كما أن الزوابع الرملية التي تغزو المنطقة في فصلي الربيع والخريف تعمل على تراكم الرمال فوق السطوح، إلا أن وجود القباب والأقبية يمنعها من ذلك كما تعمل على جمع مياه الأمطار في اتجاهات معينة .

ودور هذه الأخيرة لا يقتصر على ما سبق ذكره، فهي تعمل بالإضافة إلى ذلك على توفير الضوء من خلال الفتحات المزودة بها، سواءً على شكل نوافذ أو فتحات صغيرة مغطاة بزجاج ملون يعمل على كسر أشعة الشمس، كما لها وظيفة حمل الثقل وتوزيع الضغط العلوي بطريقة متوازنة عبر الجدران، ونقاط التوزيع الأخرى كالدعامات والأعمدة والانحناءات والدخلات والنتوءات وغيرها، زيادةً على كل ذلك كله جمالها المعماري والفني

1. عبد الحميد سعد زغلول، مرجع سابق ص214

ومما لاشك فيه أن هذا النوع من التسقيف عُرف في مختلف الحضارات القديمة خاصة في الفترة الرومانية، كما عرفه قبلهم سكان بلاد الرافدين بآلاف السنين، ولعلها انتقلت إليهم عن طريق الأتروسكيين، الذين هاجرو من آسيا الغربية، واستوطنوا أواسط إيطاليا في الألف الأولى قبل الميلاد[1]، والتسقيف بالقباب والأقبية اتخذ أشكالاً وأنواعًا مختلفة، يمكن حصرها من خلال دراستنا للوحدات المعمارية بالزوايا التجانية وبالتحديد في النموذجين محل الدراسة فيما يلي:

ب.1 الـــقبـــاب:

تعتبر القباب من العناصر المعمارية المميزة للعمارة الإسلامية بصفة عامة، والعمارة الدينية بصفة خاصة ظهرت لأول مرة في قبة الصخرة في فلسطين، كما ظهرت في بلاد المغرب مع جامع القيروان، وهي ترمز حسب الدكتور ثروت عكاشة إلى الاتجاه الرأسي للمكان المقدس نحوى السماء، فالمسجد في نظره اتجاهان اتجاه أفقي نحوى الكعبة، واتجاه عمودي نحو السماء، وقد رمز المعماري المسلم الاتجاه الأخير بالقبة[2].

وفي اعتقادنا أن القبة بمنظور ثروت عكاشة كان مع البدايات الأولى لاستعمالها على نطاق محدود أي في العمائر الدينية فقط، مجسدةً في عمارة المساجد، لكن مع مرور الوقت وتطور العمارة الإسلامية وتنوعها في مختلف الأقاليم التي خضعت للحكم الإسلامي، أصبح مدلول عنصر القبة أشمل وأعم من ذلك، خاصة وأنها ارتبطت مع الظروف الطبيعية والمناخية وكذا مواد وتقنيات البناء والإنشاء في مختلف الأقاليم والدليل على ذلك أننا نجدها الآن في مختلف أنواع العمارة الإسلامية الدينية والمدنية وحتى العسكرية، وبالتالي تعددت أنواعها وأشكالها ومواقعها ووظائفها بما تمليه عليها الضرورة الملحة في البناء، ومن هذا المنطلق نجد أن جل الفضاءات المعمارية في الزوايا التجانية الدينية منها والمدنية استُعمل فيها هذا العنصر على مساحات هامة، ساعدها في ذلك وفرة الإمكانات الإنشائية، وكذا البساطة وعدم

---

1 . عبد القادر الريحاوي، مرجع سابق، ص3

2 . عكاشة ثروت، مرجع سابق ص101

التقشف اللذين يدعوا إليهما الفكر التجاني، ومنه يمكننا حصر أنواع القباب في الزاويتين إلى ثلاثة أنواع، قباب مضلعة وقباب نصف دائرية، وأخرى هرمية الشكل.

ـ القبـــاب المضلعة أو المفصصة:

وهي أكبر القباب الموجودة في الزوايا، تأخذ مكانها في العمارة الدينية فقط، بحيث نجدها في كل من مسجدي وضريحي الزاويتين، وإن اختلفت فيما بينها بعض الشيء من حيث الحجم والتفاصيل المعمارية والفنية، وهي عمومًا تتميز بانطلاقتها المربعة لتتحول إلى مثمن عن طريق مناطق انتقال مثمنة المسقط، مع الاستعانة بالحنايا الركنية في كل زاوية، لنحصل في الأخير على القبة المضلعة أو المفصصة، وما يمكن ملاحظته على هذه الأخيرة هو ذلك العلو الكبير الذي تمتاز به، خاصة في مباني الأضرحة[1]، مقارنة مع مساحتها الضيقة نوعا ما، أو مقارنة مع القباب الموجودة في جل العمائر الدينية في المناطق الصحراوية المجاورة، خاصة منطقة وادي ميزاب أين نجد أن القباب بصفة عامة مُضمرة ومنحلة داخل سقف المبنى، ويظهر ذلك جليًا في مسجد غرداية العتيق، ومسجدي بني يزغن والقرارة[2] وغيرها**(اللوحة رقم32).**

وقد زينت هذه القباب من الداخل بزخارف غاية في الروعة والجمال، باستثناء قبة ضريح الشيخ احمد عمار بزاوية قمار، جمعت مابين الزخارف الجصية المخرمة وزخارف بالألوان المائية، نفذت من الأسفل انطلاقًا من منبت العقد إلى رأس القبة قوامها مواضيع نباتية وأشكال هندسية متداخلة، بالإضافة إلى الأشرطة الكتابية التي تمثل أسماء الله الحسنى وآيات قرآنية، كما نجد أعلى الرقبة المثمنة لقبة ضريح زاوية تيماسين، عقودًا زخرفية صماء تتخللها نوافذ صغيرة، نافذة في الضلع ونافذتين في الضلع الذي يليه بالتناوب، وقد لاحظنا

---

1 . ظهرت القباب فوق الأضرحة بعد ظهور الإسلام بفترة طويلة وذلك لتعارضها مع العديد من الأحاديث النبوية كقوله **صلى الله عليه وسلم ‹‹ لا تـــدع تمثـــالا إلا طمستـــه ولا قبـــرا مشرفـــا إلا سوّيتـــه ››** أنظر مسلم بن حجاج ، صحيـــح مسلـــم، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955, ص666

2 . معروف بالحاج بن نوح، مرجع سابق ص101، 102

هدا النوع من الزخارف بالقبة الوسطى في مسجد علي بتشيــن[1] بالجزائر العاصمة، دون أن ننسى بأن الحنايا الركنية نفسها زينت بزخارف جصية في غاية الروعة، جمعت بين الهندسية والنباتية، أما من الخارج فإننا نجد في أركان المثمن الذي يمثل رقبة القبة، شرفات صغيرة بسيطة زينت أضلاع هذا الأخير، وهي تختلف من قبة لأخرى من حيث الحجم والشكل، وتوجت القباب كما هو معروف ثلاث تفافيــح معدنية مختلفة الأحجام يعلوها الهلال.

ــ القبــاب النصف دائريــة:

يُعتقد أن أصل القبة النصف دائرية يعود إلى شكل خيام الرحل الآسيويين، استخدمها الرومانيون في بناء عمائرهم بإفريقيا ثم أخذها عنهم المسلمون فيما بعد[2]، وقد انتشر هذا النوع من القباب في معظم مباني الجنوب الجزائري خاصة المناطق الجنوبية الشرقية، وبالأخص منطقة وادي سوف، و إن كانت قباب الجنوب القسنطيني متأثرة بالطابع التونسي والذي تأثر بدوره فيما يخص القباب ذات الرقبة المثمنة السالفة الذكر بالمباني التذكارية الرومانية[3]، فهذا النوع من القباب استعمل بكثرة في الزوايا، فنجدها تغطي مساحات مهمة من أسطح المباني خاصة في العمائر المدنية، فوق المداخل والأروقة المطلة على الساحات العامة، كما تغطي الغرف الرئيسية بالطوابق العلوية لمعظم المنازل، ولم يقتصر استعمالها على ذلك فحسب، بل تعدتها لتشمل بعض ملحقات الغرف والسلالم.

وما يمكن ملاحظته على أغلب هده القباب في زاوية قمار، هو تعددها حتى في المبنى الواحد لذلك جاءت أحجامها صغيرة وأشكالها بسيطة مقارنة مع القباب المضلعة التي وجدت

---

1. مسجد علي بتشــين بني سنة 1032هــ الموافق لــ 1622م وهو من أقدم المساجد العثمانية بالجزائر يقع في أقصى الشارع الكبير الذي يربط بين باب عــزون وباب الــواد بالجزائر العاصمة أنظر،

Doukali (R), les mosques de la période turque à Alger, s n d, Alger, 1974, p28

2 . Commandant (couvet), op cit, p294

3. صالح لمعي مصطفى، القبــاب في العمــارة الإسلاميــة، دار النهضة العربية، بيروت، د ت ص38

على المباني الدينية، فهي قليلة البروز من الخارج على عكس زاوية تيماسين أين نجد هذه القباب على مساحات محدودة ومعروفة، تحددها نوعية المباني ومكانتها في الزاوية، لذا نجدها تغطي الغرف الكبيرة الرئيسية في منازل الشيوخ المقربين للولي، وذلك تمييزًا لها عن بقية البيوت الأخرى، أما من الجانب الإنشائي فإن القبة النصف دائرية جاءت بسيطة في بنائها، تم تحويل قاعدتها من المربع إلى المثمن لتشكيل الرقبة الدائرية، ومنها يتم تشكيل القبة بواسطة الحنايا الركنية، والتي جاءت معظمها بسيطة بساطة القبة في حد ذاتها، ونادرًا ما نجد قباب مزخرفة من الداخل بألوان مائية تتخللها فتحات صغيرة تطل على واحـــات النخيل.

ـ القبـــاب الهرميـــة:

تعد من العناصر النادرة الوجود في العمارة الإسلامية الصحراوية، وخاصةً في عمارة الزوايا هذا إن لم نقل منعدمة، باستثناء نموذج واحد وهو القبة الهرمية الكبيرة التي تغطي إحدى الغرف بالطابق الأول من مجمع قصر الضيافة في زاوية قمار، وذلك لعدم تناسبها مع طبيعة المنطقة ومناخها، ولعل وجودها في هذه الزاوية يُنم عن رغبة المعماري التجاني في الإبداع والابتكار والتحرر، وفق ما تمليه عليه ميولاته الشخصية من جهة، ووفق ما يدعو إليه الفكر التجاني فيما يخص التسامح والتساهل في مختلف أمور الحياة المادية والنفسية، وما يلاحظ على هذه القبة بصفة عامة هو تميزها وانفرادها ليس فقط من الجانب الإنشائي بل ومن الجانب الفني الجمالي، سواءً من الداخل بغناها بمختلف العناصر الزخرفية الجصية المخرمة البيضاء والملونة، أو من الخارج بتناسق وتقايس أضلاعها الأربعة، انطلاقًا من حواف الجدران ووصولاً إلى قمة الهرم، مما أعطاها بعدًا جماليًا مميزًا، خاصة وأنها تمتاز بعلوها وبروزها من الخارج مقارنة مع غيرها من القباب و الأقبية **(اللوحة رقم32)**.

أما عن الأسلوب الإنشائي المتبع في بنائها، فهو يعتمد على حواف الجدران الأربعة كفضاء انطلاق مربع الشكل لا يتجاوز 2.73م، وهذا ما يتناسب مع متوسط قطر الهرم، وذلك بالاعتماد على مواد بناء بسيطة تتمثل أساسًا في أخشاب النخيل، تتقاطع فوقها ألواح

خشبية، ثم يصفف عليها الجريد لتوضع فوقها طبقة سميكة من الطين مدعمة بحجارة صغيرة، أما من الداخل فطليت بمادة الجبس الأبيض المنقوش بزخارف نباتية وهندسية غاية في الروعة والجمال، ولكن ما يؤسف له أن هذه الزخارف الجصية أثقلت على أركان الهرم، بحيث تقوست الألواح الخشبية غير المدعمة بوسائل إسناد، مما أدى لحدوث تصدعات وتشققات كبيرة في مختلف أجزائها، شوهت من منظرها العام وهددتها بالسقوط في أي لحظة، لذا يسعى أعيان وشيوخ الزاوية في ترميمها وإعادة هيكلتها وتدعيمها من جديد.

ب.2 الأقبـــيـــــة:

لا تختلف الأقبية أو الأقباء في وظيفتها عن سابقتها سواء من الناحية الوظيفية أو الجمالية، وما يميز القبو عن القبة ذلك الشكل الأسطواني والارتفاع المنخفض، وهو الأسلوب المفضل لدى البناء المعماري في الزوايا التجانية الصحراوية بصفة عامة وزاوية قمار على وجه الخصوص، حيث أدرك ما يمتاز به القبو من المقاومة والثبات وحمل السقف وتوزيع الثقل مقارنة مع السقف المسطح، فضلاً عن أنه لا يكلف عدداً كبيرًا من جذوع النخيل التي تعتبر مصدرًا غذائيًا أساسيًا لسكان القصور الصحراوية، فغرسها ونموها يتطلب رعاية كبيرة ووقتًا طويلاً، فالقبو إذن يوفر مشقة قطع النخيل من جهة إلى جانب الوظائف المعمارية والفنية السالفة الذكر، وعمومًا يمكن تمييز نموذجين من الأقبية وجدا في كلتا الزاويتين وهما:

ــ الأقبيـــة النصف دائريـــة (المهدية):

عرف هذا النوع من الأقبية في فترات غابرة من الزمن في مختلف الحضارات الإنسانية من فرعونية وساسانية[1] ورومانية، وأخذها عنهم العرب ثم المسلمون الأوائل

1 . عثر على هذا النوع من الأقبية عند الساسانيين في طاق إيوان بالكرخ وأخذها عنهم العرب لتستعمل بذلك في طاقات مدينة بغداد أنظر كمال الدين سامح، العمـــارة في صـــدر لإســـلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـــاهرة 1987م، ص32

بالمشرق[1]، فظهرت لأول مرة بسقف صهريج الرملة بفلسطين عام 172هـ/789م[2]، كما وجدت بقصر الأُخيضر العباسي، أما بالمغرب فقد استعملت بقاعة الصلاة الموجودة بالطابق العلوي لرباط سوسة[3] سنة 206هـ/823م، ونجد هذا النوع الأكثر انتشارًا في كافة أرجاء المناطق الصحراوية بالجزائر سواءً في الزوايا بالمساجد أو المنازل، وهو الشيء الملاحظ في تسقيف مباني الزوايا التجانية خاصة في زاوية قمار، حيث تختلف مقاساتها وأشكالها من مبنى إلى آخر، ولكنها غالبًا ما تكون متساوية في المبنى الواحد، تتراوح مقاساتها مابين 50سم و 60سم طول فتحة القبو، أما عمقه فهو يتراوح مابين 25سم و35سم، في حين نجد بعض الأقبية تأخذ الشكل المنفرج القليل البروز من الخارج، أي قياسات فتحة القبو أكبر بكثير من عمقها، فنجد طول الفتحة 1.40م وعمقها 40سم فهي غير منسجمة القياس إضافة إلى أنها تفتقـــد إلى نهاية عملية مضبوطة أنقصت من جمال السقف ودقته، وأكثر هذه الأقبية تكون في الساباطات التي تلي المداخل الرئيسية، بحيث أن بعضها يُحمل على عقود منكسرة متجاوزة ترتكز على دعائم ضخمة، في حين نجد أقبية أخرى في زاوية قمار كما في زاوية تيماسين تمتاز بحجمها الصغير، لأنها غالبًا ما تغطي فضاءات صغيرة، كما تمتاز بانسجامها ودقة صناعتها وغناها بالزخارف الجصية المخرمة البيضاء والملونة، موزعة بطريقة منظمة ذات مواضيع هندسية يطغى عليها تداخل الأطباق النجمية، مثلما هو عليه الحال في أقبية أواوين التدريس بالطابق الأول لزاوية قمار.

ويبقى أن نشير إلى أن تقنيات بناء هذه الأقبية بصفة عامة، هي تقريبا نفسها المستخدمة في بناء العقود النصف دائرية لكون فتحاتها تكون على هذا المستوى و بالتالي سهولة انجازها مما أدى كثرة استعمالها، بالإضافة إلى منظرها الجميل بتقوساتها و تموجاتها .

---

1 . فريد شافعـــي، مرجع سابق، ص164

2 . كمال الدين سامح، مرجع سابق ص3

3 . كمال الدين سامح، مرجع سابق، ص16

ـ الأقبيـــة المتقاطعـــة:

عرف القبو المتقاطع منذ القديم و شاع استعماله عند الرومان[1]، كما شاع عند العرب قبل فترة الإسلام، أما في القترة الإسلامية فانه يجهل أول ظهور له، إلا أنه و في بلاد المغرب[2] نجده بجامع سفاقـــص القرن 4 هـــ/ 10م، كما عُرف عند الزيـــرين ابتدءًا من القرن 5 هـــ/ 11م ثم عرفه بعدهم الحفصيون[3]، ولا يزال هذا النوع من الأقبية يستعمل رغم هذه الفترات المتعاقبة من ظهوره إلى الوقت الحالي، حيث نجده مازال يستعمل في التسقيف في مختلف أرجاء المناطق الصحراوية و بصفة خاصة في منطقة وادي سوف[4] حيث استعمل في زاوية قمار على نطاق واسع وفي جميع المباني انطلاقا من المسجد والضريح، و كذا البيوت والأروقة وغرف الدفن.

ففي مسجد الشيخ أحمد عمار مثلاً نجد أن البنّاء عمد إلى تحديد فضاءات صغيرة داخل بيت الصلاة عن طريق تقاطع بوائك البلاطات العمودية مع بوائك الأساكيب الموازية لجدار القبلة لتحديد مساحة شبه مربعة بين أربع أعمدة، يبلغ طول الضلع الواحد فيها حوالي 2م وعمقها حوالي20سم، وهو ما يجعلها أقل بروزًا من الخارج مقارنة مع الأقبية الأسطوانية، وهي لا تختلف عنها من حيث الجانب الوظيفي المعماري والفني، أما من حيث الجانب الإنشائي فإن الأقبية المتقاطعة تتشكل بتقاطع أربع أخشاب من النخيل على شكل أقواس تحمل فوقها ألواحًا خشبية بطريقة متعاكسة، ثم يوضع عليها الجريد والقصب ويغطى الكل بطبقة من الطين حتى يمنع تسرب مياه الأمطار إلى الداخل .

ونستنتج من كل ما سبق أن العمائر في الزوايا التجانية بشقيها الديني والمدني، اعتُبرت من المنشآت الرئيسة التي حافظت على قيمة الفرد وقيّمه الإسلامية، واختلاف أنواعها يعكس

---

1 . عبد القادر الريحاوي ، مرجع سابق، ص3

2 . نـــفســـه

3. Marçais (G) et Golvin (L), la Grande mosque de Sfax, imprimerie la rapide Tunis 1960, p25

4 . علي حملاوي، مرجع سابق ص21

الحرية المطلقة الممنوحة لأصحابها، مراعاةً للقواعد العامة لأحكام الشريعة الإسلامية من جهة، ومراعاةً للظروف الطبيعية والمناخية، يتجلى ذلك بوضوح في استعمال المواد والتقنيات المحلية في البناء والزخرفة، وفق الإمكانيات المتاحة باعتبارها الملجأ الطبيعي الذي يحس فيه الفرد بالراحة والطمأنينة، لذلك سنحاول في الباب الثالث من هذه الدراسة، تناول موضوع مـــواد البناء والزخرفة وتقنيات تنفيذها في الزوايا التجانية، وكذا أهم المواضيع الزخرفية المستعملة فيها.

الباب الثالث

مواد البناء والزخرفة

الفصل الأول

مواد البناء والزخرفة وتقنياتها

أولاً: مواد البناء و تقنيات استعمالها

1. **مـــواد البنـــاء**
2. **تقنيـــات البنـــاء**

ثانيا: مواد الزخرفة و تقنيات تنفيذها

1. **الحس الجمالي في بناء الزوايا التجانية ودلالاتـــه**
2. **مـــواد الزخرفـــة وعلاقتهـــا بالموضوع الفنـــي**
3. **طـــرق و تقنيـــات الزخرفـــــة**

لقد اعتمد البنّاء التجاني في بناء الزوايا بالمناطق الجنوبية، على ما تتوفر عليه البيئة الصحراوية المحيطة به من مواد بناء مختلفة، واستغلها أحسن استغلال في إنجاز كل العمائر، سواء الدينية منها أو المدنية أو العسكرية، ولم يلجأ إلى استراد المواد من الخارج على غرار ما فعله البنّاء العثماني في المناطق الشمالية*.

أولاً: <u>مـــواد البنـــاء و تقنيـــات استعمالـــها</u>

1. مـــواد البـــناء:

لمواد البناء عمومًا دورٌا كبيرًا وأساسيًا في تحديد وتكوين البنية المعمارية، فمن خلالها ومن خلال الأساليب والتقنيات والوسائل والأدوات المستعملة في عملية البناء، وتنفيذ هذه المواد يؤثر بشكل مباشر على الشكل المعماري، فلكل مادة خصائص ومميزات تستوجب استعمالات معينة وبالتالي تفرض نفسها على الشكل[1]، كما لهذه المواد دورًا في إعطاء الشكل النهائي للفضاءات الداخلية، فيكون كبر أو صغر حجم الفضاء المعماري تبعًا للاستعمال العقلاني للمواد المحلية المتوفرة[2]، وانطلاقًا من هذا المبدأ استخدم البّناء التجاني مواد البناء الآتية:

أ. الطيـــن:

وهي مادة أساسية متوفرة بكثرة في هذه المناطق(ورقلة ووادي سوف)، إذ استعملت على نطاق واسع في جميع الزوايا، حيث استغلت في صناعة ما يعرف بقوالب الطوب بطريقة تقليدية سهلة، ومن الطين نفسها أستخرج الميلاط اللازم لإتمام عملية البناء والربط بين أجزاء الجدران.

---

* . نقصد بالمناطق الشمالية المناطق غير الصحراوية التي استخدم فيها البنّاء بعض المواد المستوردة من أوروبا وبعض دول المغرب العربي كالرخام و الزليج والخشب والعاج وغيرها

1 . معروف بالحاج بن نوح، مرجع سابق ص246

2 . مهنا رئيف وبحر ويس، مرجع سابق، ص26

ولعل الاستعمال الواسع لهذه المادة ليس فقط في الزوايا التجانية، وإنما في جميع المباني الصحراوية العريقة يرجع إلى كونها مادة متوفرة بكثرة، بالإضافة إلى قلة تكلفتها وسهولة تشكيلها، والى خصائصها الفيزيائية والكيميائية، باعتبارها تدخل ضمن مجموعة الصخور الرسوبية ذات الذرّات الدقيقة، حيث تحتوي على أكثر من50% من المواد الطينية كالكاولين والكاسيت والميكا والرمل وغيرها، كما تمتاز هذه المادة في كونها عازلة إذ يبلغ قطر جزئياتها 0,002%، وهي سريعة التشبع بالماء إلى درجة60% من وزنها الطبيعي[1] .

ومن خصائصها الفيزيائية كذلك هو اختلاف لونها، فقد تظهر ذات لون أحمر، أو بني أو بنفسجي أو أصفر صاخب على حسب مكوناتها المعدنية.

هذا وقد استعملت التربة الطينية كوحدة أساسية في صناعة ما يعرف بالطوب بطريقة تقليدية سهلة، إذ يتم خلط التربة بالماء والرمل ولزيادة تماسكها يضاف للخليط سعف النخيل أو التبن، ثم يسكب في قوالب خشبية صنعت خصيصًا لهذا الغرض، بحيث لا تتعدى مقاساتها 40سم× 15سم× 10سم، وبعد عملية التشكيل هذه يُترك الطوب معرض لأشعة الشمس في مدة لا تقل عن 6 أيام حتى يجف ويكتسب الصلابة والمتانة وتزداد مقاومته[2] .

ويمتاز الطوب المجفف في الشمس بتأقلمه مع التغيرات المناخية الصحراوية، إذ أنه يوفر الحرارة شتاءًا والبرودة صيفًا، وذلك لضعف مقاومته للطبيعة والمقدرة بـــ0,22 حريره في السنتمتر المربع الواحد كل دقيقة[3]، لذلك نجد بعض الجدران مشيدة بتقنية السور المزدوج خاصة فيما تعلق بالأسوار المنخفضة العلو، وذلك لكسب السور نوعاً من السماكة الزائدة التي تقلل من انتشار الحرارة في الليل، وهو ما نجده في أسوار بعض البيوت المنتشرة في زاوية قمار، وما ينقص من قيمة وأهمية هذه المادة أنها لا تقاوم التقلبات الجوية الفجائية، فهي سهلة التأثر بالعوامل الجوية كالحت الريحي.

---

1 . Huraux (L), le Sahara Algérien, Alger, 1937, P 47

2 . علي حملاوي، مرجع سابق، ص288

3 . علي حملاوي، مرجع سابق، ص290

ب. الحـــجـــارة:

تعتبر الحجارة من أكثر المواد المستخدمة في بناء الزوايا وهي على نوعين:

ـ **الحجـــارة الصلبـــة:** وهي حجارة تُجلب إما عن طريق كسر الصخور الغرانيتية و الكوارتزية من الجبال الصخرية، أوهي نواة الصخور الرملية، ونجدها على مقاسات وألوان مختلفة وغير منتظمة، أُستعمل هذا النوع في الزوايا التجانية بنسب متفاوتة حيث نجده بكثرة في زاويتي عين ماضي وتيماسين، في أسس الجدران وفي بناء الأعمدة والدعامات، في حين لا نجده في جدران مباني زاوية قمار فهو غير موجود أصلا في المنطقة التي تقع في قلب العرق الشرقي الكبير، لذلك أستعمل نوع آخر من الحجارة يدعى:

ـ **الحجـــارة المساميـــة:** وهي حجارة رسوبية هشة يطلق عليها اسم الحجر المحلي لوفرتها وسهولة تشكيلها، بحيث أنها قابلة للتفكك بالماء، وتستعمل بصفة عامة دون الاهتمام بحجمها، فهي توضع كما هي دون تسويتها، ماعدا بعض التعديلات التي تتم عند وضعها، وهذا معروف ليس فقط في الزوايا التجانية وإنما على مستوى إقليم الصحراء ككل، ففي زاوية تيماسين استُخدمت هذه الحجارة بشكل واسع، فكانت تجلب من محاجر بنواحي تقرت وهي مشهورة باسم حجرة ورقلة، استعملت في تشكيل القباب والعقود والأقبية، وفي زاوية قمار استعمل نوع معين من الحجر المسامي كمادة أولية رئيسية يدعى الحجر اللوس أو اللوسة، وهي عبارة عن حجارة رملية بلورية صلبة نوعا ما، تجمعت في شكلٍ هندسي غير منتظم ذات رؤوس مدببة أو محدبة بلون اصفر فاتح، وتتميز بقوة التحمل خاصة بعد خلطها بمادة الجبس، وهي أقل تأثرًا بالرطوبة من الحجارة الكلسية، لذلك لا تصلح للحرق ولا للتحول إلى جبس، وهي عادة ما تكون أجزاء من وردة الرمال التي تكثر بالمنطقة، وتُأخذ من مقالع خاصة في منطقة حاسي خليفة بالجهة الشمالية لقمار[1]، في شكل نطاقات عرضية على مستويات قريبة من السطح، وهذا النوع من الحجارة استعمل في كامل أجزاء المباني، انطلاقًا من أسس الجدران إلى قمتها، كما استعمل في بناء الدعامات والعقود والقباب،

---

1 . ابن سالم بن الطيب بالهادف ، مرجع سابق، ص28

فالحجارة الكبيرة الحجم تكون عادة ثقيلة توضع خاصة في الأساسات كما تُرفع بها الدعامات، أما الحجارة المتوسطة فهي مخصصة لرفع الجدران التي عادة ما يتراوح سمكها مابين 35سم و40سم، والقطع الصغيرة التي تعرف محليا " بالقرشـــة" تستعمل في التسقيف لتُشكل منها العقود والقباب والأقبية.

ت. الميـــلاط والجبـــس:

الجبس مادة صلبة مكونة من ثنائي هيدرات كبريتات الكالسيوم، والصيغة الكيميائية للجبس هي($ca\ so_4\ 2h_2o$)، من الخامات المتوفرة بكثرة في الأرض، وهو أكثر معدن كبريتي منتشر في الطبيعة، بأحد شكليه معدني أو صخري رسوبي ويتداخل مع الدولوميت والطين والحجر الجيري، ذو لون أبيض أو رمادي أو رمادي يميل إلى السواد، وهو نوعان حسب مكوناته:

ت.1 الجبـــس الطبيعـــي:

يسمى محليا "بجبس البرانيس"[1] يوجد مع الصخر الملحي الهش على شكل أجسام مسطحة أو كتل ليفية بيضاء، تتطابق مع الحجر الجيري أو الحجر الرملي أو الطين أو على هيئة رواسب ذات طبقات سميكة واسعة الامتداد بشكل بقع عدسية، يتراوح سمكها مابين 1م إلى1.5م، وأجسام بلورية أحادية طويلة يكون ظاهراً فوق سطح الأرض على عمق 30سم، أو تستخرج مادته الخام من تحت طبقة من الحجر الجيري الدولوميتي على عمق 3.50م تقريبا.

وتنتشر محاجر هذا الصخر في العديد من المواضع المتفرقة على أطراف الواحات وعلى ضفاف الوديان، كما يستخدم كثيرًا في الجنوب التونسي.

ت.2 الجبـــس الاصطناعي:

---

1 . عبد العزيز حسونة، مرجع سابق، ص125

استعمل في بناء وتكسية جدران الزوايا التجانية نوعٌ معين من الميلاط الجبسي يدعى محليا "بالتمشمت"، وهو مسحوق كلسي ينتج بحرق حجر التافــزة*، يتميز بلونه الأبيض المائل إلى السُمرة ما يجعله عاكس لأشعة الشمس وعازل للحرارة والصوت، لكنه شديد التأثر بالرطوبة نظرًا لمكوناته الملحية خاصة كبريتات الكالسيوم، لهذا كثيرًا ما نلاحظ اليوم أساسات المباني متآكلة بفعل تأثير الرطوبة والتعرية الريحية.

وتتم عملية تحضيره بطريقة تقليدية سهلة، حيث تُعالج قطع من الحجارة الهشة في أفران تقليدية أعدت خصيصًا لحرق هذه الحجارة، تسمى محليا ب آشبور، وتدوم مدة الحرق أحيانا 24ساعة تحت درجة حرارة مرتفعة[1]، والغرض من عملية الحرق هو تبخير الماء الموجود بين المسامات، إذ تصبح هشة سهلة السحق بعدها تخلط مع الرمل الصلصالي لتصبح ميلاطاً، ومن خصائصه أنه سريع الجفاف والتماسك كما يمتاز بالصلابة بعد عملية الحرق، لذا أستخدم على نطاق واسع في الزوايا والقصور الصحراوية في تكسية أو تلبيس الجدران، وتبليط أرضيات البيوت وفي الربط بين الحجارة والطوب، كما أستعمل في عمليات التسقيف وفي بناء القباب، وعمليات الزخرفة ومن مزاياه أيضًا أنه حافظ جيد للبرودة في الصيف والحرارة في الشتاء، مما يضفي على المنازل نوعًا من الراحة والانشراح، وما يجب الإشارة إليه هو أن منطقتي وادي ريغ ووادي سوف غنية جدا بمادة الجبس بكل أنواعه، وهو ما يفسر استعماله الكبير في زاويتي تيماسين وقمار .

ث. الخشــب وجــذوع النخيــل:

يعتبر الخشب أحد أهم المواد المستعملة في بناء الزوايا والقصور الصحراوية، لِما تتوفر عليه المنطقة من هذه المادة، حيث استخدم في بناء العمائر، سواء في تدعيم الجدران أو في التسقيف أو كهيكل لبناء العقود والقباب أو لإنجاز الأبواب والسلالم أو الأوتاد المغروزة في الجدران لتقوم بدور المشاجب، وتتميز منطقتي وادي ريغ ووادي سوف باحتوائها على

---

* . هي نوع من الحجارة الكلسية الهشة تستخدم فقط لصناعة الجبس تتواجد بكثرة بواحات وادي ريغ كما تستخرج من منطقة الماجوري وغمرة العليا بوادي سوف على مستويات متوسطة من سطح الأرض.

1 .Commandant (couvet), op.cit, p 278.

واحات نخلية هامة، أدى ذلك إلى الاستفادة من هذا النخيل واستعماله على نطاق واسع، لذا لعبت النخلة دورًا أساسيًا في ميدان العمارة الصحراوية .

ث.1 جــذوع النخيــل:

يتم إعداد وتحضير جذوع النخيل انطلاقًا من بدن النخلة، فبعد أن تُقطع النخلة الطاعنة في السن تُنظف من الشوائب، يتم تقسيمها طوليًا إلى أقسام على حسب وظيفتها في المبنى[1]، ثم تترك تحت أشعة الشمس لضمان جفافها وزيادة صلابتها وقوتّها، ومن ثم تصبح صالحة للاستعمال .

و الجدير بالملاحظة أن جذوع النخيل اقتصر استعمالها في زاوية قمار على عملية تسقيف الغرف والحجرات والأزقة، بمقاسات تتراوح مابين 2م إلى3 أمتار طولاً، وبعرض 15سم إلى25سم دون استخدامها في صناعة الأبواب، على عكس زاوية تيماسين أين استخدمت الجذوع في صناعة الأبواب وبعض النوافذ التقليدية، وإن كان ذلك على نطاق محدود، كما استخدمت كعنصر حامل في السقوف وفي صناعة السلالم وتدعيمها.

وطريقة التسقيف بواسطة جذوع النخيل من أوسع الطرق المنتشرة في الجنوب الجزائري ومعروفة على كل حال في العمائر الإسلامية منذ الفترات الأولى، حيث أشار إليها ابن خلدون في قوله «....**ومن صنائع البناء عمل السقف بان تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت، ومن فوقها الألواح كذلك موصلة بالدساتر، ويصب عليها التراب والكلس ويبلط بالمراكز حتى تتداخل أجزاءه، وتلتحم ويعالى عليها الكلس كما عولي على الحائط** ....»[2]

ث.2 الجريــد:

---

1 . Bachminsk (j) et grandet (d), cinq études urbaines et architecturales sur le sud ouest Algérien, achevé d imprimer sur la presse, d L. U. S. O 1995,

أنظر كذلك، معروف بالحاج بن نوح، مرجع سابق، ص248

2 . عبد الرحمن بن خلدون، كتــاب العبــر(المقدمة)، مــرجع سابق، ص727

وهي أغصان النخلة المفصصة وتكون في القسم العلوي من النخلة، تقطع منها مع بداية تشكيل الثمار لتخفيف الثقل عليها ومعالجتها، وتوضع على شكل حزم بعد تنظيفها من الأشواك والسعف والكرناف بواسطة أداة حادة، (منجل) داخل الماء المالح في البحيرات المنتشرة حول الواحة، أو في بعض الخنادق المتوفرة في المنطقة، وتترك لمدة زمنية معينة (بضعة أيام)، ثم تُخرج وتُترك في الشمس لتجف وتصبح صالحة للاستعمال.

ومجال استعمال الجريد في زاويتي تيماسين وقمار متعددة ومتنوعة تنوع العمائر، في التسقيف (السدة) والتدعيم وفي بناء هياكل الأقواس وصناعة الأوتاد المخصصة لبناء الأقبية في زاوية قمار، كما أستُخدم في حشو الجزء الفاصل بين الطابق الأرضي والطابق العلوي على مستوى السطح، لضمان حركة الهواء وتخفيف الضغط على المبنى، هذا بالإضافة إلى استعماله في صناعة بعض وسائل البناء كالنّقالة، وبعض الأدوات الملحقة بالجدار.

ث.3 جـذوع الجريـد(الكـرنـاف):

الكرناف تسمية محلية يطلقها أهالي المنطقة على الجزء العريض من جريد النخيل والذي يتصل بجذع النخلة ويلعب دورًا هامًا في عملية التدعيم في البناءات الصحراوية بصفة عامة، باعتباره خشب صلب، وقد أستخدم في زاويتي تيماسين وقمار بين أقسام السقف ليوضع فوقه الليف ثم يعالى عليه التبن الممزوج مع الطين لمنع تسرب الماء، كما أنه يمثل مادة مقوية ومدعمة، استخدم في زاوية تيماسين في تدعيم بعض درجات السلالم وتثبيتها .

ج. أوراق اللّيـف والحلفـاء والعرعـار:

يُطلق على اللّيف محليًا اسم "الفـدام"، وهو عبارة عن نبات شبكي ينمو بين جذوع النخيل، يتم نزعه ثم يجفف بدوره ويستعمل بعد ذلك ضمن عملية التسقيف، فهو يمثل دور عازل حراري هام، أما الحلفاء فهي من الأنواع المحلية الوفيرة التي لا تتطلب جهداً كبيراً للحصول عليها، استعملت بالخصوص كمادة مقوية لأسقف المباني، وتدعيم السدة وسد الثغرات.

وما يجدر الإشارة إليه من خلال بعض الأجزاء المنهارة في أسقف زاوية قمار، أن مادة الحلفاء قليلة جداً، إذ يقول أهل الزاوية أنّ استعمالها اقتصر على الأروقة والممرات

المسطحة الداخلية والخارجية، ولعل ذلك راجع إلى قلة المادة أو بعدها عن المنطقة، أما فيما يخص نبات العرعار فإنه ينمو عادة في المناطق الجبلية وفي الأودية، وهو يمتاز بجذوعه الضخمة وأغصانه القوية ودرجة مقاومته وتحمله للثقل، لذلك استخدمه المعماري في الأماكن التي تحتاج إلى سند أو معرضة لضغط قوي، إذ استعمل في زاويتي تيماسين وقمار بالخصوص في صناعة أبواب المداخل والممرات والبيوت وأبواب ونوافذ المقابر.

ح. الآجـــــر:

اقتصر استعمال الآجر بزاوية تيماسين في تزيين واجهة المدخل الشرقي للزاوية، وفي تشكيل القباب، في حين لم يستعمل أبدا في زاوية قمار، وربما يرجع ذلك إلى افتقار المنطقة لهذه المادة، بحيث يجلب من المناطق المجاورة، أو من منطقة الجريد بتونس، وإذا بحثنا عن مدى استعمال هذه المادة في المناطق المجاورة وجدنا أنها مستعملة في بناء مئذنة مسجد سيدي عبد الله، المتميزة بعلو ارتفاعها وتنوع زخارفها، كما وجدت بزاوية تقرت وما عدا ذلك فاستعمالها قليل جدا.

2. تقنيـــات البنـــاء:

المقصود بتقنيات البناء هي مجموعة الوسائل والطرق المستعملة في ضمان سلامة المبنى واستقرار أجزاءه، وهي كذلك امتلاك القدرة على التشكيل والتعبير الفني والجمالي وفق الإمكانيات المتاحة، ولا شك أن المناهج المتبعة في تخطيط وبناء الزوايا والقصور الصحراوية ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب، بل هي مناهج متجذرة منذ العهود القديمة، أسهب الفنان المعماري في محاورة جزئياتها وفق ما تمليه عليه الضرورة الملحة في عمليات الإنشاء من جهة، وحسب ما تتطلبه مادة البناء من جهة أخرى، وهذا يعني أنّ البناء الصحراوي بصفة عامة لا يخضع لمنهج معماري معين، بل هو متعدد ومتشعب حتى في المعلم الواحد، وقد عبر عن ذلك بأسلوب بسيط ومتين، وبعفوية نابعة من الاحتياجات الوظيفية، وكمثال على ذلك نجد الانحناءات والانكسارات في الأزقة والممرات الممتدة بين الكتل السكنية للمعالجة البصرية والحد من الملل، وتوزيع الفتحات في الواجهات بطريقة

متزنة يعبر عن الوظيفة الجمالية والفنية، ومن هنا فإن الوظيفة كانت لها علاقة مباشرة مع تقنيات البناء، وهذا كله تماشيًا مع الظروف المناخية الصحراوية .

أ. تقنيـــات بناء الأســـس والجـــدران:

تختلف تقنيات بناء الأسس والجدران في مباني الزوايا من مبنى إلى آخر، ولكن على العموم تكون الأسس غير عميقة، إذ لا تتجاوز 80سم بالنسبة للأسوار الخارجية و60سم بالنسبة للأسوار الداخلية، (جدران البيوت) وتكون من الصخور الصلبة القليلة الوجود في الناحية، هذه الأخيرة تلعب دور العازل بالنسبة لطبقة المياه الباطنية القريبة من السطح، خاصةً في مناطق وادي سوف، أما بقية أجزاء الجدران فتكون من الحجارة المتوسطة الحجم، يتم فيها البناء فوق الأسس مباشرة باستعمال صفوف الحجارة بوضع الواحدة فوق الأخرى، وأحيانًا نجد صفين من الحجارة الصغيرة الحجم، ويتم التركيب بينها بواسطة الميلاط الطيني أو التيمشمت، وتتخلل الفتحات التي يتركها وضع الجدار حجارة أصغر لشد الفتحة، وتُملأ الجوانب الموجودة بين كل قطعة بالميلاط الطيني الذي يلعب دورًا كبيرًا في عملية البناء، إذ يتراوح سمكه ما بين 50سم و60سم، وهكذا تستمر هذه التقنية

في بناء الجدران إلى أن يرتفع العلو المراد بناءه، وما يلاحظ على الجدران الخارجية العالية الارتفاع سواء كان ذلك في زاوية تيماسين أو زاوية قمار، هو توظيف البّناء لخبرته في مجال العمارة الصحراوية، حيث عمد إلى جعل سمك الجدار في الأسفل أكبر مما هو عليه في الأعلى، إذ نجد أن عدد صفوف الحجارة في الأسفل كثيرة وحجمها كبير، وكلما ارتفع الجدار يظهر التناقص في عدد وحجم صفوف الحجارة، ويعود ذلك إلى إضفاء نوع من التناسب والتناسق الهندسي الذي يعطي الشكل الهرمي المتراجع، والذي بدوره يعطي اتزانا ومتانة للجدار، أما بالنسبة للجدران الداخلية الفاصلة بين الغرف، فإننا نجدها أقل عمقًا وسمكًا من الجدران الخارجية، وإن حافظت على نفس تقنية البناء وعلى وحدة التناسب الهندسي والشكل الهرمي للجدار، كما أن سمك الجدار المحيط بالسطح في زاوية تيماسين كما في زاوية قمار يكون صغيرًا، وذلك لوظيفته وهي السترة شأنه شأن الجدار العازل أو

الفاصل في الرواق الغربي لزاوية قمار، حيث نجد سمكه يتراوح مابين 15سم و25سم وقد بني بالحجارة الصغيرة الحجم .

والجدير بالذكر أن تقنية بناء الجدران انتقلت إلى بقية العناصر المعمارية في الزوايا كالمداخل والدّعامات والعقود، وهي ميزة على ما أعتقد تنفرد بها بعض زوايا وقصور مناطق وادي ريغ ووادي سوف وإقليم توات، لخصوصية المنطقة الجغرافية على عكس زوايا وقصور جبال عمور بالأغواط[1] أو عمائر الإباضيين بوادي ميزاب[2]، ذلك أنّ البنّاء لم يعمد إلى تغيير طريقة البناء وتنويعها في تشكيله للعناصر المعمارية التي هي جزء لا يتجزأ من المبنى ككل .

ب. تقنيـــات بناء المداخـــل والأبـــواب:

فيما يخص تقنيات بناء المداخل وتثبيت أبوابها، فإنها اختلفت باختلاف أنواعها وأحجامها، حيث نجد المداخل الرئيسية ذات الأبواب المعدنية الكبيرة المفتوحة السطح كالمدخل الرئيسي لزاوية قمار، أو المداخل الثانوية ذات الأبواب الخشبية الأقل حجمًا والمغلقة السطح، إما بطريقة مسطحة أو معقودة، فالمداخل المسطحة بنيت بطريقة بسيطة إلى حد كبير، فنجد أن جوانب المدخل باعتبارها طرفي الجدار، بنيت بنفس تقنية بناء الجدران، وعند بلوغها الارتفاع المطلوب والذي لا يتجاوز في معظم الأحيان 2,90م مع الجدار الموازي له في نفس المحور، يتم مد جذوع خشبية من 2 إلى3 جذوع على حسب سمك الجذع بين الفراغ الموجود فيما بين الجدارين، ويبلغ طول الجذوع الخشبية المسندة مابين 1,70م و1,90م، وبالتالي يُسطح المدخل ويتم ربط الجذوع فيما بينها، أما المداخل المعقودة فإننا نجدها في غالب الأحيان في الغرف الداخلية، وفي المرافق المعيشية كمدخل المخزن بزاوية تيماسين،

---

1 . أنظر علي حملاوي، قصـــور منطقـــة جبـــال عمـــور(السفح الجنوبي) من القـــرن العاشـــر إلى القـــرن الثالث عشر الهجـــري(16ــ 20م)، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر

2 . أنظر معروف بالحاج بن نوح، مرجع سابق

ومدخل غرفة السلالم المؤدي للطابق الأول بزاوية قمار، وهي بسيطة ذات عقد نصف دائري، تمثلت تقنية بناءها في نفس التقنية السالفة الذكر في المداخل المسطحة، إلا أن الجديد في هذا النمط المعقود هو أنّ البنّاء عمد إلى تدعيم العقد بمجموعة من عيدان الجريد، حيث تُصفف وتربط برباط متين، ثم تثبت على طرفي الجدار مباشرة أسفل الجذوع الخشبية، ثم يتم إحكامها بواسطة الميلاط الطيني لتصفف بعدها قوالب الطوب على هذا الهيكل على شكل صفوف بوضع مائل من منبت العقد إلى الطرف الثاني، ويترك الصف الأول يجف لوضع الصف الثاني والثالث إلى غاية استكمال عملية بناء العقد (**الشكل رقم15**).

ولتثبيت أبواب المداخل سواء الرئيسية أو الثانوية، لابد من وجود محور يدور حوله هذا الأخير، ويثبت على الجدران ومن الأعلى عن طريق الجذوع الخشبية، والتي تكون عادة بارزة نحو الخارج، كباب الرواق المؤدي لمسجد الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، أما من الأسفل فقد حفرت حفرة يدخل فيها محور الباب، ويقابل الفتحة العلوية فتحة غائرة في الأسفل، بحيث تسمح بتثبيت المصراع بطريقة يسهل دورانه، ولغلقه يزود بمزلاج خشبي، بالإضافة إلى قطعة حديدية تربط بين الجدار والباب، أما الأبواب الثانوية(**الشكل رقم12**) فإنها تثبت بواسطة قطع معدنية تربط بين الجدار وحافة الباب (**الشكل رقم13**).

ت. تقنيـــات بناء الأعمـــدة والدعامـــات:

تظهر تقنيات البناء بالحجارة المنظمة والموحدة في بناء الأعمدة والدعامات في زاويتي تيماسين وقمار، سواء المربعة منها أو المستطيلة أو المتعامدة الأضلاع، حيث نلاحظ أنها حافظت على وحدة التقنية في البناء كغيرها من العناصر المعمارية الأخرى، فنجد أن صفوف الحجارة مبنية بنفس الوضعية التي لاحظناها في كل من الجدران والأسوار، وجل هذه الدعامات تخلو من القواعد والتيجان، إذ تتصل مباشرة بالأرض وتستقبل مباشرة الأقواس،(**الشكل رقم12**)، كما تنعدم بها الزخارف، وتكون هذه الدعامات في بعض الأحيان عريضة في أسفلها تدعيما للأساس، كما يمكن أن تكون أكثر عرضًا في أعلاها، إذا كانت حاملة لعوارض النخيل حتى يكون التوازن في الثقل وتكون طبقة التلبيس في الدعامات بالتمشمت أكبر منها في الجدران لإعطائها أكثر صلابة ومقاومة .

ث. تقنيـــات بناء الأسقـــف والسلالـــم:

يُعتبر التسقيف عنصرًا ضروريًا لتغطية الغرف والوحدات السكنية في الزوايا التجانية، وفي معظم القصور الصحراوية، لذلك تختلف طرق التسقيف تبعًا لطبيعة المواد المستعملة في هذه العملية وتبعًا للظروف المناخية السائدة في المنطقة، فنجد أن التجانيين لا يلجئون إلى استخدام السقوف المسطحة إلا عند اقتضاء الضرورة، وذلك حفاظا على مادة البناء الأساسية المتمثلة في الثروة النخيلية **(اللوحتين رقم33 و34)** ومراعاةً لطبيعة المناخ الصحراوي، ومن هنا تظهر المساحات المغطاة بالسقوف المسطحة قليلة جدًا، خاصة في العمائر الدينية كالمساجد والأضرحة والفضاءات المخصصة لتلاوة القرآن ومجالس الوعظ والإرشاد.

ولعل ذلك راجع أيضاً لمحاولة استبعاد كل ما من شأنه أن يعرقل الدعامات والأعمدة، باعتبارها الوحدة الأساسية التي تستند عليها وتفرضها نوعية العمل الذي يقام في تلك الفضاءات[1]، وعمومًا يكون التسقيف من هذا النوع سميكًا وثقيلاً نظرًا لسمك كل طبقة من المواد المكونة له، وتقنيات بناءه معروفة على كل حال مند القدم ومازالت تستعمل إلى يومنا هذا وذلك وفق الطريقة التالية:

تهيئ جذوع النخيل وتقطع طوليًا أو عرضيًا إلى قسمين أو إلى أربعة أقسام، وهذا في الأماكن التي لا يكون عليها الضغط كبيرا، والتي غالبا ما نجدها في الطوابق العلوية ويكون متوسط سمكها مل بين 15سم و 25سم، يقوم البنّاء بحفر كوات عميقة في جدران الغرف أو الممرات المراد تسقيفها بعمق 20سم أو 25سم، بشكلٍ متقابل ثم يتم اختيار الجذوع بناءً على مساحة الغرفة ثم تحدد المسافة بين كل جذع والذي يليه **(الشكل رقم13)** مثلا إذا كانت مقاسات الغرفة المراد تسقيفها 2م×3م، ينبغي ألا يتجاوز طول كل ضلع خشبي 2.50م، لضمان مقاومة جيدة للجذوع، أما المسافة الموجودة بين كل ضلع وآخر فهي تتراوح ما بين 40سم و 60سم، وتجري عملية التسقيف بأن تمد الجذوع داخل الكوات الجدارية، وتثبت بواسطة الملاط الطيني اللاحم ثم يفرش الكرناف بطريقة عكسية مباشرة فوق الجذوع بصفة

1 . معروف بالحاج بن نوح، مرجع سابق، ص232

متراصة، وقد يصفف أحيانا بين الفراغات التي تتركها الجذوع أحجار دقيقة السمك، تمسك بمادة التمشمت، ثم يعالى عليها الليف والتبن أو الحلفاء والتي تلعب دور امتصاص المياه والعزل الحراري، ثم يوضع فوقها الحجارة الصغيرة مع الملاط الطيني الذي يكون على شكل عجينة تقل نسبة المياه فيها، لتوضع فوقها فيما بعد ــ أي بعد جفاف العجينة ــ طبقة من التراب أو بقايا الردم القديم بسمك 20سم، ثم تغلف بطبقة من التمشمت تكون أقل سمكا من سابقتها، كما يمكن أن تكون فوقها طبقة من الرمل بسمك 30سم وهذا تفاديًا لوصول حر الشمس والأمطار، أما من الداخل فيلبس بالجبس أو التمشمت بمقدار 50سم أو 60سم،(**الشكل رقم17**) وعادةً ما يتخلل السقف بعض الفتحات الخاصة، مثل فتحة المدفئة وفتحات الإنارة والتهوية، خاصة في غرف الاستقبال وغرف الطبخ والمخازن .

وفي ما يخص السلالم فإن موقعها في الزوايا التجانية بصفة عامة، يحددها التخطيط العام وكذا اتجاه الوحدات المعمارية، ولكن غالبًا ما تحتل أحد أركان وسط الدار، و تتصل مباشرة بالطابق الأول انطلاقًا من السقيفة، أو مطلة على الشوارع والأزقة والممرات، أما بالنسبة لتقنيات بنائها فهي تختلف وتتنوع على حسب موقعها ووظيفتها في الزاوية، ولكنها تتشابه إلى حد كبير من حيث المواد المستعملة في بنائها.

وتتميز السلالم الموجودة في زاويتي تيماسين وقمار، بأنها تجمع مابين النوع المزدوج المنكسر أو الحلزوني، والنوع العمودي المسطح الذي يرتقي إلى السطح دون الارتكاز على المحور، ويتم انجازها بطريقة سهلة وبسيطة، إذ توضع مجموعة من جذوع النخيل لا تتعدى ثلاث أو أربع جذوع، وذلك بشكل مائل حسب الشكل المطلوب، والذي غالبًا ما يكون بميل 45°إلى47°، حيث ترتكز في أسفل السلم على مجموعة من الحجارة المتراصة، في حين يستند طرفها الثاني على الجدران العمودي، ثم يمرر الملاط الطيني المدعم بالحجارة الصغيرة، والتي يتم تغطيتها بالتمشمت المستعمل كمادة لاصقة، بعدها توضع قطع حجرية مهذبة ذات شكل مستطيل، لتشكيل درجات السلم تغرس في أحد الجانبين في الجدار، وفي

الجانب الآخر ترتكز على العمود المحوري الذي يعمل على امتصاص الهوامش[1]، وفي الأخير يتم تبليطه بطبقة من الطين الممزوج بالجبس(**الشكل رقم18**).

ثانيـــا: مـــواد الزخرفـــة و تقنيـــات تنفيـــذها

1. الحـــس الجمالـــي في بنـــاء الزوايـــا التجانيـــة ودلالاتـــها:

إن أهم ما يمكن ملاحظته على مباني الزوايا التجانية بالجنوب الجزائري، بغض النظر عن هندستها وموقعها وبنيتها الصحراوية هو غناها بالعناصر الزخرفية الفنية، التي أضفت عليها مسحة جمالية، وإن كانت تخلو من الميزات التي تتميز بها معظم العمائر الإسلامية كالانسجام والتناسق بين أجزاءها والرشاقة في عناصرها، وهو ما جعلها تبدو في نظر العديد من الباحثين والمهتمين في هذا المجال ساذجة وبسيطة للغاية، تعكس حسب اعتقادهم بساطة أهاليها في عيشهم وانصرافهم عن مظاهر الترف، أو كل ما من شأنه أن يشغلهم عن أمور دينهم[2] .

ولكن المتتبع لحقيقة التركيبة المعمارية والزخرفية في الزوايا التجانية يتبين له عكس ذلك تماما، فهي تختلف عن القصور والمباني الصحراوية الأخرى من حيث اعتمادها على الرؤية الجمالية الشاملة وفي أبسط أمورها، وإن كان تقييمنا للجمال أمر نسبي لا يخضع لمقاييس محددة ودقيقة، فهو يُعد من بين الأشياء التي ليس لها تفسير سوى أنه في تكوين الإنسان وتركيبه النفسي، يوجد ما يحبب إليه إيقاعات أو ألوان أو نقوش معينة تتفق مع طبيعته وتنسجم معها فتبدو له جذابة وجميلة[3].

يقول الكاتب المعماري الأمريكي المعروف ألبرت بوش بروان في كتابه "فن العمارة الأمريكية" ‹‹ إن الفن المحلي هو عبارة عن مسلمات جمالية ارتضاها المجتمع لنفسه، فأوجد مفردات خاصة به، تنبع من متطلباته و تعبر عن احتياجاته ضمن قدراته المالية ››.

---

1 . André (Raveau), op.cit, p79

1. علي حملاوي، مرجع سابق ص 305

3. مهنا رئيف و بحر ويس، مرجع سابق ص3

نستخلص من هذا أن مفهوم الجمال يختلف باختلاف الزمان والمكان، كما يختلف بين إنسان وإنسان باختلاف درجة الوعي والثقافة، فكلما تطور المجتمع وازدهر من الناحية الثقافية والاقتصادية كلما تطور فيه الفن وازداد وعي الناس وإحساسهم بالجمال الفني[1]، فإذا كانت القصور والمباني الصحراوية عامة تبدو بسيطة وساذجة بالنسبة للبعض، فإنها تبدو في نظر آخرين غاية في الروعة والجمال، فمنهم من بقي مندهشًا أمامها ويتضح ذلك جليًا من خلال الكلمة المعبرة التي أطلقها المهندس الشهير لوكر بيزيـــي أمام أحد الأبواب بقصر غرداية ‹‹ ما أبدع هذه الهندسة في أبسط البناءات تتجلى مهارة البنائيين››[2] .

ومن هنا يتجلى بوضوح أن المعماري بالزوايا التجانية على وجه الخصوص كان على دراية تامة بما يقوم به، وأن هدفه من وراء أعماله يكمن في البحث عن المبادئ الجوهرية للمباني، وما يوفر لها من أمن وأمان وراحة نفسية وجسدية، فالمعماري نفسه هو فرد من أفراد المجتمع منغمس فيه و متشبع بمعتقداته وفكره، لذا فإن رؤيته الفنية أو الجمالية كانت تمر عبر ذلك المنظور الذي تكّون لديه، ولذلك يُعتقد أنه إذا تم العثور على المبادئ الأساسية لكل عمل من الأعمال الفنية التي يقوم بها الإنسان فإنه سيكون لا محالة تام وكامل ولا يحتاج إلى أي تجميل[3] ولأنه لا يفتقر من بعض العناصر الفنية التشكيلية والمتمثلة في الخط والمساحة واللون والظل والنور وملامس السطوح والحيز، وعلاقة هذه العناصر ببعضها البعض وما تحويه من إيقاع، هي التي تضفي على المنجزات الفنية صبغة الجمال[4]، وكمثال على ذلك الفناء الداخلي الذي كان أحد المعالجات المناخية، ولكنه أيضًا عبارة عن اتصال الساكن مع الفضاء الخارجي دون أن يخرج أو تُجرح خصوصيته أو يَجرح خصوصية الآخرين، ومع ذلك فلقد رأى المعماري الفناء بمنظوره الجمالي فأوجد البئر أو النخلة التي

---

1 . رشيد عدنان، دراسات في علم الجمال ، دار النهضة العربية ،بيروت،1985، ص195

2 . علي حملاوي، مرجع سابق ص 306

3 . مهنا رئيف و بحر ويس، مرجع سابق ص2

4 . أبو صالح الألفي، الفـن الإسلامـي، أصولـه، فلسفتـه، مدارسـه، ط2، دار المعارف، لبنان 1974 ص101

أضفت على الفناء لمسة جمالية عفوية مع منفعتها كعامل لترطيب الهواء الحار، وهناك نوع أخر من الجمال العفوي في العمران والعمارة التجانية بوجه خاص يتمثل في روعة التنسيق بين الكتل المعمارية، من حيث الاتجاهات والارتفاعات، وهي بلا شك مستمدة من روعة الشريعة الإسلامية، فقول رسول الله (ص) **« لا ضـــرر ولا ضـــرار»** جعل من البيئة العمرانية الإسلامية بيئة متناسقة و متمازجة بصورة رائعة، لدرجة أنك ترى واجهات وأسطح المنازل المختلفة كواجهة واحدة تحمل في ظاهرها الكثير من القواعد الفنية و الجمالية.

2. مـــواد الزخرفـــة وعلاقتهـــا بالموضوع الفنـــي:

تعتبر مواد الزخرفة المجال الحيوي الذي من خلاله يمكن للمعماري الفنان أن يترك الانطباع أو الأثر في نفسية المشاهد، الذي يقف أمام الأثر الفني وفق طرق معينة وضوابط تحددها طبيعة المادة من جهة، وطبيعة المنطقة وتقاليدها المعمارية وأساليبها الفنية من جهة أخرى، لذلك نجد أن مواد الزخرفة في الزوايا التجانية الصحراوية لا تختلف عن المواد المعروفة في مثل هذه الأقاليم في مختلف مناطق العالم الإسلامي، ولكن استعمالها يكون بدرجات متفاوتة، ذلك أن قابلية هذه المواد للتشكيل الفني يختلف من مادة إلى أخرى لاختلاف طبيعتها وخصائصها الفيزيائية، وكذا العلاقة المتكاملة بين المادة والموضوع الزخرفي، وبين الجانب الإنساني الاجتماعي في المبنى والمظهر الجمالي يظهر ذلك جليا في مباني الزوايا التجانية حيث تنعدم الزخارف على الرخام والفسيفساء فيما تقل على المعادن والخشب والخزف مقارنة بما هو على الجص أو تلك المنفذة بواسطة الألوان المائية .

أ. الجـــــص:

علاوة على استخدام الجص كمادة لاحمة أو لتغطية الجدران والأقبية والأقواس، اتخذ الجص أيضًا كمادة أولية رئيسية في الزخرفة، حيث أفرغ الفنان التجاني عليه ما جادت به قريحته من عناصر فنية، يهدف من وراءها إلى تحقيق غايات جمالية، نفذت بطريقتين الزخارف الغائرة والبارزة ذات اللون الأبيض أو المتعدد الألوان، والتي تشاهد بصفة خاصة

وعلى مساحات كبيرة في جل العمائر الدينية في جميع الزوايا، وبالأخص زاوية قمار، والزاوية التجانية بعين ماضي (**اللوحة رقم35**)، هذا ويعتبر الدكتور علي حملاوي ـ **رحمه الله** ـ بأن هذه الزخارف دخيلة على القصور الصحراوية ولا تمت بصلة إليها، فقد تطالعنا الكثير من النصوص التاريخية بأن معماريين جُلبوا من خارج الوطن للقيام لهذه الأعمال، هذا وترتبط الزاوية التجانية بقمار ارتباطًا وثيقًا بمهنة النقش على الجبس إذ تعتبر أول من استقدم أخصائيين من المغرب الأقصى لهذه الصنعة*، ثم تعلمها أبناء المنطقة وعلى رأسهم أولاد قاقـــة الذين رحلوا إلى الجزائر العاصمة، فلا تزال نقوشهم الرائعة تـــُزين مبنى البريد المركزي وقبة قصر الشعب، فانتشرت هذه الحرفة عمومًا في أواسط القرن17م وشملت في البداية المساجد والأضرحة ثم توسعت لتمس المساكن والدور ثم انتشرت لتشمل واجهات المنازل والشوارع[1] .

ب. الخشـــــب:

تعتبر منطقة الجنوب الجزائري من المناطق الفقيرة في إنتاج الأخشاب الجيدة، وكل ما كانت تحتاجه الزوايا التجانية من هذه المادة كان يجلب من خارج المنطقة من تونس وليبيا أو المغرب الأقصى، ورغم هذا فإن يد الفنان التجاني قد استطاعت تحويل هذه المادة إلى تحف زينت بها معظم العمائر، سواء الدينية أو المدنية على الأبواب (**اللوحتين رقم36 و37**) أو في التغطية (**اللوحة رقم33**) كما صنعت منه الدرابزين وبعض الزخارف الهندسية أو النباتية

✶ . أول من أدخـــل مهنة النقش على الجبس إلى مباني الزاوية الخليفـــة محمد العيـــد الأول حين بنى مسجدا جديـــدا للزاوية مابين (1287هـــ،1288هـــ/1869م،1870) حيث استقدم البنّاء المغربـــي الأصل السيـــد أحمد بن الطاهر بن بلقاســـم التجاني الذي زين القبـــة الكبرى للمسجـــد والمقر الاجتماعي للزاويـــة، كما استقدمـــه من بعده الشيخ محمـــد لعروســـي (1314هـــ ،1344هـــ/1893م،1920م) ليقوم بزخرفـــة المدخل الشرقـــي المعروف بباب الجنـــان ومركب القبـــة الهرميـــة، أنظر عبد العزيز حسونة، مرجع سابق، ص، ص 129 ، 130

1 . بن سالم بن الطيب بلهادف، مرجع سابق ص86

الملاحظة على أبواب الخزائن الجدارية، والمنابر في أشكال نباتية دقيقة من أفرع وأوراق وأنصاف مراوح نخلية متشابكة غاية في الدقة والإتقان(**اللوحتين رقم 38 و39**).

ومن بين ما عرفه الفنان التجاني في الزخرفة على الخشب أسلوب تشبيك قطع خشبية صغيرة ببعضها البعض، بواسطة ضلوع خشبية أو ما يسمى بالذكر والأنثى لتشكل معًا وسيلة من وسائل تخفيف وتقليل الرؤية، أو ستر الأماكن والقاعات مع عدم حجب الإضاءة لذلك نجدها بكثرة على نوافذ جامع الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار(**اللوحة رقم39 أ**) وكذا ضريح الحاج علي بن عيسى وعلى جانبي المنبر بمسجد زاوية تيماسين (**اللوحة رقم40**)، كما يرجع السبب في انتشار هذه الطريقة إلى كونها تمنع الحشوات الخشبية من الالتواء نتيجة الحرارة العالية بالمنطقة، فهي سهلة الحركة داخل إطار صلب يساعدها على التمدد والانكماش دون تقوس أو تلف أو يؤثر ذلك على باقي الحشوات، وهي من الأساليب المعروفة على كل حال في الصناعات الخشبية الإسلامية، خاصة في أواخر العصر الفاطمي والعصرين الأيوبي والمملوكي، فقد احتفظت لنا العمائر الإسلامية سواء دينية أو مدنية بالكثير من الأبواب والنوافذ والأسقف والمشربيات*، فضلا عن المنابر والدكك والكراسي والموائد وحوامل المصاحف وصناديق لحفظ القرآن مجزءا أو كاملا وغير ذلك من التحف الخشبية[1]

ت. المـــعـــادن:

استخدام المعادن في الزخرفة من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان وأهمها على الإطلاق النحاس والحديد والبرونز والفضة وغيرها، ولكننا نلمس بالزوايا التجانية معدنيين أساسيين استخدما بكثرة وبنسب متفاوتة وهما النحاس والحديد:

---

* . المشربية حاجز أو واجهة من الخشب الخرط، توضع أمام النافذة من الخارج لستر من بالبيت و تمكينهم من رؤية من بالخارج دون إمكانية حدوث العكس، كذلك من أجل تحقيق بعضًا من تعاليم الإسلام التي توجب على المرأة التحجب و على الرجل غض البصر، إضافة إلى تصفية الهواء من الغبار، والتقليل من حدة الإضاءة، أنظر: عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص 285.

1 . لمعلومات أكثر عن هذا الموضوع أنظـــر: إصـــدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الفـــن العربـــي الإسلامـــي، ج3، (الفنون)، إدارة الثقافة، تونس، 1997، ص، ص 31 32

ت.1 النحـــــاس:

استخدم الفنان التجاني خامتين من النحاس لصناعة الأبواب والتحف الفنية والحلي وهما تختلفان من حيث المظهر واللون، فالنحاس الأحمر استعمل في صناعة الأبواب الخارجية الضخمة سواء بمصراعين كالمدخل الرئيسي لزاوية قمار(**اللوحة رقم02**)، أو بمصراع واحد مثلما هو الحال بأحد مداخل الحـــوش الشرقي بذات الزاوية، أما النحاس الأصفر الذي يكسب لونه من سبكه، فإن استخدامه كان في إطار محدود في صناعة الأواني المخصصة للطهي أو حفظ الماء.

وتنفيذ عمليات الزخرفة على النحاس تختلف وتتعدد على حسب نوعية النحاس ومجالات استعماله، لكن الشائع حسب النماذج المتوفرة لدينا على الأبواب نجد أن عملية الحفر الغائر استعملت بكثرة عكس الحفر البارز، ذلك أن وجه المعـــدن في هذه الحالة يحتاج إلى أدوات خاصة بالضغط غير متوفرة محليًا، بالإضافة إلى صعوبة تحديد العناصر الزخرفية والتحكم في العمق والانحناءات والأطراف والزوايا الحادة وغيرها، كما لجأ الفنان إلى استخدام تقنيتي الحز والنقش بشكل كبير لسهولة تنفيذها، ودورها في إخفاء الخدوش الناتجة عن عمليات الدق، كما استخدم المسامير النحاسية الكبيرة أو الصغيرة المبردة الحواف في تدعيم هذه الزخارف وإعطاءها شكلا متميزًا(**اللوحة رقم41**).

وعمومًا عمليات الزخرفة على النحاس تعتمد بالدرجة الأولى على حس الشخص وذوقه الفني الذي يقوم بعمليات النقش، حيث تتطلب العملية الدقة والحرص في استخدام الأدوات.

ت.2 الـــحديـــد:

استعملت مادة الحديد للتشكيل الزخرفي في مجال محدود، حيث اقتصر استعماله في أماكن معينة دون غيرها، إذ صُنعت منه قضبان زخرفيـــة بأشكال مختلفة لتسييج النوافذ أو تدخل ضمن وحدات زخرفية فوق مداخل الأبواب، أو لصناعة الدرابزين المطلة على الصحن بزاوية قمار، أو السياج المحيط بقبر الحاج علي بن عيسى بضريح زاوية تيماسين، وهي كما يبدو صناعات حديثة العهد أدخلت من جراء الترميمات التي حدثت بالزاوية خلال الفترة الاستعمارية (**اللوحة رقم43**)

ث. الـــزليـــج:

بالنسبة للزليـــج أو المربعات الخزفية فإنها استعملت بكثرة في تكسية جدران العمائر الإسلامية، خاصة من طرف الأتراك العثمانيون وذلك منذ القرن7هـــ/13م[1]، وقد اختلفت تسمياتها من بلد لآخر لكنها تتفق كلها في الدور أو الوظيفة التي صنعت لأجلها، وهي زخرفة جدران المباني الدينية والمدنية على وجه الخصوص، إضافة إلى المباني العسكرية أحيانا، ففي العراق أطلق عليها اسم "تربيعات القاشاني" نسبة إلى مدينة قاشان بإيران[2]، وفي الأندلس وبلاد المغرب عرفت باسم الزليج اشتقاقا من الكلمة الإسبانية **AZZULICHA** ذات الأصل العربي والتي تعني زليجة[3]، وذلك منذ القرن 10هـــ/16م[4] في حين أن المصريين كانت تدعى عندهم باسم "الزليزي" تأثرًا بكلمة الزليج المغربية الأندلسية[5]، أما الإيطاليون فسميت عندهم باسم "فاينزا" نسبة إلى مدينة فاينزا بإيطاليا[6]، ومعناها المربعات الخزفية، ولكن يقصد بها النوع المستخدم على الجدران فقط على عكس مصطلح البلاطات المقصود بها تلك المستعملة على الجدران والأرضيات معًا فهو اسم علمي متداول بشكل عام[7].

---

1. سعاد محمد ماهـــر، الخـــزف التركـــي، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1977م، ص63

2 . محمد عبد العزيز مرزوق، الفنـــون الزخرفيـــة الإسلاميـــة في العصر العثمانـــي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،1974م ص، ص 73 74

3. علي بن بلة و محمد عزيز المقراني، حوليـــات المتحـــف الوطنـــي للآثـــار ، دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة بالمتحف الوطني للآثار، العدد الرابع، الجزائر،1994م، ص 11

4 . عبد العزيز لعرج، الزليـــج في العمـــارة الإسلاميـــة في الجزائـــر في العصر التركـــي ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1982م، ص 328

5 . محمد عبد العزيز مرزوق، الفنـــون الزخرفيـــة الإسلاميـــة في المغـــرب والأندلـــس، دار الثقافة، بيروت، (د ت) ص76

6. Soustiel (j), la céramique islamique guide de connaisseur vilo paris, 1985, p385

7. بطرس البســـتاني، الـــخـــزف، دائرة المعارف، المجلد السابع، مطبعة المعارف، بيروت، لبنان، 1883م ص387

هذا وقد استخدمت المربعات الخزفية بكميات كبيرة وعلى نطاق واسع في المباني الدينية والمدنية بالجزائر العاصمة وبعض المدن المجاورة لها، كالبليدة والمدية ودلس وشرشال وتنس وغيرها، إذ استعملت في زخرفة القصور والمآذن والقباب وتجاويف المحاريب والأضرحة، كما وجدت في زخرفة المنشآت العامة من الحمامات والواجهات الأمامية للعيون، ونفس الشيء بالنسبة لمدينة قسنطينة وبعض مدن الشرق الجزائري، ونادرًا ما نجدها في مدن الغرب كوهران باستثناء أمثلة بسيطة في تلمسان، ذلك أن الغرب لم يشهد حركة معمارية كبيرة خلال العصر التركي، للظروف العسكرية والصراع القائم بين حكام الجزائر والحاميات الإسبانية المتواجدة بالمرسى الكبير بوهران حتى سنة 1792م[1].

أما الجنوب الجزائري فإن استعمال البلاطات الخزفية يكاد يكون منعدمًا نظرًا للظروف المناخية وطبيعة المباني الصحراوية، وكذا العامل التاريخي والجغرافي للمنطقة باستثناء بعض مباني الزوايا كالمساجد والأضرحة التجانية، التي ضمت بعض المربعات المنتشرة في أماكن متفرقة، حيث نجد نماذج منها في ضريح الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار كما نجد نموذج واحد في أحد أطر الأبواب بزاوية تيماسين، ويذكر بعض شيوخ الزاوية التجانية بقمار أنه وبالنظر للنقص الكبير في الفنون الصناعية المحلية لجأ ــ عبر مختلف المراحل التاريخية ــ أعيان الزاوية ومريديها إلى بذل مجهودات كبيرة في سبيل استيراد الكثير من الحاجيات، كان على رأسها البلاطات الخزفية والتحف المعدنية والأثاث من النوافذ والأبواب، وكذا التحف الزجاجية والخشبية المدعمة بالنقوش والزخارف المختلفة من القطرين التونسي والليبي عبر قفصة وطرابلس، وذلك بحكم العلاقات الودية التجارية والدينية على ظهور الجمال والبغال عبر الطرق الصحراوية الوعرة[2]، ولعل ذلك ما يفسر عدم الاستعمال الواسع لهذه المادة، فجاءت على شكل قطع متفرقة على نطاق ضيق، كان الغرض منها الجانب الجمالي والفني، أي للزخرفة دون الجانب الوظيفي المتمثل في سهولة تنظيف الجدران،

---

1 . عبد العزيز لعرج، الزليــج..... مرجع سابق، ص 18

2 . بلهادف بن سالم بن الطيب، مرجع سابق، ص 86

واعتبارها تؤدي دور العازل و الطرد الحراريين للمبنى، ولعل أهم النماذج نجد نموذج بضريح الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار، وهو يمثل مربعة خزفية مقاساتها 13.5سم قوام عناصرها زخرفية ترتكز على نجمة ثمانية الرؤوس في الوسط تحيط بها حلية نباتية مكونة من أوراق مفصصة تحوي بداخلها دوائر صغيرة، وتعرف هذه الزخرفة باسم "عفسة الصيد" حيث رسمت باللون الأصفر والأزرق الداكن والأخضر على أرضية بيضاء(**الشكل رقم19، اللوحة رقم44**).

وما يلاحظ على هذه المربعة أنها لا تمثل موضوع زخرفي متكامل، بل تحمل عناصر زخرفية منفصلة، يمكن استعمالها في أي موضع وهي موجودة على كل حال في العديد من المباني والقصور بالجزائر العاصمة، منها قصر حسن باشا بالقصبة السفلى وهي نموذج تحمل خصائص ومميزات البلاطات المصنوعة والمستوردة من القطر التونسي، إذ وجدت كذلك بزاوية سيدي عبد القادر 1268هـ/1850م بشارع الديوان بتونس[1]، منفذة بأسلوب إسباني[2] يبقى أن نشير أن هذه المربعات الخزفية تبدو قديمة نوعًا ما، وعدم متقنة الصنع ذات ألوان باهتة وسمك غليظ، وتتميز بحوافها المنحرفة قليلا عكس البلاطات الحديثة والتي تتميز برقة سمكها واستقامة حوافها.

3. طـــرق و تقنيـــات الزخرفـــــة:

لقد اختلفت طرق الزخرفة وتقنياتها باختلاف المواضيع الفنية والمواد المستخدمة في الزخرفة، حيث يرتبط الإبداع الفني بمهارات الفنان وقدراته من جهة، وبطبيعة المادة من حيث صلابتها وطواعيتها من جهة، أخرى ولعل أهم طرق الزخرفة المتبعة نجد:

أ. تقنيات الحفـــر والكشـــط والحـــز

1. Lisse (p) Louis (a), les poteries de Nabeul étude de sociologie tunisienne, imprimrie bas cone et muscat, Tunis, 1956, p162

2 . عبد العزيز لعرج، الزليـــج..... مرجع سابق، ص 117

وهي من أقدم وأهم التقنيات المستعملة في عمليات الزخرفة، استعملت استعمالاً واسعًا في تشكيل الزخارف على الكثير من المواد الصلبة واللينة، كالزخرفة على الجص والحجر والرخام والعاج والخشب والمعادن والطين الخزفية[1].

وتتنوع تقنية الحفر على هذه المواد من حفر غائر وحفر مائل ومسطح أو بارز، كما ترتبط بتقنية الحفر طريقة الكشط والحز المستعملة في الخزف و الفخار والمعادن، وإلى جانب هذه التقنيات هناك تقنيات أخرى مستعملة في زخرفة الخشب، كالتخريم والتجميع والتعشيق والتطعيم أو الترصيص، غير أن هذه التقنيات تتطلب وسائل عمل مختلفة خشبية أو معدنية كالمطارق والأزاميل والفراجير والآلات الحديدية المدببة والحادة وما إلى ذلك .

أ.1 أسلـــوب الزخرفـــة باستعمال تقنيـــة الحفـــر

اعتمد الفنان التجاني في زخرفة مباني الزوايا التجانية بشكل كبير على مادة الجص، لما له من خصائص اللدانة والطواعية وسرعة الجفاف، والحفر على الجص ليس بالأمر السهل كما هو الحال في فن النحت، فإذا كان هذا الأخير يتطلب القوة العضلية والصبر والثقافة المعرفية الواسعة، فإن فن الحفر يتطلب إضافة إلى ما سبق، الكثير من قوة الملاحظة والتأمل والدقة والحكمة والإلمام بقواعد الرياضيات والهندسة بصفة خاصة والإلمام أيضا بالزخرفة وفنيات الحفر على الجص، ومعرفة خصائص هذه المادة من حيث الاستعمال والتشكيل، وتأثير الحرارة والبرودة عليها، لأن ــ كما هو معروف ــ الحرارة المرتفعة تعيق استعمالها وتفقدها مرونتها، التي بواسطتها يسهل التشكيل ويتيسر الحفر، مهما كانت مقدرة الفنان قوية وإمكانياته الفنية والتقنية كبيرة ذلك أن سرعة جفاف الجص تفوق سرعة التنفيذ لديه، وهو ما يتطلب منه إضافة مواد أخرى أحيانًا كالغراء أو الملح[2] وغيرها، وبالتالي أنّ من يتعامل مع هذا الفن يفترض أن يكون أخصائيًا فيه، فهو الوحيد الذي يملك القدرة على تنسيق الأشكال الهندسية الدائرية والمستقيمة والأشكال ذات الزوايا المنفرجة والحادة، والأشكال التي تجمع

---

1 . عبد العزيز لعرج، جماليـــة الفـــن الإسلامـــي..... مرجع سابق ص109

2 . Marçais (g), op.cit, p586

هذه أو تلك أو غيرها، وهناك عدة طرق من الحفر استعملها الفنان التجاني لإنشاء زخارفه على هذه المادة من بينها:

الحفـــر البـــارز: ويعمد فيه الفنان إلى تحديد الزخارف بواسطة قلم أو سن مدبب، ثم يحفر الأرضيات المحيطة بالموضوع الزخرفي، فتظهر هذه العناصر بارزة على أرضية غائرة **(اللوحة رقم 45)** .

أما **الحفـــر الغائـــر:** فهو عكس الحفر البارز، وفيه تكون الزخارف المحفورة إلى الداخل مع ترك الأرضيات كما هي بدون حفر أو نقش، ويرتبط بهذا الحفر الحفر المائل، الذي تتجه فيه وسيلة العمل أو الآلة بطريقة مائلة حول العنصر الزخرفي، وهي طريقة أسهل وأسرع في التنفيذ، مما جعل الفنان يُكثر من استعمالها على جميع أنواع المواد الصلبة، كما أنها تساعد على اكتساب العناصر الزخرفية الإحساس بالمنظور، بفضل انعكاس الضوء عليها، بحيث يبدو سطح العنصر مضيء وخطوطه التحديدية المحفورة حفرا غائرا أو مائلا مضللة معتمة، وكلما كان الحفر عميقا كلما بدت العناصر أكثر بروزا، لذلك نجد أن المصريين القدماء استخدموها بكثرة في المعابد والمقابر القليلة الضوء لتساعد الظلال على وضوحها ولتعمر طويلا .

ولتنفيذ الزخارف في اللوحات الجصية على الجدران يلجأ الفنان إلى تحضير صفيحة من الورق السميك أو المعدن الخفيف، ويرسم عليها نموذج معين من الزخارف توضع هذه الصفيحة على الجدران ثم يمرر عليها كيس ذو مسامات به مسحوق أسود، فالمساحات ذات اللون الأسود هي التي تمثل الزخارف، فيتم حفرها بواسطة أزاميل مختلفة الأحجام، وذلك حسب نوعية العناصر الزخرفية .

والملاحظ أنه يمكن إجراء تعديلات على هذه الزخارف وصيانتها ولو بعد شهور من انتهاء العمل، إذ يكفي تبليلها بالماء لكي تصبح لينة وبالتالي قابلة للتشكيل.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن هذه التقنيات كانت سائدة منذ العصور الأولى في الفن الإسلامي ومعروفة في طرز سامراء الثلاثة*، خاصة الطرازين الأول والثاني، أما الطراز الثالث فقد تميز بخاصية جديدة في تنفيذ العناصر الزخرفية، مما أمكن اعتبارها طريقة إسلامية خالصة[1]، وتقوم على تقنية القالبية أو القولبة كما شهدت ازدهارا كبيرا خلال القرنين السابع والثامن، وشملت جميع المنشآت في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، بحيث لا يخلو أي مسجد أو قصر من هذه الزخارف الجصية .

أما طريقة الحفر على الخشب والمعادن فهي نفس الطريقة المستعملة في تشكيل الزخارف على الجص، مع الاختلاف في الوسائل ومراحل الإنجاز، لاختلاف طبيعة المواد وخصائصها، فقد استعملت تقنية الحفر البارز في زاوية قمار على مصراعي الخزانة الجدارية، حيث نفذت الزخرفة فيها على مستويين، أرضية ذات عناصر نباتية تمثل أوراق السرخس، والمستوى الثاني يجسده الإطار العام الذي يأخذ شكل ضفيرة تتخلله أزهار صغيرة على شكل نجوم (**اللوحة رقم39 ت،ج**) ، كما استُعمل أسلوب الحفر المائل في تشكيل بعض العناصر الزخرفية الهندسية على منبر مسجد الحاج علي بزاوية تيماسين، ونشير إلى أنه يمكن إيجاد أكثر من أسلوب واحد في الزخرفة على المادة الواحدة وأحسن نموذج المنبر المذكور .

ب. تقنيـــة القولبـــة أو القالبيـــة:

وتتم هده العملية بحفر الزخارف على قوالب خشبية أو جصية أو طينية أو أي مادة أخرى مناسبة، حسب مقاسات وحجم أماكن الاستخدام، ثم تطلى بمادة دهنية وهذا لمنع

---

*. طـــرز سامراء الثلاث تعتـــبر ثروة فنيـــة في زخرفة الجص في الفـــن الإسلامي، إذ أن أهميتها ليست في أنها تطورت في سامراء فقط بل تطورت خارجها أيضا، فانتشرت في العالم الإسلامي واحتفظت بمميزاتها الإسلامية فترات طويلة أنظر فريد شافعي، زخـــارف وطـــرز سامـــراء، مج11، ج2، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (د ت) ص12

1 . المنظمـــة العربيـــة للتربيـــة و الثقافـــة و العلـــوم، مرجع سابق، ص273

التصاق الزخارف بالقالب، ثم تعبئ بالجص ويضغط عليه لتتخذ العناصر الزخرفية في ذلك الجص، ثم يفصل القالب عن الزخارف المشكلة قبل جفافها، ثم يشرع الفنان في معالجته للعناصر من قطع وحفر أو تجديد أو تخريم باستعمال آلة حديدية حادة، أو مقص وفي النهاية يقوم الفنان بلصق وتثبيت هذه الزخارف في أماكنها باستعمال المسامير والخيوط[1]، وهذه الطريقة تتميز بالسرعة في استخراج نسخ متكررة من وحدة زخرفية تعطي عند جمعها مساحات كبيرة في وقت قصير ونفقة قليلة، ويعرقل هذه العملية:

ــ وجود أرضيات غائرة عميقة بين العناصر الزخرفية

ــ وجود زخارف دقيقة تصعب من عملية تخليص الزخارف من القالب، إذ يؤدي ذلك إلى إتلاف الزخارف الدقيقة وحوافها، خاصة إذا كانت ذات زوايا حادة ومنها جاءت فكرة شطف الحواف على القالب، وإلغاء الأرضيات العميقة .

والملاحظ في الزوايا التجانية، أن الفنان التجاني عمد إلى استعمال أعداد كثيرة من القوالب السلبية ذات الإخراج الفني الواحد لأن هذه القوالب كانت في أغلبها مصنوعة من الجص، مما يعرضها للتلف بسبب تكرار الصب فيها، خاصة وأن التوسع الكبير الذي عرفته الزوايا التجانية بالمنطقة، يتطلب نُسخ متعددة من الوحدة الزخرفية الواحدة وذلك للاقتصاد في الوقت والنفقة، كما استخدم الفنان التجاني ولا يزال إلى يومنا هذا تقنية أخرى باستعمال القالب دائمًا، وذلك بوضع طبقة من الجص اللين على المساحة المراد زخرفتها، ثم يقوم بالضغط عليها بواسطة القالب الذي عادة ما يكون من الخشب أو من المعدن، وهو ما يزال في حالته اللينة لمدة زمنية معينة ثم ينزع القالب ويقوم بمعالجة الزخارف معالجة دقيقة تتخذ معه مظهرًا جميلا أملس (**الصورة رقم 41**).

ت. تقنيـــة التجميـــع والتعشيـــق:

يقوم أسلوب التجميع أو التعشيق على جميع الحشوات الخشبية مع بعضها البعض بواسطة ضلوع خشبية (قنانات) أو ما يسمى بالذكر والأنثى، ويطلق عليها بالمصطلح الفني "ضرب

---

1 . عبد العزيز لعرج، جماليـــة الفـــن الإسلامـــي..... ، مرجع سابق، ص110

خيط"* ويكون ذلك بأحجام وأشكال مختلفة، كما تسمى هذه التقنية بتقنية اللسان والنقرة، لأنها تقوم عن طريق إدخال لسان أحد القطع في نقرة الأخرى، سواء كان ضلعًا أو شريطًا أو إطارًا، وعملية الإدخال هذه هي التي تدعى بالتعشيق، وهي ابتكار إسلامي محض جاء استجابة لطبيعة الخشب وخاصيته من حيث التمدد والانكماش والانتفاخ، بتأثير من الحرارة والرطوبة، وهي العوامل الطبيعية التي تميز المنطقة كما جاءت تلك الطريقة نتيجة الافتقار للأنواع الجيدة من الخشب وتلاؤمها مع الاستغلال الأقصى لما وجد منها[1].

ويشير بن خلدون إلى هذه التقنية في صناعة الخشب وتزيينه بقوله ‹‹ **...تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخرط يحكم برييها وتشكيلها، ثم تؤلف على نسب مقدرة وتحكم بالدساتر، فتبدو لمرأى العين ملتحمة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب، يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجيء آنق ما يكون...**››[2].

وقد عُرف أسلوب التعشيق الدقيق ذو القنانات والحشوات الصغيرة منذ أواخر العصر الفاطمي، وخير مثال لهذا التعشيق وجد في محراب السيدة رقية، ومحراب السيدة نفيسة بالقاهرة، فكانت الحشوات المربعة أو المستطيلة أو المثلثة أو المسدسة تعشق في قنوات، ثم تطورت وأصبحت تفصل بينها ضلوع خشبية أطلق عليها كما سبق وذكرنا قنانات[3].

وفي بلاد المغرب الإسلامي استخدمت على نطاق واسع في معظم المباني المرينية الدينية والمدنية، وخير مثال على ذلك الزخارف الخشبية بسقف جامع سيدي الحلوي بتلمسان وكذا المدرسة البوعنانية بفاس[4].

---

*. هذا المصطلح فني وثائقي استعمل في أشغال الخشب والرخام والمعادن فقد كانت الزخارف والتقاسيم الهندسية المختلفة الأشكال تعمل بواسطة الخيط من المراكز المختلفة وقد ورد في الكثير من الوثائق التي ترجع إلى العصر الطولوني أنظر، إبراهيم عبد اللطيف، الوثائق في خدمة الآثار، المؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية، بغداد،1957م.

1 . مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس... مرجع سابق، ص154

2 . عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط3، مرجع سابق، ص731

3 . المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، مرجع سابق، ص243

4 . عبد العزيز لعرج، جمالية الفن الإسلامي.....مرجع سابق، ص113

أما الزوايا التجانية بمنطقة الجنوب الجزائري ورغم فقر المنطقة في إنتاج الأنواع الجيدة من الأخشاب، مما كان له أثره في ضرورة استراد هذه الأنواع بما يمكن أن تفي بالغرض المطلوب، فنجد مثلاً بعض الحشوات الخشبية التي عمد فيها الفنان التجاني إلى عمل شبابيك، خاصة بالنوافذ والفتحات التي كان لها دور معماري وفني في آن واحد، من حيث أنها تقوم بدور العازل الضوئي داخل أماكن العبادة كالمساجد والأضرحة في إطار فني جميل، وإن كان قد مس العديد منها أجزاء، أو وصلات اندثرت أو تشوهت وذلك لأسباب طبيعية وأكثرها بشرية، ككثرة تغيير أماكنها باعتبارها من التحف المنقولة، أو لحب امتلاك القطعة في حد ذاتها .

ث . تقنيـــة الطـــلاء بالألـــوان:

عمد الفنان التجاني إلى تلوين الزخارف الجصية بطلي أرضياتها أو عناصرها، كما في زخارف القبة الهرمية بزاوية قمار، وزخارف الجص بقبة الضريح بزاوية تيماسين، وفي تزيين أعلاها على شكل أشرطة مختلفة الألوان تنطلق من طبق نجمي، كما استخدمت في زخرفة قبة الغرفة الرئيسية في الطابق العلوي في نفس الزاوية، فنجد ألوان متعددة منها الأحمر بدرجاته والأخضر والبني والأصفر والأزرق، مما أكسب الزخارف رونقا وجمالا ولكن يبدو أن هذه التقنية من الزخرفة انفردت بها الزوايا التجانية في المنطقة الصحراوية دون سواها من مباني القصور، والواقع أن الألوان كطريقة فنية وتقنية ليست منحصرة على الجص بل عمت معظم مواد الزخرفة، وهي ظاهرة قديمة حيث لجأ فيها الفنان المسلم إلى طلاء أرضيات الزخارف وخطوطها التحديدية، على مواد متعددة كالرخام والخشب والمعادن، ويذهب الدكتور عبد العزيز لعرج إلى أن هذه التقنية تكاد تنفرد بها مباني القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي، حيث وجدت في تاجي محراب جامع سيدي أبي مدين وسيدي الحلوي، وكذا زخارف الجص بواجهة محراب الجامع والقصر بالعباد[1].

---

1 . عبد العزيز لعرج، جماليـــة الفـــن الإسلامـــي..... مرجع سابق، ص111

وقد أثبتت الدراسة الميدانية على أن الزخارف بالألوان كانت تنفذ مباشرة بالفرشاة على المساحات المراد زخرفتها بدقة متناهية، وهذا يدل على وجود فنانين متخصصين كانوا يقومون بهذا العمل، وكذلك تعددت أنواع الطلاء التي استخدمت في تلوين الزخارف من حيث طريقة استخراجها واستخدامها، وان طغى عليها في أغلب المساحات طلاءات الألوان المائية التي كانت تحضر محليا بطريقة تقليدية، تُمزج فيها المساحيق بالماء بدرجات متفاوتة ومضبوطة للحصول على الألوان المطلوبة، أو تلك التي أُعتمد فيها على الألوان الطبيعية التي كانت تُجلب من تونس أو المغرب، ويذكر بعض الشيوخ في المنطقة أن هذه الألوان المستخرجة كانت تُخلط بمادة تعرف محليا "باللاقمي" أو عصير النخيل الغني بالسكر، والذي يُجمع من لب النخلة ويساعد على تثبيت الألوان ويحافظ على بريقها ولمعانها، وقد استعمل هذا الأسلوب خاصة على زخارف القبة المركزية بمسجد الشيخ أحمد عمار والقبة الهرمية بزاوية قمار، وقبة ضريح الحاج علي بزاوية تيماسين.

والحديث عن مواد الزخرفة وتقنياتها بصفة عامة، يقودنا حتمًا إلى الحديث عن المواضيع الزخرفية المستعملة في الزوايا التجانية، ومدى تماشيها مع الخبرات المحلية المتاحة والظروف الطبيعية السائدة، لذلك سنحاول في الفصل الثاني من هذا الباب التطرق للمواضيع الزخرفية التصويرية ومختلف الأشكال الفنية المستعملة.

الفصل الثاني

المواضيع الزخرفية التصويرية والأشكال الفنية

1. دراسة تحليلية لمختلف الأشكال الفنية

أ. الزخارف الهندسية.

ب. الزخارف النباتية.

ت. الزخارف الكتابية.

ث. الزخارف الرمزية.

ج. الزخارف المعمارية والآنية.

لعل من أبرز مميزات الفن الإسلامي أنه فن زخرفـــي، إذ استفاد الفنان المسلم من كل ما وقع عليه نظره من عناصر سواء كانت هندسية أو نباتية أو عمائرية لتحقيق أهدافه الجمالية، فهو لم يكتف بهذا فحسب بل استغل الكتابة العربية أيضا بالنسق نفسه، بل وركب هذه العناصر وزاوج بينها في كثير من الموضوعات[1]، وهو بذلك يريد أن يحشـــد في عمله الفني، كل ما لديه من عناصر ووحدات ليخرج هذا العمل قمةً في الجمال فكانت العناصر الزخرفية هي أساس هذا التكوين الزخرفي.

دراســـة تحليلية لمختلف الأشكال الفنيـــة

1. <u>العناصـــر الزخرفيـــة</u>:

استعملت العناصر الزخرفية في كلتا الزاويتين على نطاق واسع، وبالخصوص في العمائر الدينية كالمساجد والأضرحة وكذا أواوين التدريس والتي يمكن حصرها فيما يلي:

أ . الزخـــارف الهندسيـــة:

لقد استعملت أشكالاً مختلفة من الزخارف الهندسية منذ فترات سبقت ظهور الإسلام والتي تميزت بنوع من البساطة التامة، تمثلت في رسم الخطوط المختلفة المستقيمة والمنكسرة والمنحنية والمظفرة، وأشكال مساحية كالدائرة والمثلث والمستطيل والمربع ولكن بمجرد ظهور الإسلام أصبح للزخرفة الهندسية شأن عظيم، تطورت بسبب اهتمام الفنان المسلم لها، حيث ابتكر طرز وتشكيلات هندسية رائعة متشابكة ومعقدة، تعبر عن مدى ميوله نحو الأحسن وفق قواعد الدين الإسلامي[2]، فوجد بذلك حريته في الكشف عن أسرار الزخرفة الهندسية الإسلامية باعثا فيها روح الجمال الفني الذي لم تصل إليه في بقية الفنـــون الإسلامية الأخرى[3].

---

1 . أبو صالح الألفي، مرجع سابق، ص112

2. Arseven (g‹e), les arts décoratifs Turks milli, egitim Basime vi Istanbul, (s.d), p 175

3. عبد العزيز مرزوق، الفـــن الإسلامـــي تاريخـــه، وخصائصـــه، بغداد، 1965، ص185

وما تجدر الإشارة إليه أن العناصر الهندسية من خطوط ودوائر ومربعات ومعينات وأطباق نجمية وغيرها، لا تكون في غالب الأحيان موضوعًا زخرفيًا مستقلاً بذاته، بل كانت تمثل جزءً من الإطار العام للزخارف الرئيسية، لأنها تشترك في تكوين التصميم الزخرفي المتكامل، ولم يكن الفنان المحلي في الزوايا التجانية بمنأى عن ذلك، حيث رسم العديد من الأشكال الهندسية المختلفة ليضفي مساحة جمالية، وتتمثل هذه الزخارف بصفة عامة في العناصر الهندسية الخطية والمساحية والأشكال المضلعة والأطباق النجمية.

أ.1 الخطـــــوط:

منها الخطوط المستقيمة والمنحنية والمنكسرة والمتقاطعة والمتوازية والمظفرة، نجدها إما منفردة أو مزدوجة أو ثلاثية، ممتدة على هيئة السبحة أو الضفيرة، أو نجدها تشكل الأطر التي تكون بداخلها تشكيلات زخرفيه متنوعة، استعملت خصوصا في ملئ الفراغات والمساحات المتبقية عن التراكيب الزخرفية الهندسية والنباتية والكتابية، وهذا العنصر لا غنى عنه في تشكيل كل اللوحات الفنية على الجص أو تلك المنفذة بالألوان المائية سواءً في زاوية قمار أو زاوية تيماسين أو بقية الزوايا التجانية الأخرى، خاصة في العمارة الدينية، وكدليل على أهمية العناصر الخطية في رقي وازدهار الزخرفة الهندسية في ظل الإسلام، ما قاله الدكتور لعرج عبد العزيز‹‹...**العناصر الخطوطية ... وحدات زخرفية قائمة بذاتها ولذلك نراها تهجم على أي فراغ أو مساحة مهما كان حجمها وشكلها مفترشة مهادهُ غارسةً منحدراته، مستلقيةً، ممتدةً أو قائمةً، متعرجةً، متقاطعةً، أو متلاقيةً يحتضن بعضها بعضَا، يتقابلُ أو يتدابرُ ولكن من كل هذه الامتدادات التصويرية يبدو الشكل الهندسي و الخطوطي يتراقصُ خفةً ويختالُ زهوًا ويتواثب خفةً ونشاطا أكسبه الفنان رقةً وفخامةً وجمالً ››**[1]

1 . عبد العزيز لعرج، جمالية الفن الإسلامي.....مرجع سابق، ص162

أ.2 المربعـــات والمستطيـــلات:

تعتبر المربعات والمستطيلات من الأشكال الزخرفية الهندسية الكثيرة الاستعمال في زخرفة واجهات الصحون، وفي الأروقة وداخل القباب على الجص الأبيض والمتعدد الألوان، حيث نجد المربعات والمستطيلات المركبة تركيبات متنوعة، نظمت إما بطريقة قائمة على رؤوسها أو على أضلاعها بأسلوب مميز، تتبادل فيها الألوان و الأحجام حسب موقعها من العنصر الزخرفي العام، و نادرًا ما نجدها ذات مساحات فارغة، إذ في أغلب الأحيان يكون بداخلها أشكال هندسية أخرى كالمعينات أو خطين متقاطعين أو متعامدين، بالإضافة إلى العناصر النباتية وخاصة الأزهار، كما أن تقاطع مربعين يكون أساسًا لتكوين الأطباق النجمية المتعددة الرؤوس **(الشكل رقم20)**.

أ.3 المعينـــات:

لقد بلغ شكل المعين أوج ازدهاره في الزخرفة الهندسية على عهد بني زيان وبني مرين، لاعتبارها عنصرًا أساسيًا في تزيين مآذنهم[1]، ولكن هذا لا ينفي استعمال الموحدين للمعينات في مآذنهم على هيئة نماذج مخرمة على الجدران الجصية، إلى جانب أشكال هندسية على هيئة شرائط متصلة[2].

وقد استعملت المعينات بكثرة على مختلف أحجامها سواء على الجص أو بالألوان المائية، طليقة أو مرتبطة مع بعضها البعض، فهي تملئ الأطر المحيطة بمختلف العناصر الزخرفية المستقيمة منها والمقوسة، في رقبة قبة المحراب بمسجد الشيخ أحمد عمار بزاوية قمار كما تملئ الفراغات الموجودة فيما بين العناصر الأخرى، فنجد أشرطة من المعينات الصغيرة المتراصة تتناوب فيما بين البارزة والغائرة مما يسمح للضوء والظل أن يلعبا دورهما في إضفاء نوع من السحر على هذه الزخرفة، والاستعمال الواسع لهذا الشكل في مختلف مرافق

---

1 . عبد الكريم عـــزوق، تطور المآذن في المغرب الأوسط مع بداية دولـــة بني حمـــاد حتى نهاية العصر العثمانـــي، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الإسكندريـــة، مصـــر، 1991م ص183

2 . أرنست كونـــل، الفـــن الإسلامـــي، ترجمة أحمـــد موســـى، بيروت، 1966 ص131

الزوايا التجانية، دفع بالفنان إلى محاولة ابتكار أشكال جديدة، متفننًا في تشكيلها فأوجد مثلا نوعًا من المعينات ذات الحواف المفصصة، كما حاول استعمال العديد من المعينات بأحجام مختلفة لتشكيل شريط زخرفي منسجم، ونجدها خاصة في بطن العقود بمسجد الحاج علي بن عيسى وبعض الكـــوات في زاوية تيماسين **(اللوحة رقم 15)**.

أ.4 الدوائـــر:

استخدم الفنان التجانـــي الدائرة أحادية أو مزدوجة أو ثلاثية الخطوط، سواء بالألوان المائية أو بالنقش على الجبس وفي وضعيات وأحجام وأماكن عديدة ومتفرقة، فنجد:

– دوائر تتضمن عناصر نباتية وخاصة الأزهار، أو أشكال هندسية كالمعينات أو المربعات أو كليهما معا، بالإضافة إلى أنصاف الدوائر وثلاثة أرباع الدائرة .

– دوائر متداخلة فيما بينها بأحجام متفاوتة ومقاسات شبه مضبوطة، يُخيَل للناظر بأنها ارتدادات لدائرة واحدة، وقد تشكل سلسلة من الدوائر، إما على استقامة واحدة أو منكسرة فتعطي لنا بذلك شكلا هندسيًا جديدًا.

– دوائر ذات حواف متعرجة أو مشعة يتوسطها خط دائري آخر أشبه ما تكون بقرص الشمس، وهو الرمز الذي استخدم بكثرة عند الطوارق، وربما يعود ذلك إلى ما تمتاز به شمس الصحراء من حرارة وعلاقتها الوطيدة بالإنسان الصحراوي على وجه الخصوص[1] **(الشكل رقم20)**.

– دوائر من حلقتين واحدة كبيرة وأخرى صغيرة، متداخلة في شكل سلسلة مزدوجة التركيب تظهر على رقبة القبة المركزية بمسجد الحاج علي بتيماسين، كما تُحلّي مرافق القبة الهرمية وكذا حنايا قبة المحراب بمسجد أحمد عمار بزاوية قمار، وفي نفس الزاوية نجد دوائر أخرى كبيرة تغطي باطن العقد، في المدخل الشرقي بحيث جُعلت كل أربعة منها مربوطة بواحدة أصغر يتوسطها معين، ودوائر كبيرة ذات خط مزدوج متقاطعة ثنائيًا وكل نقطة تقاطع تجمعهما دائرة أصغر.

---

1 . Cabus (j), Au Sahara, arts et symboles, suise,1958, p 192

أ.5 الأطبـــاق النجميـــة:

تعتبر الأطباق النجمية روح الزخرفة الهندسية الإسلامية وقلبها النابض، بل هي إحدى أهم الزخارف في الفن الإسلامي ككل، وأكثرها تعقيدًا ومشقةً، خاصة على البلاطات الخزفية و مصاريع الأبواب والأسقف والقباب الخشبية والمسطحات الجدارية النجمية المستوية أو المجوفة[1]، عرفت تطورًا كبيرًا ابتدءًا من القرنين7 و 8 الهجريين/13 و 14 الميلاديين على عهد المرينيين في فاس وتلمسان، كما انتشرت بمصر خلال حكم المماليك فاستخدمت في زخرفة التحف الخشبية والنحاسية، وفي الصفحات الأولى للمصاحف القرآنية[2].

كما استخدم هذا العنصر في الزخرفة بالزوايا التجانية بالجنوب بشكل ملفت للانتباه فبالإضافة إلى ما وجد من أطباق نجمية صغيرة ومتوسطة في معظم الأماكن وجدت إما منفردة أو متصلة بعناصر هندسية أخرى، جنبا إلى جنب مع العناصر الكتابية والنباتية، فإن هناك أطباقًا نجمية مميزة للغاية من حيث حجمها وطريقة صنعها، إما بالألوان المائية أو محفورة على الجص أو الخشب تتدرج في تكوينها من البساطة إلى التعقيد، وتتألف كلها من نجمة تتعدد أضلاعها المحيطة بها وتتنوع على حسب عدد الرؤوس النجمية، وينحصر هذا النوع في عدة مناطق، منها مناطق انتقال القباب أمام المحاريب في الزاويتين، كما نجدها في زاوية تيماسين على باب الضريح **(الشكل رقم21 الصورة 37)** أو على مستوى السقف بالشارع الشرقي، ينطلق من نجمة صغيرة تمتد رؤوسها بعضا على بعض في تداخل مستمر لتشكل فيما بينها تقوسات على شكل فصوص زهرة، هذه الأخيرة تتضمن بدورها أطباقاً نجمية سداسية الرؤوس وأزهار مفصصة، أما الطبق النجمي الذي يزين سقف قبة الضريح فهو بدوره ينطلق من طبق نجمي ثُماني الرؤوس، تمتد منه خطوط مستقيمة لتشكل أشرطة تتضمن بدورها زخارف هندسية ونباتية.

---

1. عبد العزيز لعرج، مرجع سابق، ص162

2 . محمد الطيب عقـــاب، مرع سابـــق، ص182

كما احتفظت الزاوية التجانية بقمار بالعديد من الأطباق النجمية ذات الرؤوس المتعددة حيث نجدها تتعدد من ستة إلى ستة عشر رأس، جزء منها نجدها على الجدران بأجنحة دار الضيافة، نفذت بواسطة الألوان المائية الداكنة، التي يغلب عليها الأزرق والأخضر ويتألف الطبق النجمي فيها من نجمة ثنائية مركزية تشع منها المضلعات المعروفة التي تتخذ أضلاع مستطيلة أو معينة أو متقاطعة، ونجدها كذلك تزين الكّوات في الرواق الجنوبي من مبنى القبة الهرمية (**الشكل رقم22**)، وعلى ذكر هذه الأخيرة نذكر الأطباق النجمية الملونة من داخل القبة الهرمية على أضلاعها الأربعة وفي حزام الرقبة، التي تتميز بكونها تجمع ما بين الشكل الهندسي والنباتي نفذت بواسطة الحفر على الجص حيث لونت فيها الأضلاع بلون أخضر فاتح و داكن .

ومما لاشك فيه أن استعمال الزخارف الجصية الملونة مهما كان شكلها وحجمها وتقنيات صنعها ودقتها ليست وليدة العصر الحديث، ولم تقتصر على مباني الزوايا فحسب ولا على غيرها من دور وقصور المناطق الصحراوية في الجزائر أو في المغرب الأقصى وتونس، بل هو شائع ومألوف في زخارف المباني الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس في العصور الوسطى، فهناك أمثلة عديدة وجيدة منها ما تزال قائمة في المباني الدينية، كجامعي سيدي أبي مدين وأبي الحسن بتلمسان، أو في المباني المدنية كدار المنصورة وبعض المساكن المغربية، خصوصا مساكن الاستراحة الريفية، أو ما هو محفوظ في متحف تلمسان من آثار وقطع تعود للفترة المرينية (669هـ، 869هـ /1269م،1465م)[1]

كما توجد أمثلة أخرى من الأطباق النجمية المخرمة رسمت بأسلوب تقليدي منظم، يغلب عليها المسحة الهندسية الجامدة داخل الأقبية النصف أسطوانية من إيوانات التدريس وقاعات قصر الضيافة بالزاوية(**اللوحة رقم47**)، تتألف زخارفها من أطباق نجمية متعددة المستويات من حيث حجمها، وتقوم على طبق مركزي كبير، تحيط به أطباق أخرى صغيرة متراكبة بداخلها

1 . عبد العزيز لعرج، جماليـــة الفـــن.....مرجع سابق، ص175

أشكال نجمية، حصرت مضلعات الأطباق بخطوط تحديدية سميكة ويتكرر ربع طبق نجمي غير جامد في الأركان الأربعة من الموضوع (**الشكل رقم23**) .

ب. الزخـــارف الكتابيـــة:

تعتبر الزخارف الكتابية من أهم فروع الفنون الإسلامية، لما لقيته من عناية وأهمية كبيرة، أسهم الفنان المسلم في إسباغ روح الابتكار والإبداع عليها، منذ نشأتها الأولى ساعده في ذلك ما يمتاز به الخط العربي من مرونة وطواعية وسهولة ولدانة، من حيث قابليتها للتشكيل الزخرفي[1]، فرؤوس الحروف وسيقانها وخطوطها الرئيسية والأفقية وأقواسها ومداتها كلها ساعدت على تكوين موضوع زخرفي متكامل، استراح له الفنان فاندفع في هذا الاتجاه يبتكر الزخارف الخطية التي خرج بها عن طبيعتها أحيانًا، إذ كان همه الوحيد إرضاء الفن لا العلم، الشيء الذي جعلها أحيانًا غامضة غير مقروءة مقتصرة في وظيفتها على الزخرفة فقط[2].

ولسنا هنا بصدد تتبع نشأة الخط العربي ولا مراحل تطوره وأقسامه وأنواعه، ولكن إعطاء فكرة عن أهمية الزخرفة الكتابية عند المسلمين خاصة عند علماء التصوف، في المساجد والأضرحة والزوايا وغيرها، بحيث ينسبون إلى الحروف العربية بصفة خاصة أسرارًا خفية إذ هي تجلب كما يعتقدون الخير والبركة[3] .

وانعكس هذا الفكر على الكثير مما أخرجه الفنان المسلم من موضوعات فنية على ما شيده من مباني دينية ومدنية، حيث زخرفت هذه وتلك بالعديد من الآيات والشعارات الدينية والجمل المتنوعة والمختلفة من صيغ الدعاء والمدح وغيرها، ولعل الزوايا التجانية تدخل ضمن هذا الإطار، إذ نجد أن معظم وحداتها المعمارية مزخرفة بالعديد من الصيغ الدينية

---

1 . حسن الباشا، الخـــط العربـــي الأصيـــل، مقال في كتاب حلقة بحث الخط العربي المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1966م، ص48

2 . نفس المرجع، ص48

3 . عبد العزيز لعرج، الزليـــج ..... مرجـــع سابق، ص248

والأدعية والآيات القرآنية، وإن نُفذت في مجملها عن طريق الألوان المائية بأسلوب بسيط ينمي عن بساطة مستوى الفنان في الكتابة (**اللوحة رقم48**) ما عدا بعض الكتابات المحيطة برقبة قبة ضريح الحاج علي بن عيسى بتيماسين، وربما يرجع ذلك أيضا إلى سهولة استعمال تقنية الألوان مقارنة مع الجص، ومع ذلك فقد تفنن الفنان في انجازها، بحيث أن بعضها يشّكل لنا أشرطة هندسية متكاملة، وبعضها يأخذ أشكال رمزية كالنجمة والقلب وغيرهما (**الشكل رقم24 الصورة 48**) ومن هذه العبارات نجد:

– أسماء الله الحسنى، ونجدها تقريبًا في جميع الزوايا التجانية انطلاقا من زاوية عين ماضي بالأغواط، وكذا زاويتي تيماسين وقمار، ولكن في أشكال وأحجام وألوان وأماكن مختلفة، فنجدها مثلاً في زاوية تيماسين على شكل شريط في رقبة قبة الضريح كتبت عباراتها بشكل منظم ومدروس باللون الأبيض على أرضية زرقاء، كما نجدها في زاوية قمار داخل دوائر مترابطة أعلى رقبة قبة المحراب بمسجد الشيخ احمد عمار، وفي أماكن متفرقة من الجدران وأطر الأبواب بأواويين التدريس وقاعات قصر الضيافة.

– وجود البسملة كاملة في أماكن متفرقة في زاوية تيماسين كما في زاوية قمار خاصةً داخل المساجد والأضرحة.

– وجود بعض الآيات القرآنية كآية الكرسي، في مسجد الحاج علي بن عيسى بتيماسين وزعت كلماتها في معينات صغيرة ذات أرضية زرقاء داكنة، كتبت بخط النسخ والمعوذتين وسورة الإخلاص بزاوية قمار .

كما نجد في زاوية تيماسين عبارات الصلاة والسلام على النبي الكريم، وأسماء الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وزيادةً على ذلك في زاوية قمار أسماء طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وعبد الرحمان بن عوف .

– ذكر شهادة التوحيد إما كاملة في زاوية تيماسين وإما على قسمين في زاوية قمار، حيث نجد في موضع عبارة لا اله إلا الله وفي موضع آخر عبارة محمد رسول الله، نفذت خطوطها بعفوية تامة، كما نجد بعض الكتابات التذكارية أهمها كتابة بضريح الحاج علي بن عيسى بزاوية تيماسين أعلى رقبة القبة قوامها:

– هذا ضريح القطب الأعظم الشريف الشيخ الحاج علي بن عيسى خليفة الطريقة التجانية توفي عام 1226هـ وبني ضريحه عام 1284هـ .

كما نجد كتابة تأسيسية على صيغة دعاء في مسجد الشيخ أحمد عمار، والتي اكتشفت مؤخرًا ونفذت بأسلوب الحفر الغائر بخط مغربي تخلد اسم النقاش وتاريخ الإنجاز قوامها:

– اللهم اغفر لنا العبد الفقير إلى الله أحمد بن الطاهر بن بالقاسم التجاني نسبًا سنة 1286.

ويتضح إجلال وتقدير التجانيين للزخرفة الخطية من خلال استعمالهم لها حتى في العمائر المدنية، كالغرف والأروقة وبعض الملاحق الخاصة بها نذكر منها عبارة:

– أعـزك الله في الـدارين

– ما شـاء الله آميـن

– الحمـد لله على نعمـه الوافـرة

– بسـم الله والصـلاة على سيـدنا محمـد وعلى آله وصحبـه أجمعيـن

كما تضمنت قباب أحد الغرف بزاوية تيماسين كتابة على شكل توقيع " أودع كتابة شهادة لا اله إلا الله محمد رسول الله كتبه المذنب الأقدم عبده محمد بن لاغه الرقام سنة 1375هـ".

وما يمكن ملاحظته بصفة عامة على طبيعة الكتابات الزخرفية في مباني الزوايا التجانية، خاصةً من حيث المضامين الكتابية هو تشابهها بعض الشيء مع الكتابات والصيغ المتواترة في الزخارف الإسلامية في عمائر المغرب الإسلامي، من أواخر القرن 7هـ/ 13م، حيث تتردد كثيرًا عبارات متنوعة وكلمات جليلة مختلفة، كاسم الجلالة "الله" وأسمائه الحسنى، وأسماء الرسول الأكرم "محمد" صلى الله عليه وسلم، وأسماء الخلفاء الراشدين والصحابة المبشرين بالجنة، وعبارات شهادة التوحيد وكذا عبارات الشكر والحمد لله تعالى.

ت. الزخـــارف النباتيـــة:

تعتبر الزخارف النباتية في الفن الإسلامي من أبرز المظاهر والصور التي توضح ابتعاد الفنان المسلم عن تمثيل الطبيعة ومحاكاتها، حيث لجأ إليها بتوجيه من عقيدته الدينية[1]، مما جعله يبدع في صورها وأشكالها حتى بلغ بها درجة سامية من الفن والجمال[2]، تفوق فيها تفوقًا لا نظير له وتجاوز في إبداعها حدا لم يبلغه من سبقه من الفنانين أو تلاه[3]، ويُعرف هذا الفن من الزخرفة عادةً بالتوريق أو الأرابسك*، ويتألف من رسوم زهور وسيقان وأوراق النباتات، توضع حسب قواعد دقيقة ونمنمة متقنة، على الرغم مما قد يظهر من تعقيد في خطواتها.

ويتمثل الأرابيسك في مجموعة من الأوراق المتموجة أو المنبسطة أو المستديرة أو المسننة تتموج في كل الاتجاهات، لتأخذ أشكالاً متشابكة أو حلزونية متسللة بين فجوات التشكيل الهندسي، أو محيطة بالأشرطة الكتابية.

إن عمل الفنان يصل في هذه الحالة إلى درجة من التحوير والتجريد للعناصر الطبيعية بحيث لا يحتفظ التوريق إلا بصورة بعيدة عن النباتات الطبيعية التي استوحاها الفنان فتبدو أقرب ما تكون إلى الصور الهندسية منها إلى أصلها النباتي، ومن ثم يتألق كل هذا العالم النباتي حسب قواعد التعاقب والإيقاع، بحيث يخلق لدى المشاهد إحساسًا بالحركة الدائمة المتجددة التي يمتاز بها هذا الفن .

ولا شك في أن أشكال الزخارف النباتية كثيرة ومتعددة، إلا أنها تخضع في أغلبها لبنية أولية تأخذ صيغا متعددة، حسب رغبة المزخرف والأسلوب المعتمد في الزخرفة والتزيين،

---

1 . عبد العزيز مـــرزوق، الإســـلام والفنـــون الجميلـــة، دار الكـــــتاب، القاهرة، 1944م، ص12

2 . عبد العزيـــز لعرج، جماليـــة الفـــن الإسلاميـــة.....مرجع سابق، ص 203

3 . نفســـــه

*. زخرفة التو ريق أو الأرابيسك شهدت تطورها الأول بمدينة سامراء في العراق في القرن 3هـــ/9م وواصلت مسيرتها التطويرية موازاة مع توسعها وانتشارها جغرافيا خارج حدود مولدها وذلك في بلاد المشرق والمغرب على السواء أنظر حسن الباشا، الفـــن العربـــي الأصيـــل، مرجع سابق، ص42

وقد يقوم المزخرف في بعض الحالات بانجاز الديكور النباتي انطلاقا من رغبته الشديدة في محاكاة الأشكال الطبيعية، فيتميز عمله بالابتعاد عن القواعد المعتادة والمألوفة وبحرية كبيرة في تجسيد العالم النباتي.

وقد شكلت الزخرفة النباتية أحد العناصر الأساسية في زخرفة بعض المنشآت المعمارية في العديد من الزوايا التجانية بمنطقة الجنوب، رغم انعدامها في مختلف القصور الصحراوية، حيث تقدم لنا زاويتي عين ماضي وقمار مثلاً نماذج مختلفة ومتعددة من الزخارف النباتية، تجمع ما بين الأوراق والسيقان والأزهار والثمار والورود وغيرها بطريقة تنم عن أصالتها وانتماءها للفن الإسلامي، حيث نجد الأزهار المختلفة بكثرة سواءً طليقةً أو بداخل دوائر أحادية أو مزدوجة أو بداخل مستطيل أو مربع، وسواءً نفذت بالألوان المائية أو منقوشة على الجص، رسمت إما بفصوص متصلة مع بعضها البعض ومنفصلة عن مركزها، أو ببتلات متعددة منفصلة فيما بينها ومتصلة بالمركز، يتراوح عددها من خمسة إلى تسعة بتلات، يغلب عليها اللون الأصفر والأزرق والبني الداكن، كما نجد أزهار أخرى مركبة على عدة أشكال وأحجام، أهمها الأزهار التي نفذت بالألوان المائية الداكنة، على مختلف المساحات الجدارية كأطر الأبواب والنوافذ والعقود والقباب خاصة في زاوية قمار(**الشكل رقم25**) .

وهناك نوع آخر من العناصر الزهرية التي شُكلت بطريقة مجردة تميل إلى العناصر الهندسية أكثر منها إلى الزخرفة النباتية، فهي تنتج من تقاطع مجموعة من أنصاف الدوائر المتساوية المقاييس، خاصة على اللوحات الجصية نجد أمثلة منها في حواشي الأطباق النجمية المخرمة التي تزين أقبيـــة أواوين التدريس بزاوية قمار، استعملت كتفاصيل زخرفية تملئ الفراغات بين العناصر الهندسية، كما نجد أمثلة منها تزين الجدران والقباب بزاوية تيماسين، أما القبة الهرمية فقد زينت من الداخل بزهرات كبيرة تغطي معظم مساحتها، نقشت بطريقة فنية دقيقة ورائعة حيث جاءت نهاية بتلاتها مدببة تتخللها زخارف نجميه صغيرة.

أما الأغصان أو الفروع فتعتبر العنصر الأساسي الذي تقوم عليه كل زخرفة نباتية فبوجودها يستطيع الفنان تكوين موضوع زخرفي متكامل، منها تنمو السيقان الصغيرة

والأوراق المتعددة والأزهار المتنوعة، لهذا فان غيابها يعد بمثابة بتر حيوية ورقة وجمال الزخرفة النباتية.

وقد استعمل الفنان التجاني عنصرالأغصان في مختلف الزوايا بنسب متفاوتة وفي إطار محدود أملته الضرورة الزخرفية، نفذت جلها بالألوان المائية الداكنة الذي يغلب عليها اللون الأخضر بأسلوب بسيط وعفوي، تبدو معه السيقان رقيقة حول الأزهار منها واليها بطريقة التماثل والتكرار، تنطلق منها أوراق بسيطة أو مسننة الحواف شبيهة بأوراق نبات السرخس، كما نجد أوراق في وضعيات مختلفة وفي أماكن متفرقة كالتي نراها تنمو من سيقان مزهرية أو تشكل باقة الزهور(**الشكل رقم26،اللوحة رقم43**) فضلاً عن نوع من الأوراق المرسومة وفق الأسلوب الأوروبي الذي نجده عادة على زخارف الزليج في قصور مدينة الجزائر على عهد الأتراك وهي تشبه أوراق الأكانتس*، بأسلوب محور في زاوية قمار تنطلق من قاعدة مركزية وتتفرع من الأغصان والسيقان في أسلوب تناظري جميل (**الشكل رقم27**).

ث. الزخـــارف الرمزيـــة:

تعتبر الزخارف الرمزية من الوسائل المساعدة في الدراسات الأنثروبولوجية*، حيث يمكن من خلالها التعرف على المستوى الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات[1]، بما يشمله من عادات وتقاليد وعقائد وغيرها، فهي تعكس الحياة الاجتماعية والثقافية للإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، مرورًا بالحضارات المتعاقبة والمختلفة والى يومنا هذا، ولا شك أن الفن الإسلامي هو الآخر عرف هذا النوع من الزخرفة ولكن بصيغ مختلفة عما كانت عليه في السابق، فقد غذتها آراء المتصوفين، وما تحمله من معاني لها رموزها ودلالاتها، فهمها

---

* . ورقة الأكانتس أو كما تدعى شوكـــة اليهود لها جذور قديمة ترجع إلى العصـــر البيزنطي حيث كانت ذات مكانة مهمة في الزخرفة الكلاسيكية واحتفظت بهذه المكانة في العهد الإسلامي أين وقع لها بعض التحوير من طرف الفنان المسلم أنظر فريد الشافعي، مرجع سابق، ص260

* . الأنثروبولوجية أو علم الإناسة، هو علم يدرس الأعراق البشرية ويبحث في أصول الشعوب المختلفة وخصائصها وتوزّعها وعلاقاتها بعضها ببعض، ويدرس ثقافاتها دراسةً تحليلية مقارنة.

1 . علي حملاوي، نمـــاذج من قصـــور منطقـــة الأغـــواط، ....مرجع سابق، ص309

المعماري فجسدها في أشكال بسيطة مستوحاة من الطبيعة التي تحيط به[1]، لذا يرى بعض الباحثين أن الصور والرموز المستعملة في الفن الإسلامي ليست لها علاقة أو تأثير من الفنون السابقة، بقدر ما هي ارتباط الفنان بعقيدته وبيئته التي يعيش فيها[2]، فالبيئة الصحراوية الجرداء القاحلة مثلاً غالبا ما تمتاز بصفائها نهارًا وليلاً، ما جعل الفنان يستلهم من شمسها وهلالها وبدرها ونجومها أشكالاً تعبيرية رائعة، أعطاها بعدًا جماليًا مميزًا وشعارًا قد يرمز للقوة والعظمة والصبر، وقد يرمز للخصوبة و الحياة والاستمرارية، وفنان الزوايا التجانية والقصور الصحراوية بصفة عامة، فنان مسلم ينتمي بطبعه إلى هذه البيئة المميزة بثقافتها وبعاداتها وتقاليدها اتخذ هو الآخر تلك العناصر المتمثلة بصفة خاصة بأشكال النجوم والأهلة والقلوب وغيرها.

ث.1 النجـــوم:

تصنف النجوم عادةً في الفن الإسلامي ضمن العناصر الهندسية، إلا أن رسمها أحيانا يرمز إلى أشياء وأفكار معينة، فهي تعد علامة من علامات الاهتداء ليلاً بالنسبة لسكان الصحراء، مصداقًا لقوله تعالى ﴿ **وَبِالنَجْـمِ هُـمْ يَهْتَـدُونْ** ﴾[3] فوجودها بكثرة في مختلف الزوايا التجانية قد يُفسر بأهمية الزوايا ودورها في الهداية إلى طريق الحق وإصلاح المجتمع وفق مقتضيات الشريعة الإسلامية، وقد يفسرها البعض الآخر على أنها ترمز إلى الاتجاهات الخمسة للأرض، فزيادة على المركز الذي هو المكان المقصود، هناك الشمال والجنوب والشرق والغرب[4]، ويفسرها البعض الآخر على أن الرؤوس الخمسة تتناسب مع العدد خمسة الذي يرمز لحماية المكان وصاحبه من الحسد والعين[5] .

---

1 . ثروت عكاشـــة، مـــرجع سابق، ص40

2. علي حملاوي، ما قبلـــه، ص310

3 . قـــــرآن كريـــــم، سورة النحـــــل الآية 16

4. Arseven (C.E) Op Cit p88.

5 . فريـــدة بن ونيـــش، المجوهـــرات والحلـــي في الجزائـــر، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائـــــر، 1976، ص11

أما النجوم السداسية الرؤوس التي تنتج عن تقاطع مثلثين فيما بينهما، رأسيهما في اتجاهين مختلفين اقترنت منذ القدم باسم خاتم سيدنا سليمان، كما تسمى عند اليهود "بنجمة داوود"، وذلك نسبة إلى تـــرس داوود[1] ووجودها في مثل هذه العمائر قد ترمز حسب بعض الباحثين إلى الخلود والحياة المتجددة[2].

وعمومًا وجود عنصر النجمة في الزوايا التجانية بالجنوب جاء متباينا نوعًا ما حيث نجدها بكثرة في زاوية قمار بنوعيها الخماسية والسداسية، وإن غلبت عليها هذه الأخيرة نفذت أغلبها بواسطة الألوان المائية الداكنة أعلى الحراب في جامع الشيخ أحمد عمار، أو على بعض الجدران وسط الزخارف الجصية بأواوين التدريس، حيث شُكّلت النجوم بخطوط كتابية تجسد آيات قرآنية وشعارات دينية يتوسطها لفظ النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتحيط بها أسماء الخلفاء الراشدين والتي تتخللها بعض الأوراق النباتية، أما في زاوية تيماسين فوجودها نادر جدًا، نجد نموذج منها نفذ بطريقة بسيطة على الإطار الذي يعلو مدخل بيت الصلاة بجامع الحاج علي بن عيسى.

ث.2 الأهلـــــة:

ارتبط رمز الهلال بالمسلمين ارتباطًا كبيرًا لكونه كان وما يزال يستعمل في الحساب القمري وفي مواسم الحج وبداية ونهاية شهر رمضان لقوله تعالى ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَة قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَاسِ وَالحَج** ﴾[3].

والهلال من العناصر الزخرفية الرمزية التي كثر استعمالها في الفترة العثمانية، فوُجد على التحف كما وجد على واجهات المباني والقصور بالجزائر، سواءً الدينية أو المدنية أو العسكرية حيث اتخذه العثمانيون شعارًا لهم رسم على ملابسهم ورياتهم الحربية.

---

1 . Arseven (C.E), Op Cit, p58.

2 . Ibid, p58.

3 . قـــرآن كريـــم، ســورة البقـــرة، الآيــة رقم 189

أما في عمائر الزوايا فان استعماله ضيق جدا إذا ما قورن بالعناصر الهندسية والرمزية الأخرى، حيث لم نجده إلا في تزيين إطار العقود المحيطة بمدخل أحد البيوت الملحقة بزاوية تيماسين، أو في بعض التحف المعدنية والخشبية المحفوظة بزاوية قمار.

ث.3 الأشكـــال القلبيـــة:

لم تظهر الزخارف الرمزية على شكل قلب في زخارف زاوية تيماسين، ولكنها وجدت بقوة على جدران مباني زاوية قمار، حيث نجدها تزين باطن العقود التي تربط الدعامات الأربعة المثمنة الحاملة للقبة المركزية بجامع أحمد عمار، حيث رسمت داخل موضوع نباتي بشكل متدابر ومتقابل على طول العقد، كما رسمت بعضها على جدران القبة الهرمية و أواوين التدريس، وهي تختلف من حيث الأحجام والألوان والوضعيات، وربما يرمز شكل القلب عند الفنان التجاني إلى الحياة والاستمرارية، أو يعبر على النشاط والتفاني في العمل، إذ هو يعكس مكانة الزاوية وأهميتها في المجتمع، أو يرجو من ورائها إعطاء الحيوية للزخارف، خاصةً وان الموضوع الزخرفي الذي عادة ما يُرسم ضمنه تغلب عليه العناصر الهندسية والنباتية، لهذا وجد الفنان في رسم أشكال القلوب نوعًا من إزالة تلك المسحة الهندسية الجامدة عن الموضوع.

ج. الزخـــارف المعماريـــة والآنيـــة:

لقد استفاد الفنان المسلم من بيئته الطبيعية و الثقافية فاستغلهما في منتجاته الفنية، على شكل عناصر معمارية اقتبسها من المنشآت السابقة التي عايشها ومارس عمله في ظلها وطبقها في زخارفه، باعتبارها عناصر فنية زخرفية، فنّوع فيها تنويعًا شديدًا أخرج بها أحيانًا عن طبيعتها وأصبغ عليها روحًا زخرفية بحتة اتسمت بالدقة والإحكام والجمال[1].

ورغم أن الفنان التجاني في البيئة الصحراوية بعيدًا نوعًا ما عن أهم المراكز الحضارية التي تعتبر المصدر الذي يستمد ويستلم منها مقوماته الفنية والمعمارية، فانه لم يغفل عن

---

1 . عبد العزيز لعرج، جماليـــة الفـــن الإسلامـــي.....مرجع سابق، ص141

زخرفة مبانيه بعناصر معمارية جمعت ما بين الجانب المعماري الوظيفي الإنشائي والجانب الفني الزخرفي، مما يضفي عليها نوعًا من الحركة والجمال ويبعث في نفسه جوًا من الارتياح والسرور، ومن هذه العناصر يمكن ذكر:

ـ **البوانـــك الزخرفيـــة:** وتشمل الأعمدة والتيجان والعقود الصماء وغير الصماء وتشغل أماكن مختلفة في عدة مباني، حيث نجدها في زاوية تيماسين على قبة الضريح والواجهة الجنوبية للمسجد، بحيث استعملت في زخرفة أضلاع الرقبة المثمنة، وهي عقود صماء تكتنفها أعمدة تعلوها تيجان بسيطة، وهذه العقود بدورها مزخرفة بعناصر نباتية وهندسية، كما فُتحت بداخلها نوافذ صغيرة، وبالواجهة الجنوبية للمسجد نوعٌ آخر من العقود عرف "بالعقد ذو الدّلايات" نجده كذلك بواجهة مسجد الشيخ أحمد التجاني بعين ماضي، فضلاً عن ذلك زينت معظم المداخل بزاوية قمار بمجموعة من الأعمدة الرفيعة الصنع أخذت أشكالاً ومقاسات متعددة، نذكر منها كنماذج الأعمدة الاسطوانية بمدخل ضريح حمة لعروسي بالحوش الشرقي من الزاوية، وكذلك الأعمدة المثمنة بمسجد الشيخ احمد عمار، أما التيجان فتنقسم إلى قسمين: تيجان بسيطة وضخمة ذات أضلاع مقعرة وتيجان رشيقة تحليها عناصر نباتية ورمزية.

وما تجدر الإشارة إليه أن الزخرفة المعمارية في زاوية قمار أخذت بعدًا آخر، حيث عمد الفنان إلى تزيين مختلف أجزاء الجدران والمداخل بعناصر زخرفية معمارية بواسطة الألوان المائية الداكنة، يغلب عليها عناصر الأعمدة والأقواس، وكذا الشرفات حيث رسمت جميع هذه العناصر تقريبًا بنفس التشكيلة اللونية، والمتضمنة اللون الأزرق والأخضر والأصفر المائل إلى البني، وأما الأرضية التي تقوم عليها العناصر فباللون الأبيض الناصع أو الأزرق التركوازي، ويتخلل هذا الديكور مجموعة من المزهريات على شكل أباريق وأكواب مختلفة الأشكال والأحجام، جاءت في إحدى الواجهات مختلفة البدن ذات قاعدة متدرجة وفوهة مستعرضة، ولها مقبض حول عنقها ومثعب ينطلق من بدن الآنية ويتوسطها لفظ الجلالة أو عبارة محمد(ص)، كما نجد نماذج أخرى أقل حجمًا بدون مقابض ولا مثاعب أقرب ما تكون

من الأكواب منها إلى الأباريق، ونلمح عليها مجموعة من الزخارف النباتية المركبة، التي جاءت حسب قاعدة التناظر وبأسلوب ملئ الفراغ (**الشكل رقم26،اللوحة رقم49**).

ومن العناصر الزخرفية المعمارية التي نجدها بكثرة في جميع الزوايا تقريبًا عنصر الكوات أو التجويفات، حيث أعطاها الفنان التجاني اهتمامًا بالغًا فازدانت بها جدران مبانيه بأشكال وأحجام مختلفة ومحلاة من الداخل بزخارف هندسية ونباتية جميلة[1] .

فعلاوة على وظيفتها كمكان يوضع به وسائل الإنارة، فهي من جهة أخرى تعتبر عنصرًا زخرفيًا تقطع الملل الذي يحس به الناظر من جراء رؤيته إلى جدران ممتدة وعلى مسافة طويلة[2].

وإذا كانت اغلب الكوات الموجودة في البيوت ومعظم الملاحق الخاصة بها أو في الأروقة الرابطة ما بين الوحدات المعمارية بسيطة جدا، لا تخرج في غالب الأحيان عن نطاق الشكل المستطيل أو المربع، فإنه في العمائر الدينية وقاعات التدريس والاستقبال في كلتا الزاويتين شهدت إقبالاً وتنوعًا، فواجهة المدخل المؤدي إلى أواوين التدريس بزاوية قمار تقدم لنا نماذج حية عن هذا التنوع والثراء في استعمالها.

وإذا كانت الكوات في زاوية عين ماضي وتيماسين تتميز في كونها تزدان في أغلبها بعناصر عمائرية وهندسية مختلفة، فإنها في زاوية قمار تخلو من أي عنصر باستثناء العقود النصف دائرية المحلاة من الداخل بأشكال هندسية ونباتية تأخذ في مجملها أشكال المعينات المتراصة والمترابطة في باطن العقد، وعند نهاية المستطيلات وأشكال نجميه في وسطها روعي في رسمها التناسق والتناظر .

كما تضم الأضرحة بعض الكوات المختلفة الأشكال والمقاسات يعلوها أقواس شكلت بطريقة دقيقة ومتقنة، وإن كانت في أغلبها مستقاة من العقد المدبب والنصف دائري في زاويتي قمار و تيماسين والعقد المفصص في زاوية عين ماضي .

---

1. عن عنصر الكُـوات في العمارة العثمانيـة أنظر كتاب عبد العزيز مرزوق، الفنـون الزخرفيـة الإسلاميـة في العصـر العثمانـي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987

ومما يلاحظ كذلك من العناصر الزخرفية المعمارية في الزاويتين خاصة زاوية قمار استعمال عنصر الشُرافات بطريقة فنية جمالية أكثر منها إنشائية، إضافة إلى كونها وسيلة من وسائل الحماية فهي تعد عنصرا زخرفيا أضفى على المبنى رونقًا وجمالاً من خلال ملئها للفراغات، وتتويج نهايات اللوحات الفنية ذات المواضيع النباتية والهندسية والكتابية، مما ساهم في إبعادها عن الصرامة والجمود[1] .

وفي آخر هذا الفصل يمكنني القول إن المجتمع التجاني كان يعي جيداً مفهوماً جمالياً نابعًا منه ومن مذهبه★ و يتناسب معه أيما تناسب، مع إتاحة الفرصة للتجديد و الإبداع بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية ويتواصل معها، فالمعماري نفسه هو فرد من المجتمع منغمس فيه و متشبع بمعتقداته و فكره، لذا فإن رؤيته الفنية أو الجمالية كانت تمر عبر ذلك المنظور الذي تكون لديه.

---

1 . عبد العزيز لعرج، جمالية الفن الإسلامي..... مرجع سابق ص55

★. أثار فضولنا أثناء البحث الميداني في منطقة قمار أن كل فرد من أفراد المجتمع التجاني تقريبًا مهما كان سنه ومستواه العلمي يعبر لك عن مكانة الزخرفة الجصية ودورها وتاريخها في المنطقة، حتى أنك تجد أطفالاً صغاراً يحدثونك بإسهاب عن أهم وآخر النماذج الزخرفية المستعملة على الجص وتقنيات تنفيذها، فهي لديهم موهبة وفن قبل أن تكون حرفة توارثوها وحفظوها أبًا عن جد .

خاتمـــــة

خاتمـــة

بعدما تمت فصول هذه الدراسة المتواضعة، يمكنني أن أقوم باستخلاص أهم الملاحظات والنتائج المتوصل إليها والخاصة بالعمران والعمارة التجانية بالجنوب الجزائري، من خلال نموذجي زاوية قمار بوادي سوف وتيماسين بوادي ريغ، والتي سأجملها في النقاط التالية:

ــ لابد من الإشارة في البداية بأن الطريقة التجانية، جاءت متأخرة نوعًا ما مقارنة بالطرق الصوفية الأخرى، ثم أنها ظهرت في وقت كانت فيه العديد من الطرق الصوفية متمركزة في الشمال الجزائري، وكأنها لم تترك لها نصيب من جمهور الطرقية في هذه المنطقة، ضف إلى ذلك أن الزوايا التجانية انتشرت بمنطقة الجنوب بشكل واسع نظرا للعداء الكبير الذي كانت تكنه للحكم المحلي آنذاك، وهو البايات العثمانية بالشرق والغرب ولكن هذا العداء ربما له ما يبرره، فالبايات وعند بداية انتشار الطريقة التجانية ضايقوا صاحبها وكرروا الحملات على عين ماضي حتى أرغموه على الهجرة إلى فاس بالمغرب الأقصى، وربما يتكرر عدم قدرتها على الانتشار في الشمال الجزائري فيما بعد إلى اصطدامها بالأمير عبد القادر خاصة وأنه كان يمثل الطريقة الصوفية القادرية، وهذا العامل التاريخي المهم هو في اعتقادنا من بين العوامل التي كان لها الأثر الفعّال في تدعيم الوحدة والاتصال من خلال التوزيع الجغرافي المحكم، بحيث يمكننا تعيين لها خطا جغرافيا يوضح نقاط تمركزها عبر مناطق هي في الحقيقة زواياها الكبرى الأولى في العالم وهي كالآتي:

زاوية بوسمغون (قرب البيض) وهي مركز الانطلاق كون الشيخ التجاني أعلن منها ميلاد الطريقة، ثم مرورا بزاوية عين ماضي بالأغواط وهي مركز عائلة الشيخ ومسقط رأسه وأساتذته، وبعد ذلك ساهمت في نشر الطريقة إلى أن تصل إلى زاوية تيماسين بورقلة، وهي زاوية ملازمه الشيخ الخليفة الحاج علي بن عيسى، ومنها إلى زاوية قمار بالمنطقة الجنوبية الشرقية لوادي سوف، فهذه هي النواة الأولى التي شكلت مراكز شعاع حضاري خاص بالطريقة الصوفية التجانية .

ــ إن الوحدة التاريخية والجغرافية والبيئية التي تشترك فيها كل الزوايا التجانية بالمنطقة، كانت من الأسباب الرئيسية التي تمخضت عنها وحدة تصميم هيكلها العام وتصميم عناصرها الإنشائية، ومادة البناء وطريقته فهي من حيث تخطيطها العمراني المتراص والمتميز بتلاحم أجزاءها تترجم لنا مكانتها ودورها الريادي في المنطقة، كما تترجم تضامن أفراد مجتمعاتها مما يولد قوة جماعية لا نظير لها، كما تعكس في آن واحد عبقرية بنائيها في هذا المجال ومهاراتهم في التغلب على الطبيعة الصحراوية الحارة صيفاً والباردة شتاءً ، فالمعماري تفاعل مع هذه الطبيعة القاسية بكل ما أوتي من حنكة وبراعة، مستغلا كل ما أمكن استغلاله من طبيعته المحيطة به لسد حاجاته الضرورية في الحياة .

وبعد محاولة التوغل أكثر داخل مكنونات وأسرار الزوايا التجانية بمنطقة الجنوب ودراسة مختلف أنواع العمائر المكونة لها من خلال النموذجين، نستنتج أن المباني الدينية والمدنية على السواء، حافظت على نفس النسق المعماري الصحراوي المعروف منذ القدم، ولم تتطور في أساليب جديدة من حيث الإنشاء مع مر الزمن، رغم أنها عمدت إلى المبالغة في إظهار الجانب الجمالي الزخرفي في أدق التفاصيل، وفي جميع العمائر، ويأتي على رأسها المسجد الجامع، الذي يعد عند المجتمع التجاني على وجه الخصوص إضافة إلى دوره الديني، مقرا للسلطة الروحية ومخزنا للمؤن والتحف الفنية لذا فقد أراد المعماري التجاني أن يجسد هذه المنزلة المرموقة للمسجد في مجتمعه تجسيدًا معماريا وفنيا، انطلاقا من اختيار الموقع الإستراتيجي الذي يتماشى مع دوره ومكانته في وسط الزاوية، إذ يشرف بذلك على كل المنشآت الأخرى كالساحة العامة والضريح، والحديث عن المسجد وأهميته بالنسبة للزاوية، يقودنا حتما إلى الحديث عن أهمية هذه الأخيرة بالنسبة للقصر ككل، لما لها من أهمية ودور في المجتمع دينية كانت أو دنيوية، حيث قامت بدور معتبر في نشر الثقافة والفنون والمبادئ الإسلامية بين أفراد مجتمعاتها، وكانت درعًا واقيا وأساسا صلبًا أمام تفشي كل ما من شأنه الإخلال بوحدة القصر وتماسكه، فكان المسجد بحق القلب النابض للزاوية، كما كانت هذه الأخيرة ولا تزال القلب النابض داخل القصر، وبمثابة المشعل الذي ساعد على النهوض به وإخراجه من طي النسيان.

ــ لوحظ في الزوايا وجود القصبة تحيط بها أسوار خارجية ضخمة، لعل ذلك يعود إلى وجود سلطة مركزية ممثلة في الخليفة الأول للطريقة التجانية، ثم شيخ الزاوية وأعيانها على النحو الذي عُرفت به الحكومات في بلدان الشمال، حيث تخصص مباني محصنة وسط المدينة أو حتى خارجها، تخصص لإيواء الحاكم وأسرته، وقد عمد التجاني إلى تنظيم وتحديد اتجاهها بما يلاءم الموقع والمساحة، إذ لهما أهمية كبرى وذلك لما قد يؤثر فيهما من ظواهر طبيعية تعرفها المنطقة كالحرارة والزوابع الرملية أو معرضة للتخريب، لذلك اعتمد على توجيه معالم الزوايا من خلال المداخل الخارجية والشوارع الرئيسية، باتجاه شمال شرق مثلما هو عليه الحال بزاوية قمار، أو باتجاه جنوب غرب مثلما هو في زاوية تيماسين، للاستفادة قدر الإمكان من أشعة الشمس الأفقية أو تجنب مواجهة الزوابع الرملية والرياح الموسمية .

وبعد الدراسة الوصفية التحليلية لجملة العمائر الدينية والمدنية بزاويتي قمار وتيماسين وتتبع عناصرها المعمارية توصلنا إلى أن المعماري التجاني اعتمد على التنظيم المحكم في توزيع العناصر والكتل المعمارية والفنية داخليا وخارجيا يتجلى ذلك بوضوح في عدة نقاط أساسية نذكر منها:

ــ تنظيم المقاسات وتخطيط الأسس، فلما نعاين صورة مبنى معين في زاوية معينة ونقارنها بما يقابلها في الزاوية الأخرى، تتكون لدينا جملة من المقاسات المتطابقة أو المتقاربة جدًا، كعمق الأسس أو الطول أو العرض أو السمك أو الارتفاع، فهي تخضع لنظام شبه مضبوط ونفس الشيء بالنسبة لتحديد المداخل وتوزيعها بين الرئيسية والثانوية، الخارجية والداخلية، ومابين الأزقة والشوارع والدروب، أو ما بين المساجد والأضرحة والبيوت.

ــ تنظيم منافذ الضوء وتحديد الأشكال والأساليب الخاصة بالعناصر المعمارية وذلك حسب طبيعة المباني ودورها الديني والاجتماعي، فهي تختلف من مباني إلى أخرى فالمباني الدينية كالمساجد والأضرحة وغرف الدفن تكون الإنارة فيها خافتة ومنافذ الضوء موافقة

لقدسية المبنى وإحلال عنصر السكينة، عكس الأماكن العمومية الأخرى أين تكون مصادر الضوء متعددة بتعدد الغرف والأروقة.

ــ الاعتماد على مبدأ التموين بالمواد الغذائية والحاجيات الضرورية لمهام الزوايا ودورها على أكثر من صعيد، بالاعتماد على التخزين في مخازن خاصة، يكون لها دور أكبر في الأعياد والمناسبات والتظاهرات الدينية والفكرية والاجتماعية، ونفس الشيء بالنسبة للتموين بالمياه، إذ أن هناك عدة إمكانيات للتموين داخل الزوايا، منها استخراج المياه من باطن الأرض عبر الآبار وتخزينها في صهاريج ذات مواقع مرتفعة عادة أو من خلال جلب المياه باستعمال قنوات خاصة من الواحات القريبة وتوزيعها على مرافق الزاوية

أما فيما يخص **مـــواد البنـــاء** وأساليب استخدامها فإننا نجد أن المعماري التجاني اعتمد على مواد بناء متوفرة في محيطه الطبيعي كالحجر الجيري المنتشر في كل مكان، واستخدم كميلاط وكمادة لاحمة نوعا من الجبس يدعى "التيمشمت" بعد أن يشوى في أفران كما استخدم ميلاط الجير الذي كان مقتصرا فيها على تكسية الأجزاء المكشوفة من السطح بما في ذلك الأرضية واستخدم خشب النخيل كعوارض لحمل الأسقف المسطحة أو أشرطة سميكة لصنع الأبواب وشكلت العقود والأقباء بواسطة تقويس سيقان جريد النخل.

وفي **المجـــال التقنـــي** بيّنت لنا الدراسة أن البنّاء التجاني في المنطقة الصحراوية كان على دراية واسعة بأساليب وتقنيات البناء المختلفة وبرع في إخضاع هذه الأساليب وتكييفها بما يلاءم طبيعة مواد البناء المتاحة له، وطبيعة المناخ الصحراوي وما يقتضيه من الميكانزمات المتحكمة في إنجاز الهياكل المعمارية المختلفة، إنطلاقا من المبدأ الأول وهو التخطيط أو البرمجة التي يتم تحويلها من فكرة صورية لها علاقة بالحس الشعبي والمذهبي وأيضا التاريخي المعرفي التجريبي إلى واقع مادي ملموس، وهو ما يعرف بالكتلة أو حجم المبنى وموقعه واستغلال الفضاء، وذلك كله يخضع لمواد البناء التي توضع تحت تصرف المعماري، وهي بدورها خاضعة لقوانين الطبيعة التي تؤثر فيها مباشرة أثناء التحويل مثل الجاذبية، التفاعل، الرطوبة، الضغط الداخلي والخارجي، ومبدأ توزيع القوى، ومعرفة

المعماري لكل هذه المحاور تؤدي به حتما إلى معرفة جيدة لسلوك الهيكل أو سلوكيات الهياكل المعمارية بصفة عامة.

أما في **الجانب الفنـــي** فإن التجانيين اعتمدوا في حلية عمائرهم الدينية والمدنية على فكرة النزعة الجمالية المثالية، استنادًا إلى تعاليم الفكر التجاني، الذي يقوم على أساس الإبداع والذوق الفني، حيث آمن التجانيون بجمال الخالق عز وجل، ورأوا بأن الإنسان مخلوق جميل وأن قمة الجمال فيه في الفئة المختارة وهم المؤمنون من أهل الجمال، حيث أبدعوا في التعبير عن معانيه، سواءً الجمال اللفظي والحسي في سبيل تهذيب النفس وسمو الوجدان وربطها مع الخالق العظيم، أو الجمال المادي الملموس المجسد في تلك المنشآت أو تلك الزخارف الفنية التي سعى البناء إلى تجسيدها في أشكال وتراكيب على مختلف العناصر المعمارية.

والملفت للانتباه في هذا الجانب هو اعتماد الفنان التجاني بشكل كبير على استخدام الزخارف النباتية بواسطة الحفر على الجص أو الخشب أو تلك المنفذة بواسطة الألوان المائية بشكلَيها الطبيعي أو المحوّر خاصة عنصري الأزهار والأوراق، حتى أننا نجد بعض الأشكال الهندسية تميل في رسمها إلى الجانب النباتي أكثر منه الجانب الهندسي كما قد تملئ التفاصيل والفراغات مابين الأشكال الهندسية والكتابية بهذه العناصر، مما يدفعنا إلى القول كاستنتاج أن العنصر النباتي عند الفنان التجاني قد يعبر عن اتجاهان أساسيان، لعل أولهما هو الاتجاه النفسي بحيث يمثل مظهرا متميزا من مظاهر الطبيعة يثير حالات من التأمل الصافي والحلم العذب والخيال الواسع والإيحاءات الروحية التي تضفي على الإنسان الصحراوي روح الجدية وصفة الوقار والشعور بالإيمان، أما الاتجاه الثاني فيرتبط بالمنطقة أو بالموقع الجغرافي، لأن قســـاوة الطبيعة الصحراوية لم تمنعه من أن يكون ذو ذوق فني رقيق، دفعت به إلى محاولة الابتكار كنوع من التعويض لهذا العنصر الطبيعي المهم بهذه الزخارف.

وبالزوايا التجانية يصدق القول بأن العمران تعبير مادي لمدى غنى وفقر أهله، وعن مدى ذوقهم الفني، لأننا فعلا نكتشف هذا من خلال الوحدات العمرانية والعناصر المعمارية والفنية

المتوفرة بها، فالمداخل والشوارع والأزقة والساحات العامة والبيوت من اتساعها وكثرة مرافقها تكاد تكون قصرا منها إلى زاوية زد على ذلك الروعة الفنية التي تزخر بها سواء من الداخل أو من الخارج.

إذًا يمكن القول بأن البنّاء التجاني استطاع أن يتعامل مع بيئته، فاستغل موادها وشكلها حسب رغبته، ثم وظفها توظيفًا محكمًا فجاءت متقنة الصنع رائعة الجمال، كما أن غنى وتنوع منشأته المعمارية والفنية تترجم المستوى الثقافي والفني لأهالي الزوايا والمستمدة حتمًا من تعاليم المذهب التجاني، وتدل في الوقت نفسه على ارتباطها الوثيق بالنتاج الحضاري التي أفرزته الحضارة الإسلامية عبر أقطار متعددة من العالم الإسلامي، بحكم العلاقات الودية والرحلات التجارية ونشر مبادئ الطريقة التجانية، ما ولد نوعًا من الاحتكاك الثقافي أدى بدوره إلى تكريس مبدأ الأخذ والعطاء واكتساب مهارات وخبرات جديدة، سواءً معمارية أو فنية، وهذا ما يظهر لنا فيما يخص ظاهرة القباب المتقاطعة بمختلف الأحجام والأنواع، ومدى تأثيرها وتأثرها بمثيلاتها في الجنوب التونسي، وكذا مجموعات الزخارف الفنية المحفورة على الجص، المستمدة من بنائي المغرب الأقصى، لكن هذا لم يمنع من وجود بصمات فنية لبنائي المنطقة، الذين ما فتئوا يبدعون ويتفننون في كل ما وصل إليهم من معارف معمارية جديدة، على شرط أن تتلاءم مع ميولاتهم النفسية والمذهبية وتقاليدهم المعمارية المحلية .

فالعناصر المعمارية المستعملة في مبانيهم الدينية أو المدنية، من عقود ودعامات وأعمدة وفتحات، عن أصالتها وانتماءها إلى الحضارة الإسلامية بشقيها المغربي والمشرقي، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن العمارة المحلية رغم كونها بعيدة نوعا ما عن أهم المراكز الحضارية الإسلامية، فهي تشترك معها في البيئة التي تكاد تكون غالبة على كل أقطار العالم الإسلامي، وهو ما يؤدي حتمًا إلى الوحدة في التفكير والإبداع والإنتاج المادي، مع اختلافات طفيفة من حين لآخر حسب الظروف السياسية و التاريخية، إذن يمكن القول بأن العناصر المعمارية الزخرفية في الزوايا التجانية، تعتبر مرآة عاكسة لمجتمع القصور الصحراوية

المحلية، وهي بدورها مرآة عاكسة لوحدة التقاليد والعادات السائدة في معظم المجتمعات الإسلامية .

وخلاصة القول أن غالبية الزوايا التجانية لا تزال تحتفظ بطابعها الإسلامي الأصيل سواء العمراني أو المعماري رغم تعاقب السنين والأحداث عليها، وتظهر تلك الأصالة جليا كلما أمعنا النظر في مبانيها القائمة إلى الآن، وحاولنا مقارنتها بما نجده في الأبحاث والدراسات المعمقة، التي يقوم بها باحثينا وأساتذتنا الأجلاء في هذا الميدان، أو مقارنة بما ورد في بعض مؤلفات الرحالة المستشرقين، وبغض النظر عن كون هذه الزوايا تدخل في غالبها ضمن التركيبة العمرانية للقصور، بمختلف أنماطها وأشكالها المعمارية، فإننا نجدها تؤسس لهندسة معمارية خاصة، تمخضت عن عبقرية البنائيين التجانيين، لذلك هي تعكس آراءهم وأفكارهم ونظرتهم للعمارة والفن، يؤكد ذلك حرصهم الدائم على المساهمة في الحفاظ على مقوماتها والاهتمام البالغ بمنشآتها، من حيث الترميم والصيانة وكذا عقد الندوات والمؤتمرات الخاصة بالزوايا تاريخها ومكانتها ودورها في المجتمعات، فهي بالدرجة الأولى صفحة من صفحات تاريخنا العريق والذي من الواجب علينا أحياءه والنهوض به للاستفادة منه.

وفي الختام أرجوا أن أكون قد وفقت في الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع وأسهمت بالتعريف ــ ولو بقسط ضئيل ــ بجانب هام من العمارة الإسلامية بالجزائر بالقسم الصحراوي خاصة، من خلال هذه الدراسة التي ارتكزت على العمران والعمارة التجانية في منطقتي وادي ريغ ووادي سوف، من خلال نموذجي تيماسين وقمار، والتي أرجوا أن تكون لبنة من اللبنات التي تضاف إلى صرح الدراسات التاريخية والأثرية والحضارية بالجزائر، فإن أصبت فتلك بغيتي والحمد لله، وإن أخطأت فلله العصمة والكمال، عليه توكلت واليه أنيب.

الملحق

الخرائط

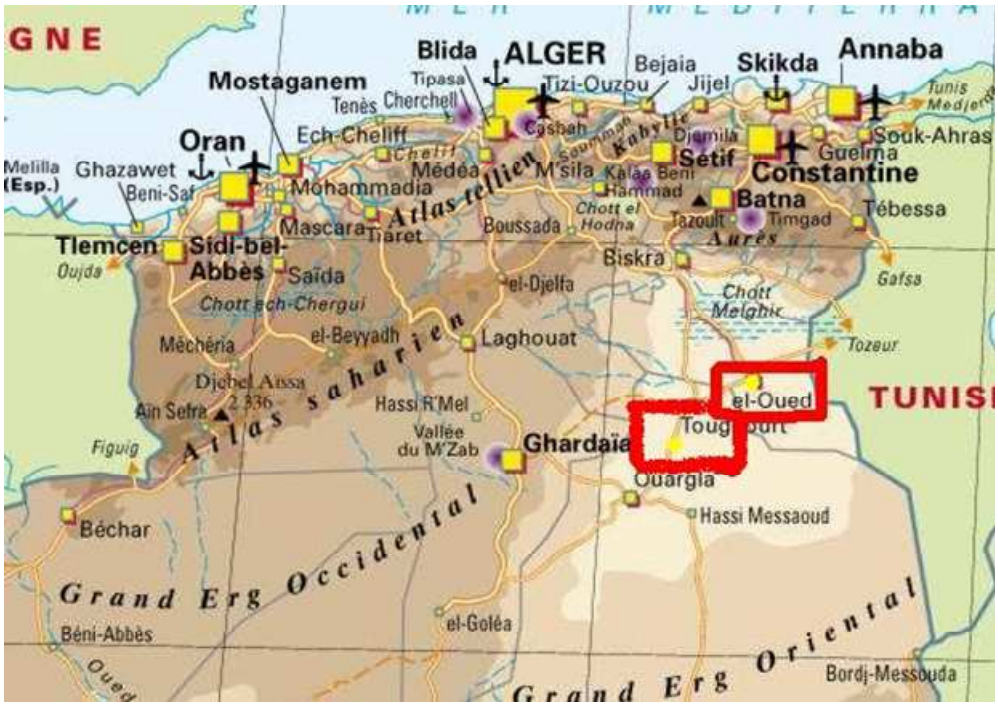

الخريطة رقم 01: موقع قمار وتيما سين على خريطة الجزائر

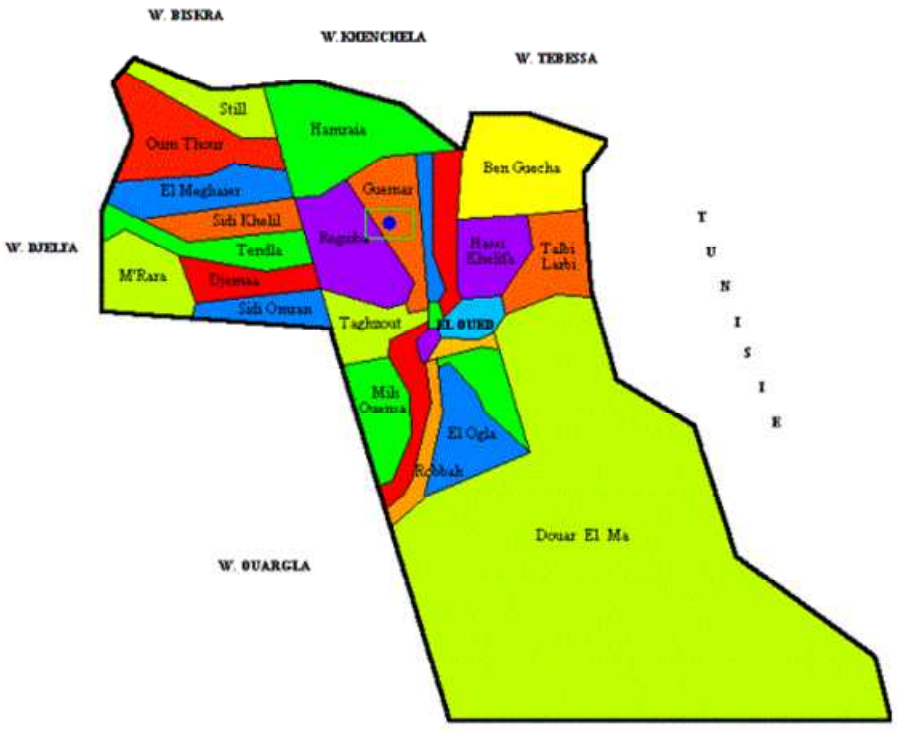

الخريطة رقم 02: موقع زاوية قمار في وادي سوف

الأشكال

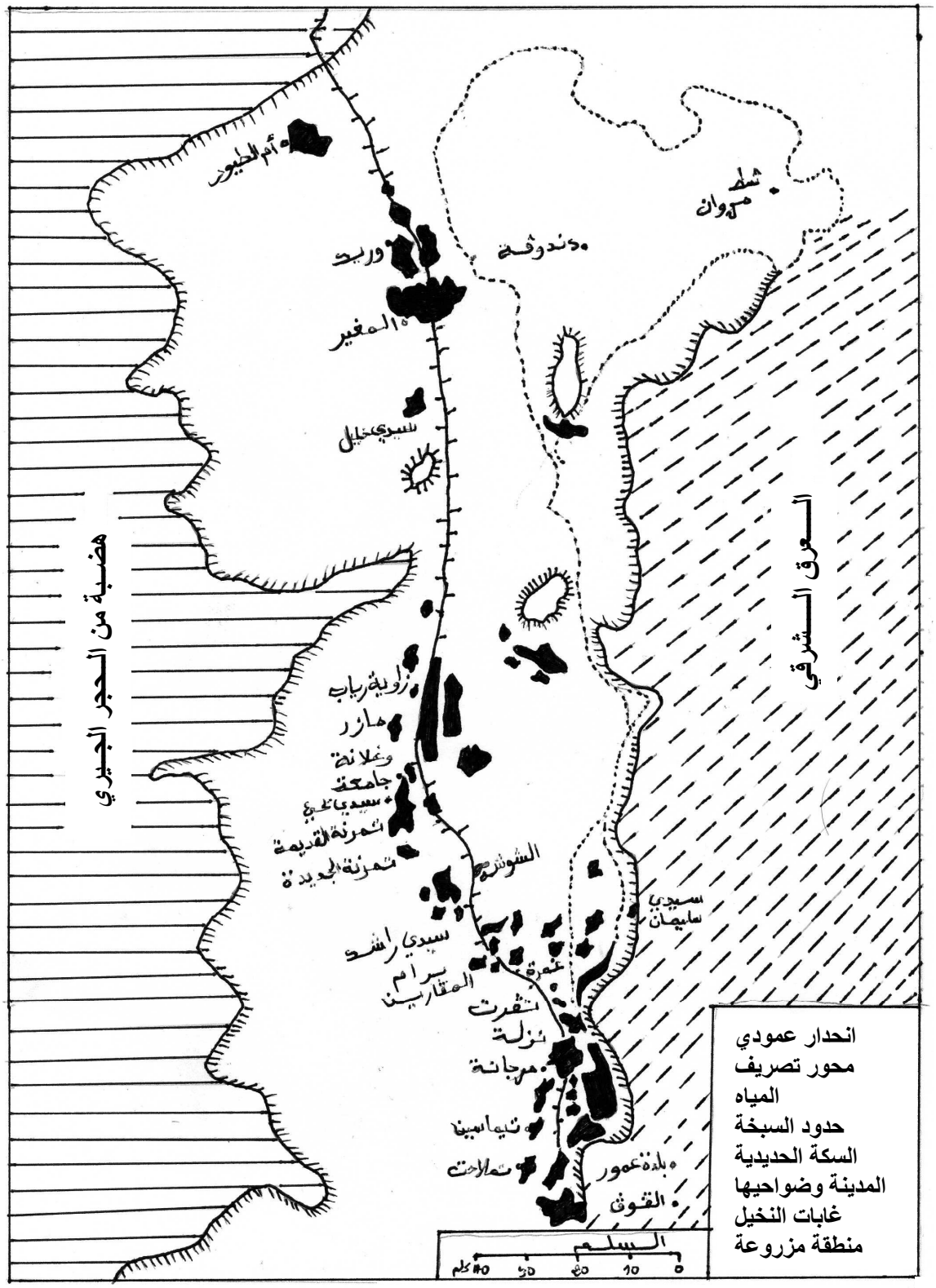

الشكل رقم 01 : واحـات وادي ريـغ (عن نيســون)

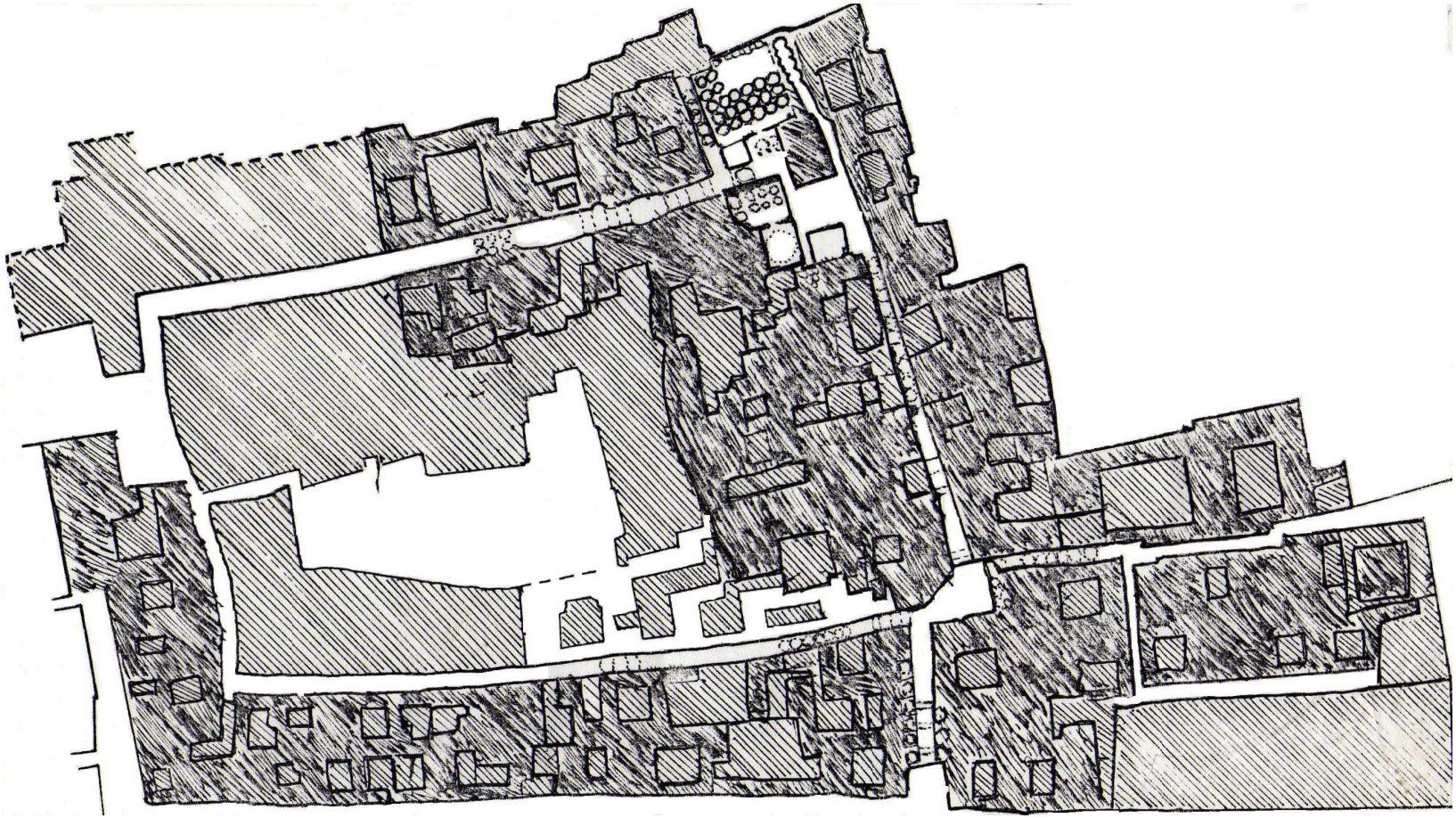

أ ـ الشـــارع الشرقي

ب ـ الشـــارع الجنـوبي

ج ـ الساحـــة العامـــة

د ـ مسجـد الحاج علي

الشكل رقم 03 :مخطط الزاوية التجانية بتيماسين

1- محـــراب

2- بيت الصلاة

3- قـــاعـة

4- الصـــحن

5- غـــرف

6- مـــدخل

7- المئـــذنة

8- بيـت الوضـوء

9- ممـــر

10- رواق

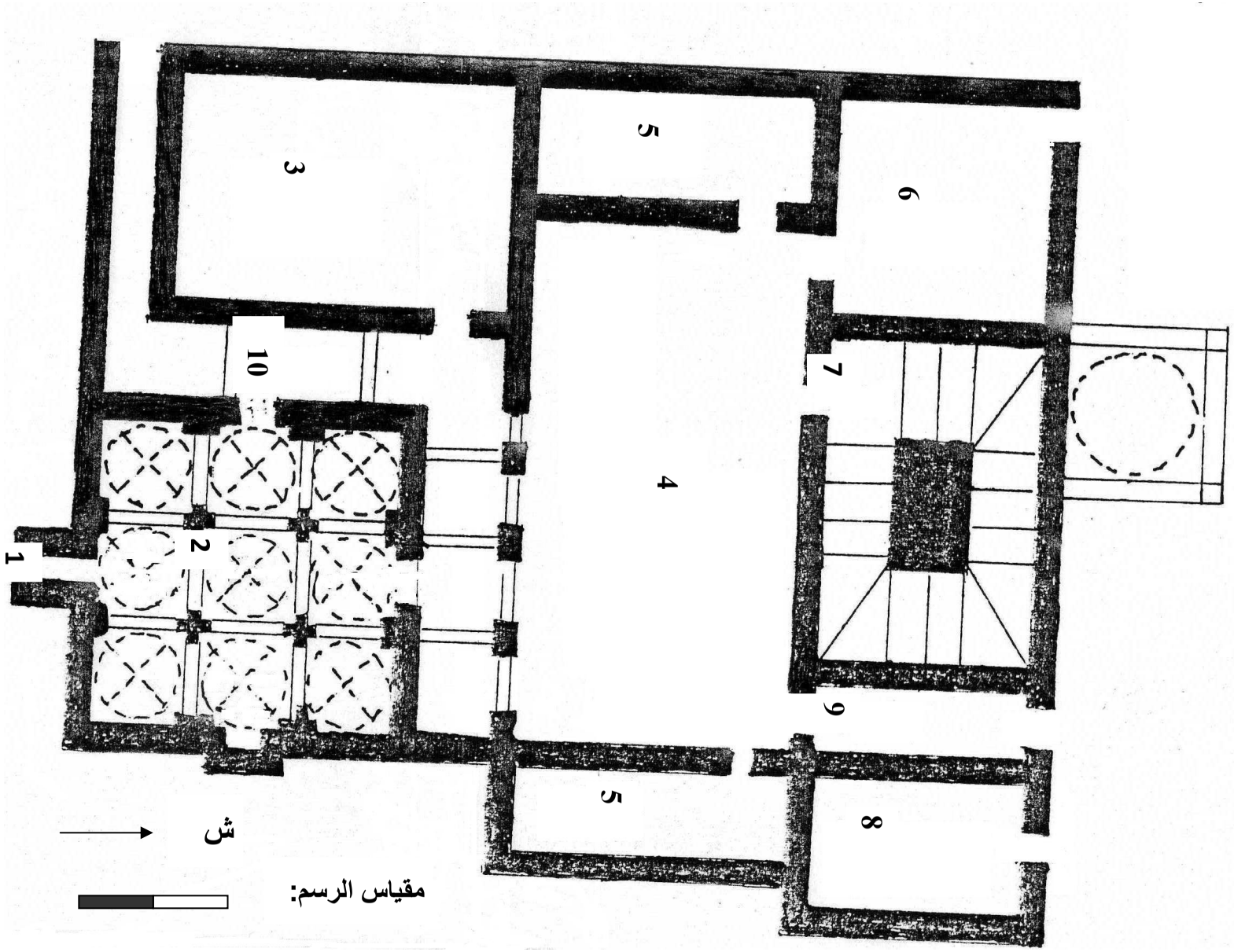

الشكل رقم 08: مخطط مسجد سيدي عبد الله بتيماسين

01 - مدخـــل خارجـي

02 - سقيـــــــفة

03 - الصـــــحن

04 - رواق مفتوح على

05 - رواق مغلق

06 - مخـــــزن

07 - مطـــــبخ

08 - قاعة استـــــقبال

09 - دار الـــــكتب

10 - غـــــــرف

11 - ديوان مفتوح على الصحن

12 - سلـــــم

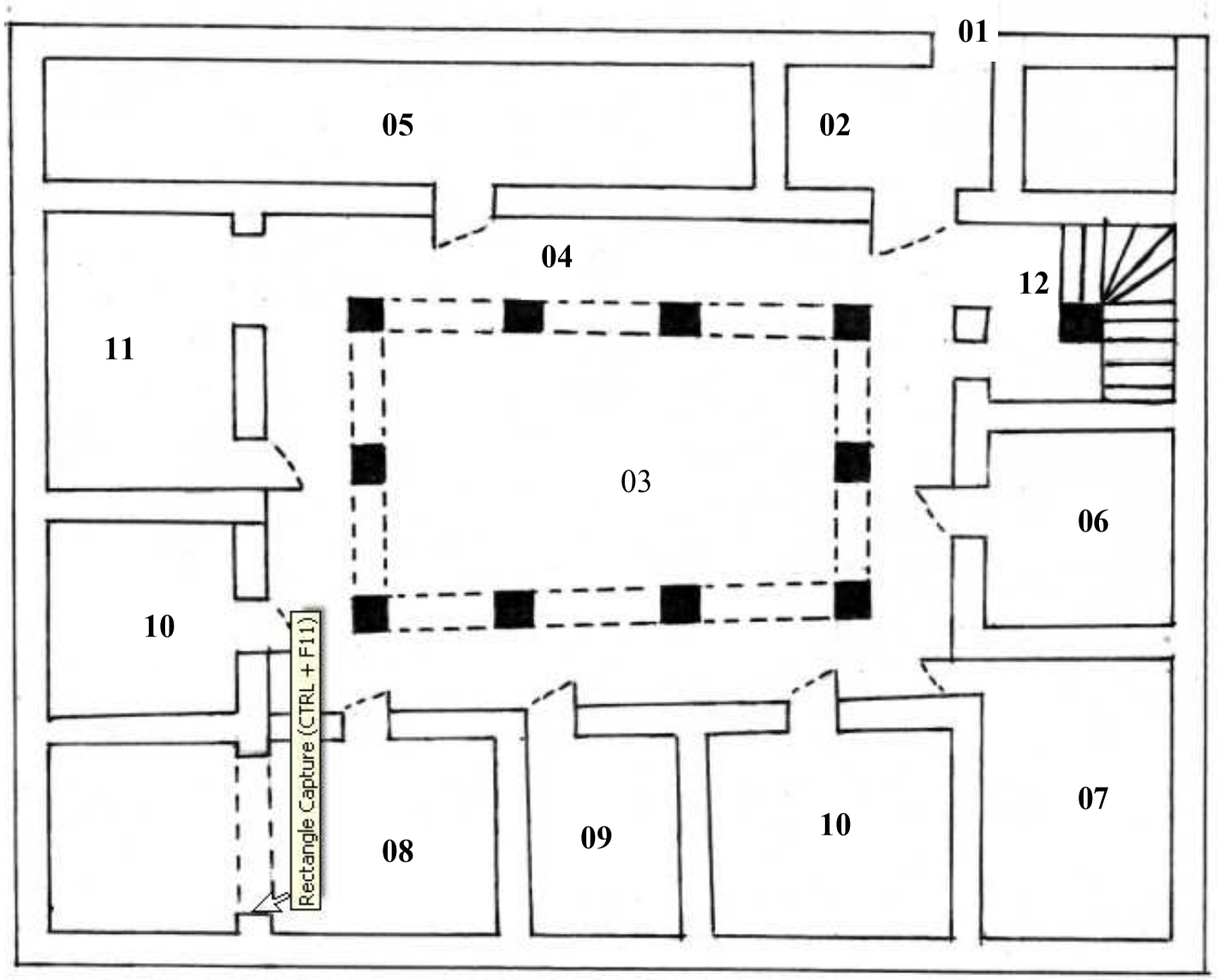

الشكل رقم 10: وحدة سكنية بالجهة الشرقية لزاوية قمار

01 - سقيــفة أوليــة

02 - سقيــفة داخلــية

03 - الصـــــــــحن

04 - المخـــــــــزن

05 - مقصـــــــــورة

06 - غرفـــــــــة نــوم

07 - غرفـــــــــة استقبــال

08 - سقيــفة المدخل الثاني

09 - غـــــــــرف داخليــة

10 - سقيــفة المدخل الثالث

11 - رواق مفتـــوح على الصحن

12 - رواق مفتـــــوح على الغرف

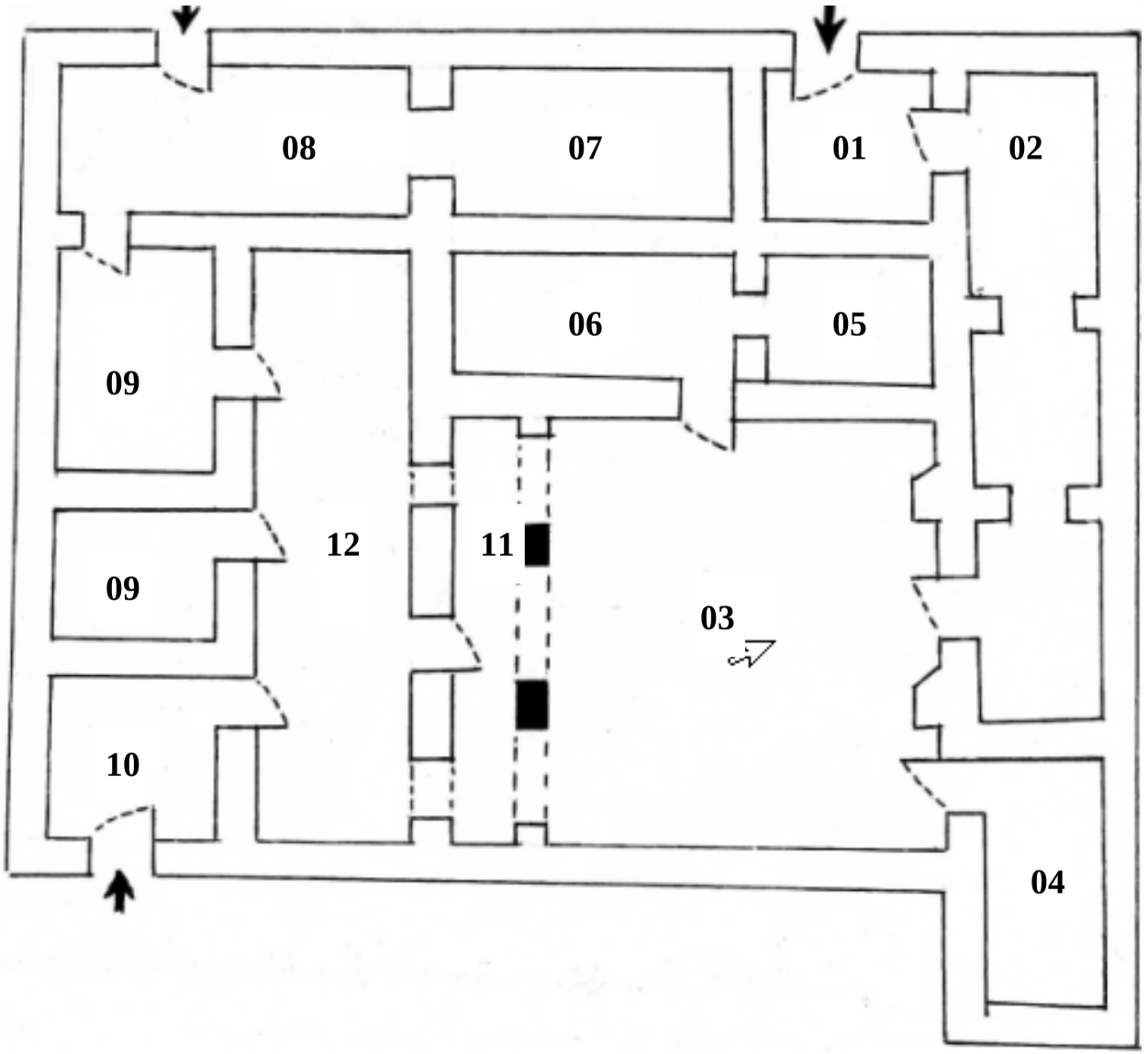

الشكل رقم 11 : وحدة سكنية بالجهة الجنوبية لزاوية تيماسين

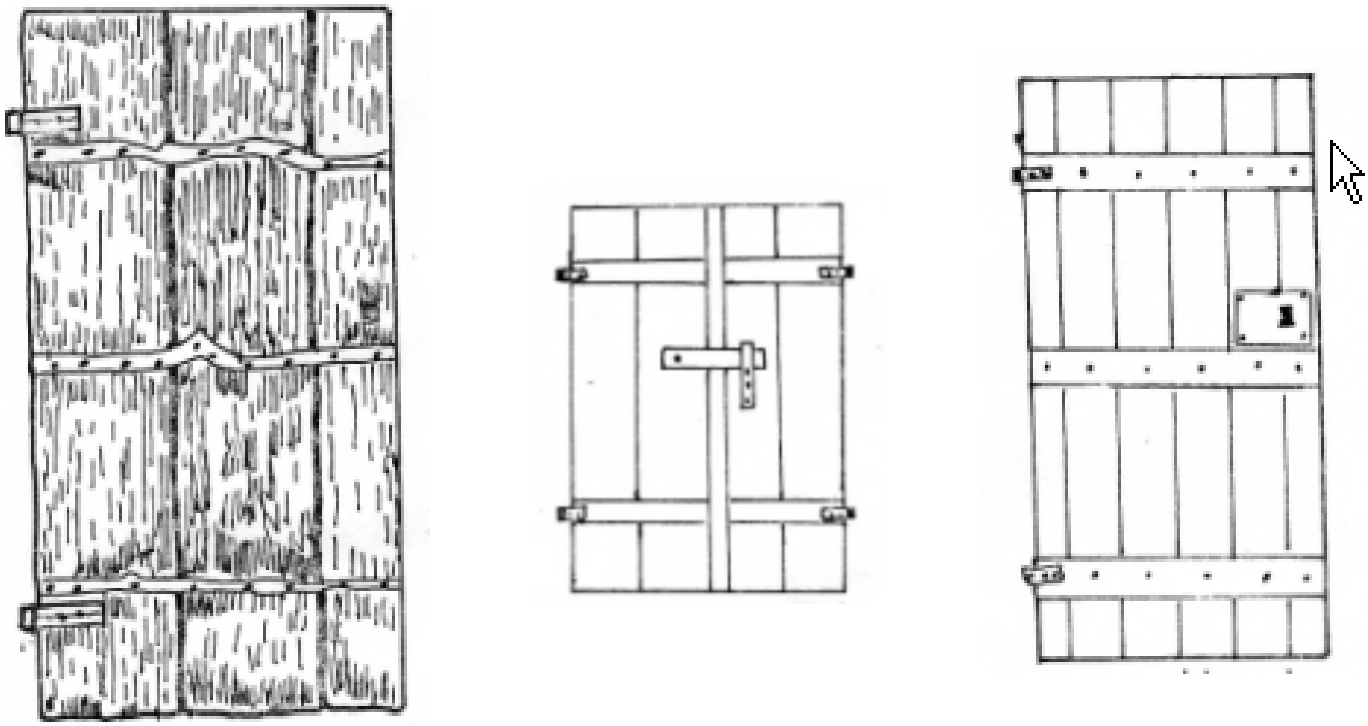

الشكل رقم 12: الأبـواب الثانويــة والنوافـذ

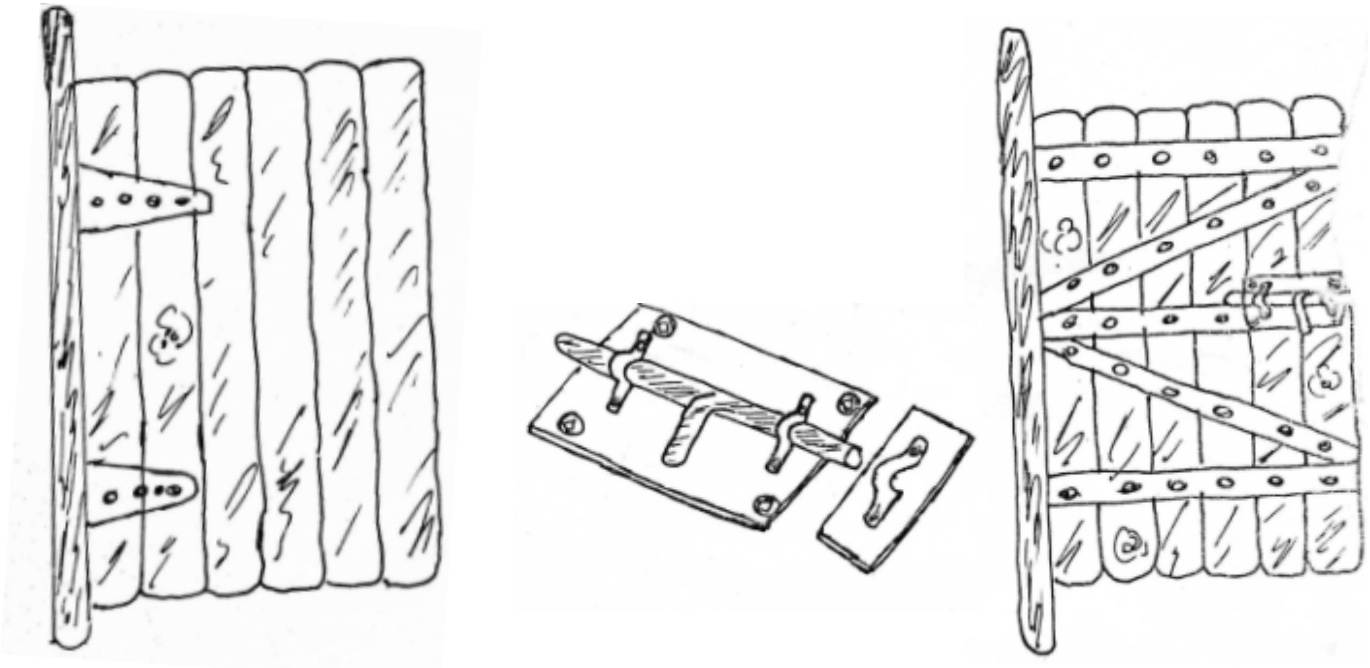

الشكل رقم 13: طريقـة تثبيـت وغلق بعض الأبـواب

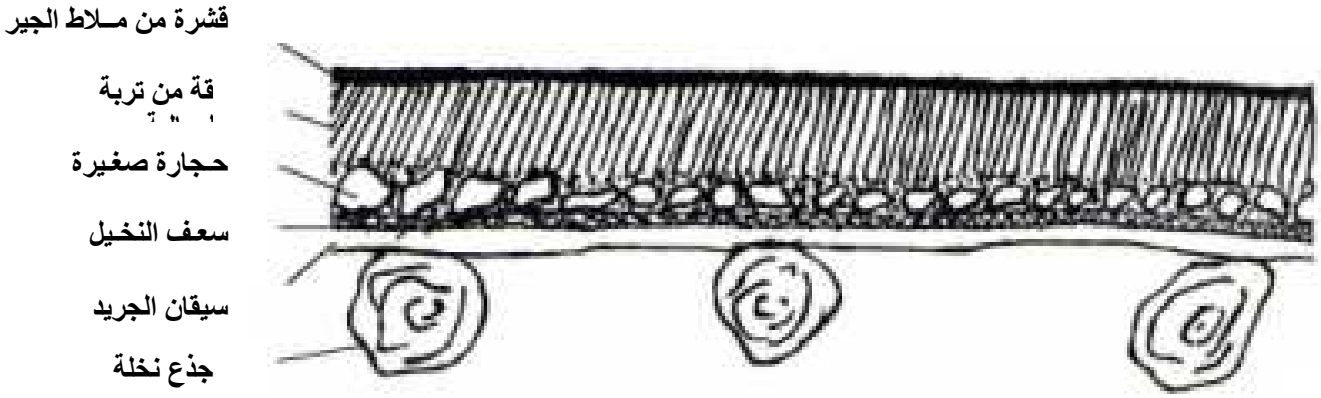

الشكل رقم 14: رسـم يبين مقطـع من السقـف المسطـح

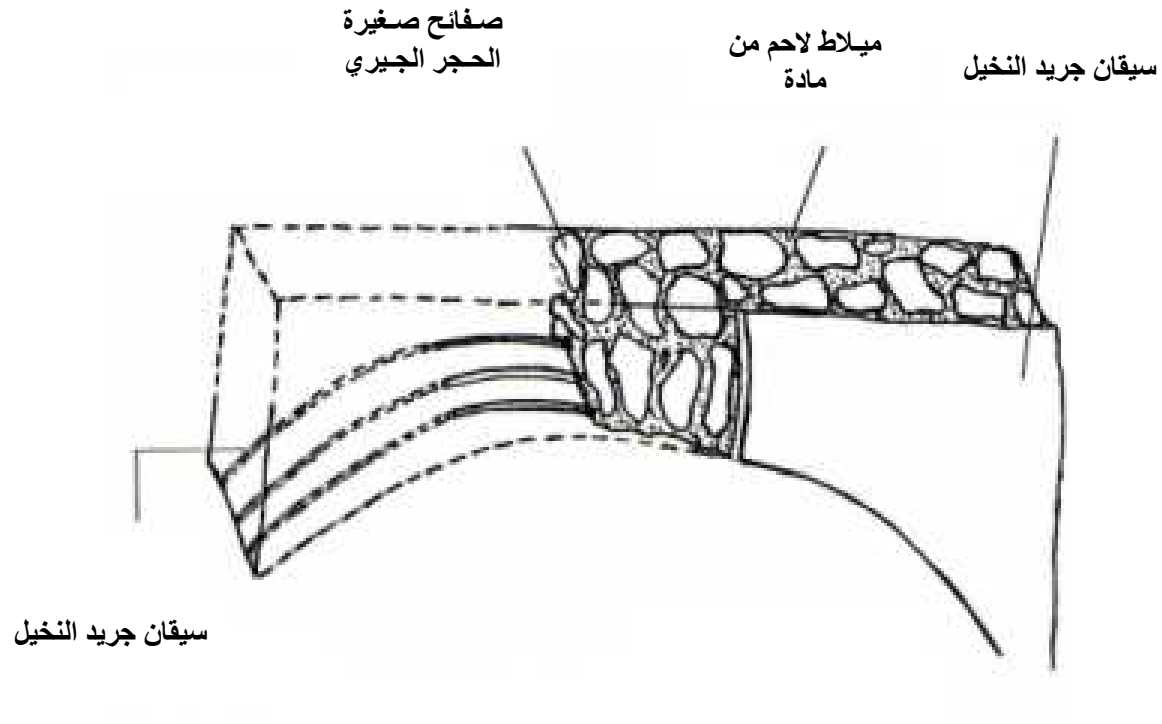

الشكل رقم 15: رسـم يبيـن تقنيـة بنـاء العقـد

1 – الدبـــــش

2- المـــــــلاط

3- قاعـدة

4- بـدن العــمود

5- تاج العـــمود

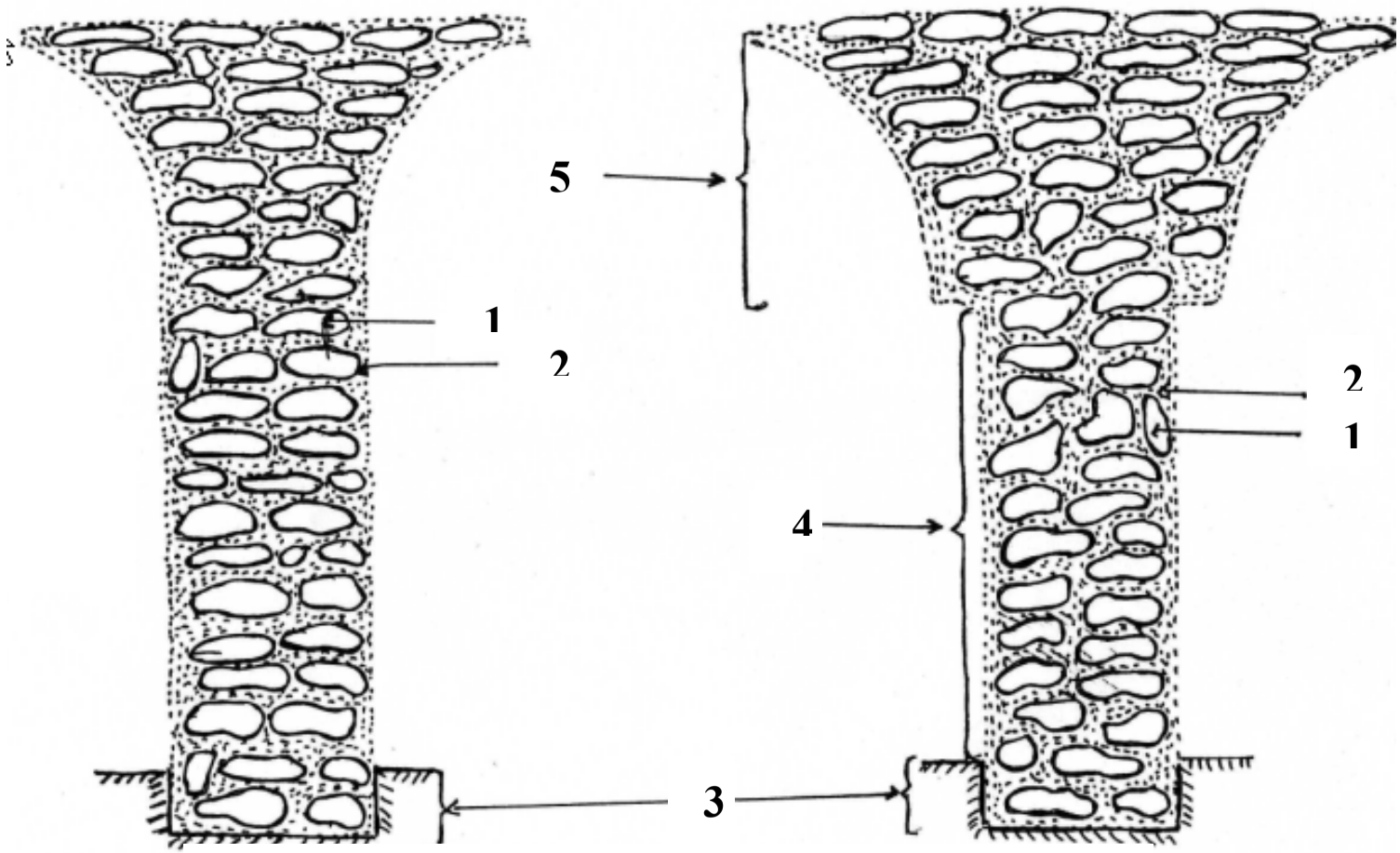

الشكل رقم 16: تقنيـة بناء الأعمـدة والدعامـات

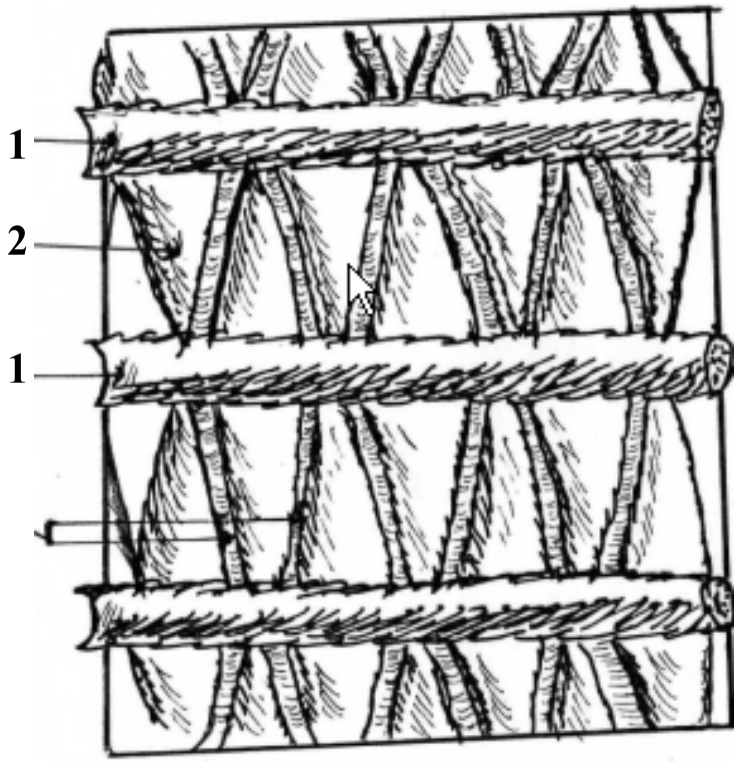

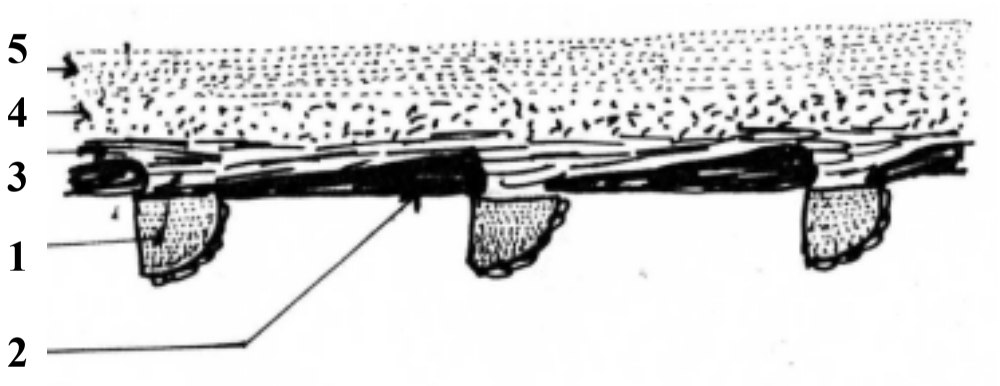

1– جذع النخـــــــلة

2 – الكـــــرناف

3 – اللـــــــيف

4 - التـــــــبن

5 – المـــــــلاط

الـشـــكل رقم 17: تقـــــنية التســـــقيف المســـــــــتوي

1 - الملاط

2 - الدبـش

3 - النائمة

4 - االقائمة

5 - جذع النخيل

6 - الجـدار

7 - مدخـــل

8 - زاوية الميل

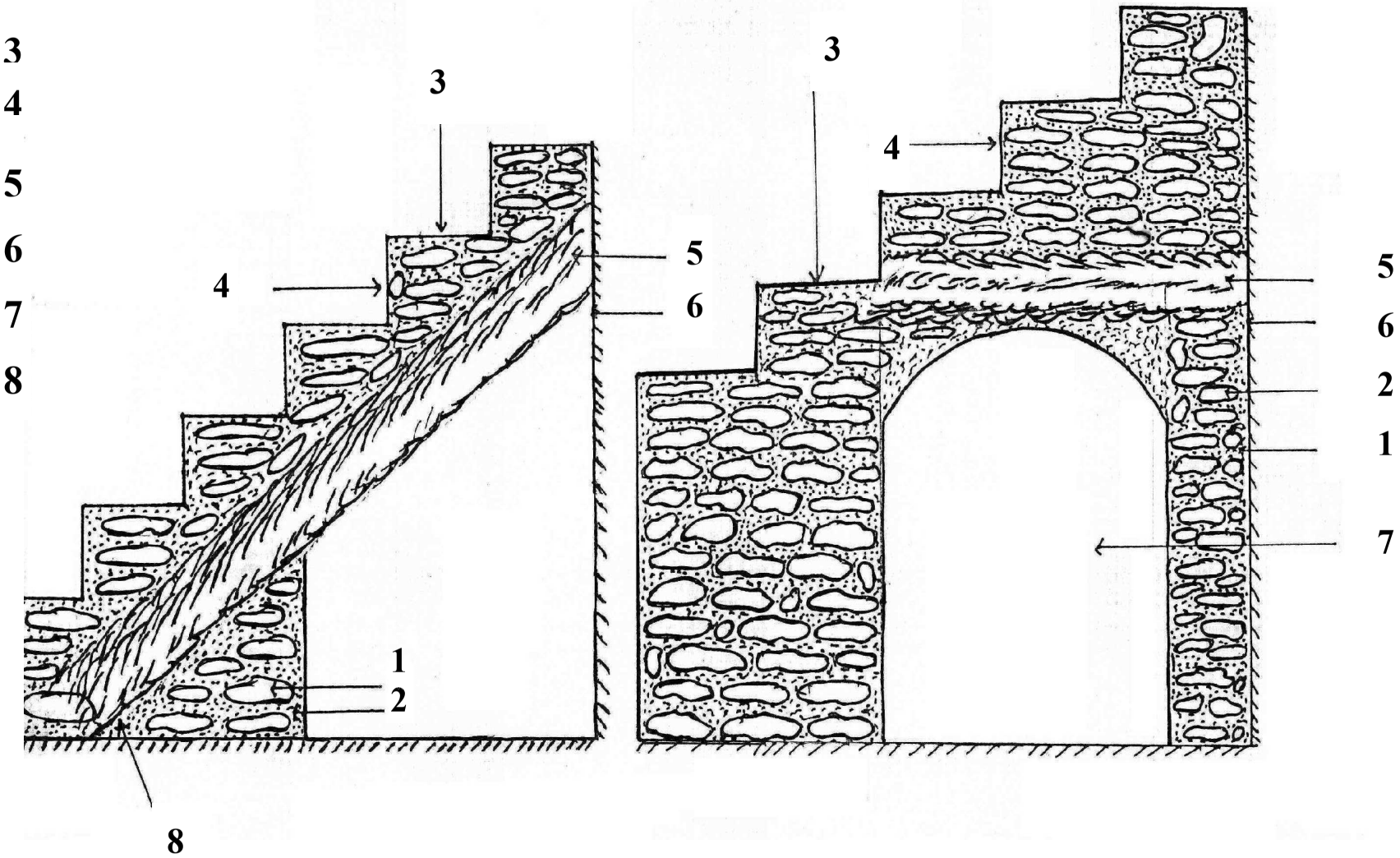

الشكل رقم 18: تقنيـة بنـــاء السلالـــم

الشكل رقم 19: مربعة خزفيــة منفـردة بجدار ضريــح زاويــة قمـار

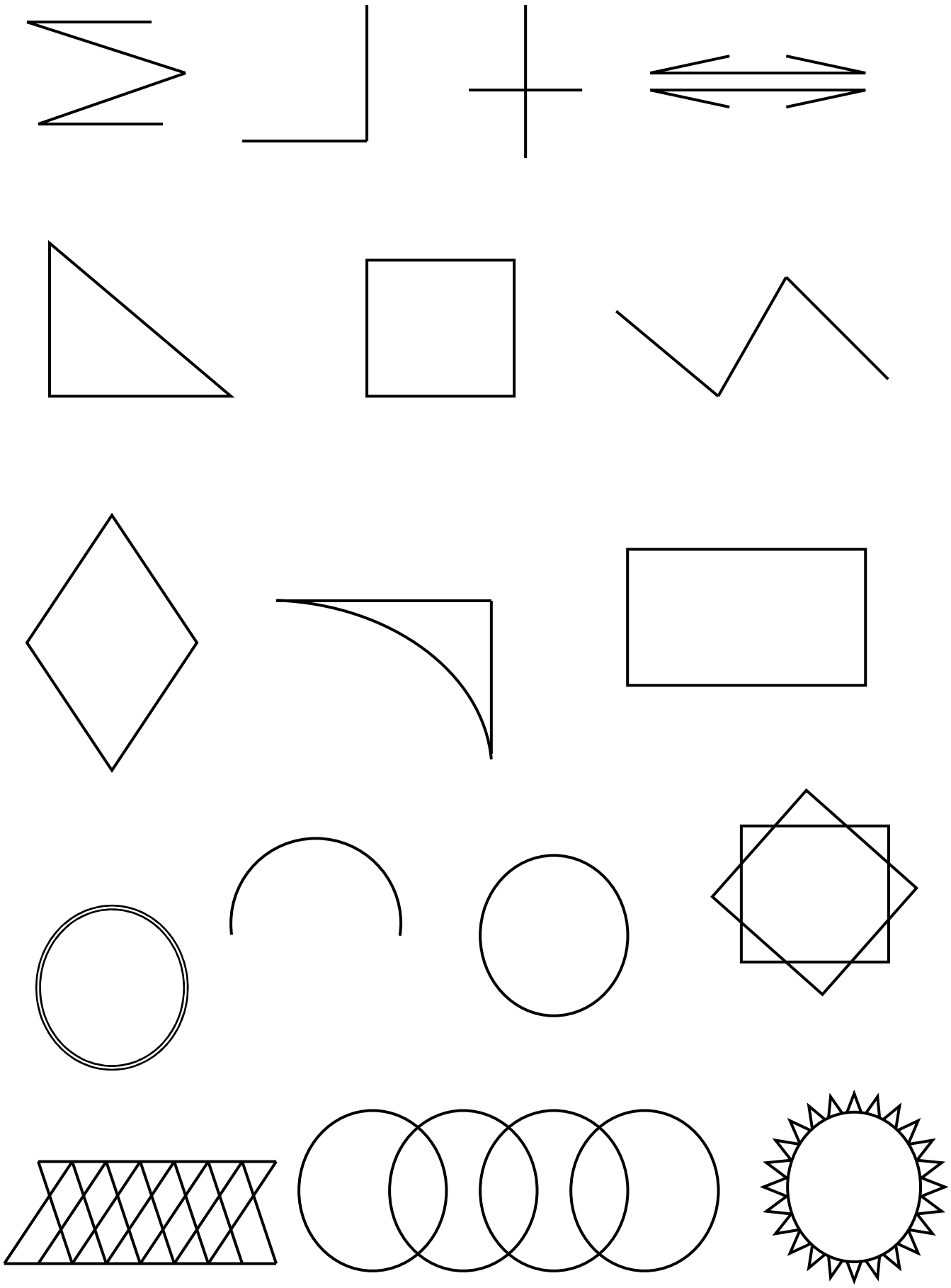

الشكل رقم 20: نمـاذج من عناصـر زخرفيـة هندسيـة بالزوايـا التجانيـة

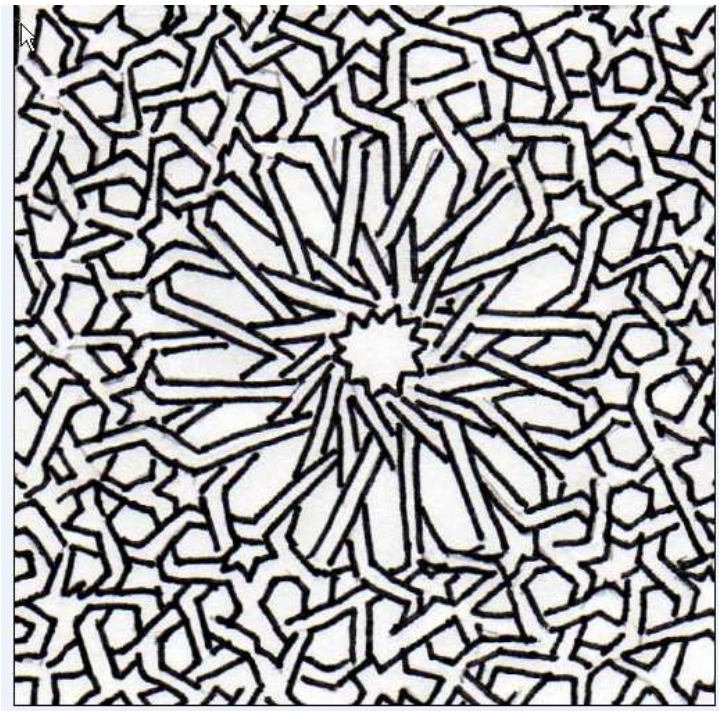

الشكل رقم 21: طبـق نجمـي ببـاب ضريـح زاوية تيماسيـن

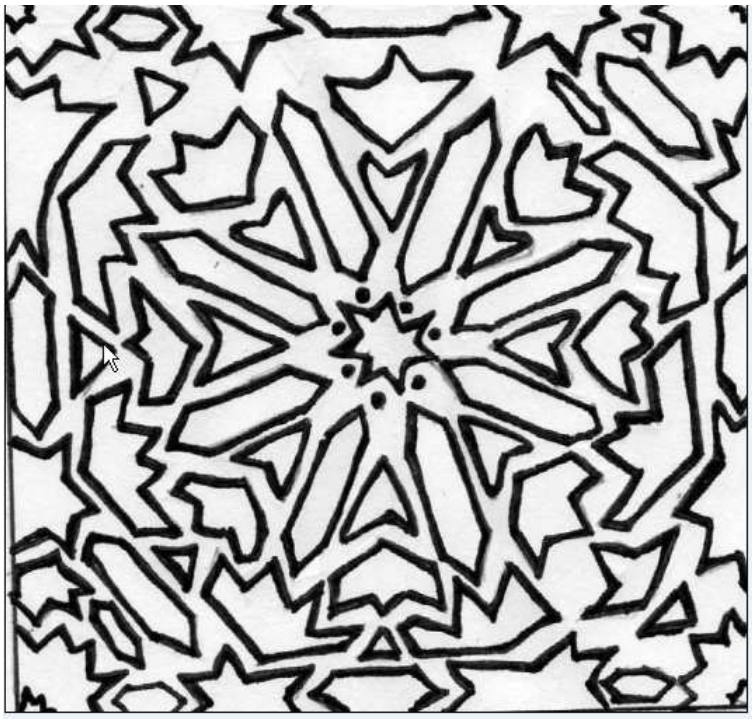

الشكل رقم 22: طبــق نجمــي مشــع بزاويــة قمــار

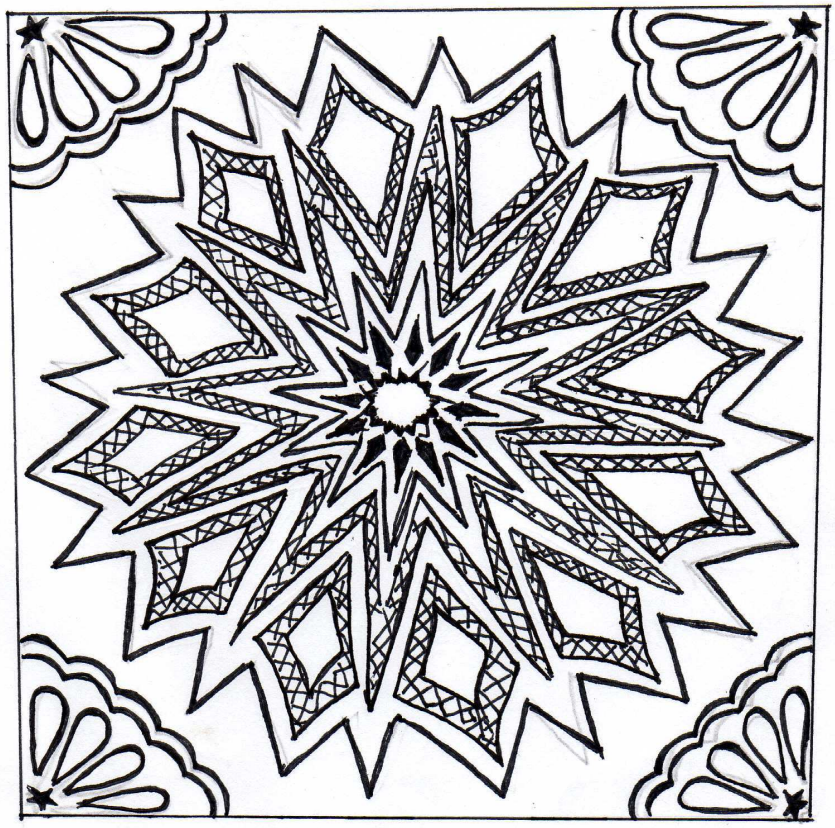

الشكل رقم 23: نمـوذج من الزخرفـة الجصيـة الملونـة بزاويـة تيماسيـن

الشكل رقم 24: نمــوذج من الزخـارف الكتابيـة والرمزيـة زاويـة قمـار

الشكل رقم 25: نمـاذج من عناصـر زخرفيـة نباتيـة بالزوايـا التجانيـة

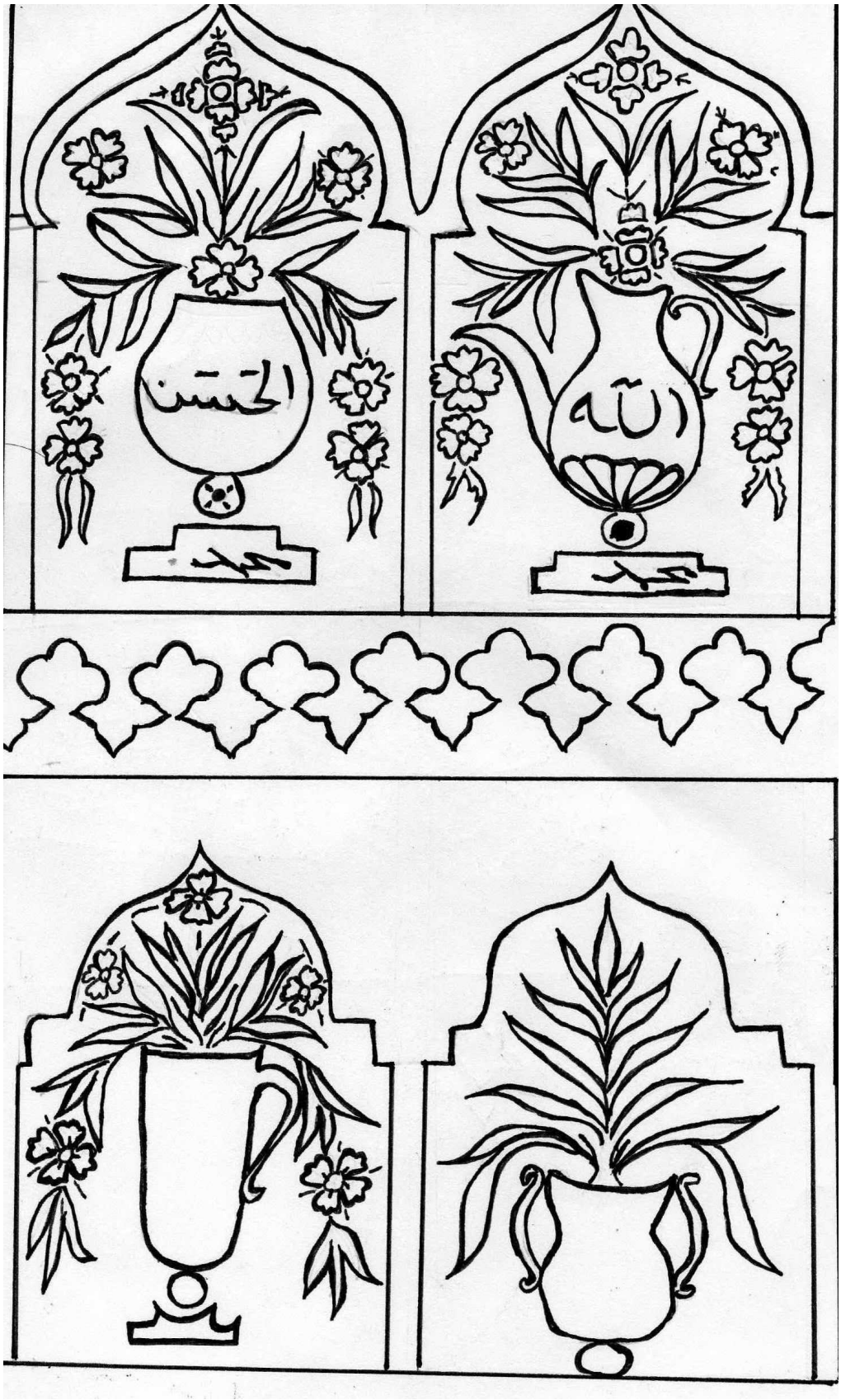

الشكل رقم 26 : نمـاذج من زخـارف معماريـة ونباتيـة وكتابيـة وآنيـة

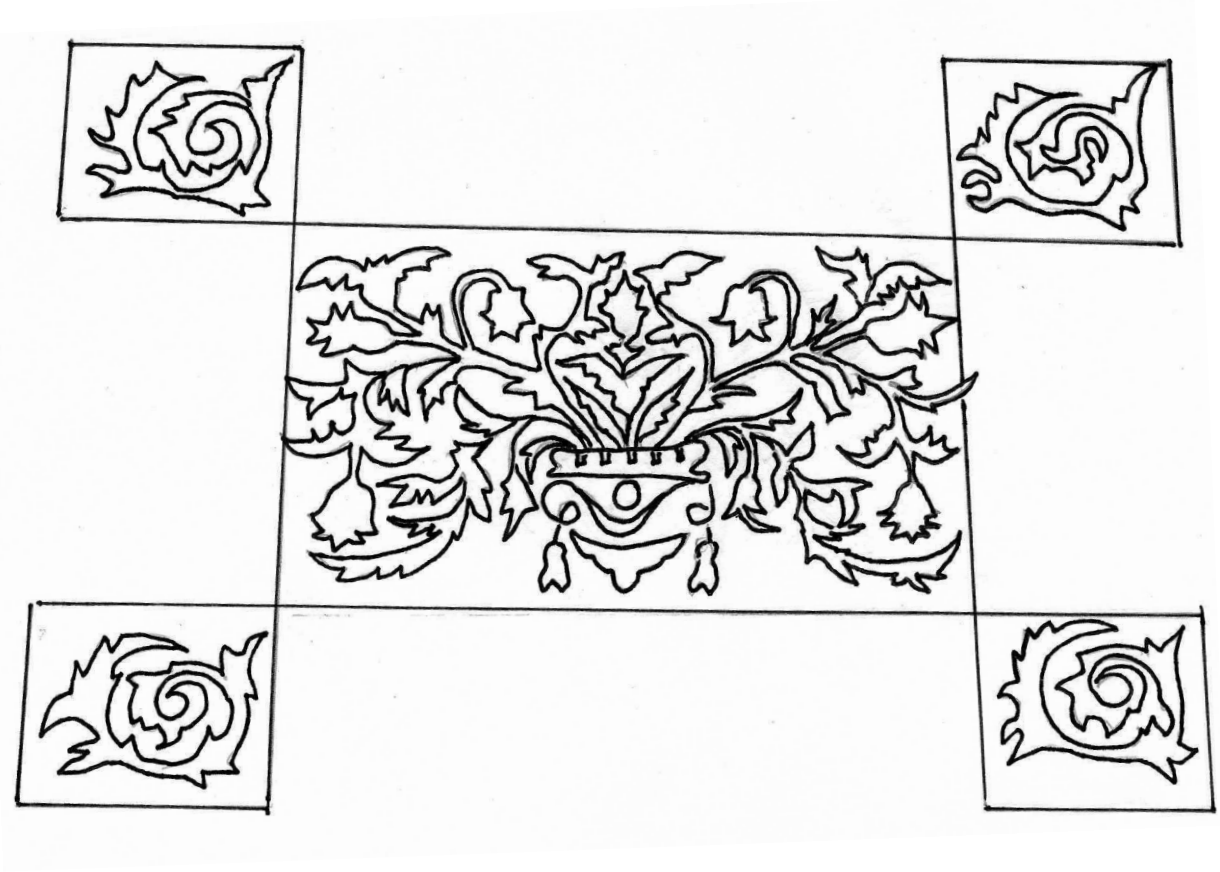

الشكل الرقم 27: نمـوذج مـن الزخرفـة النباتيـة بزاويـة قمـار

الوحدات

موقع زاوية تيماسين

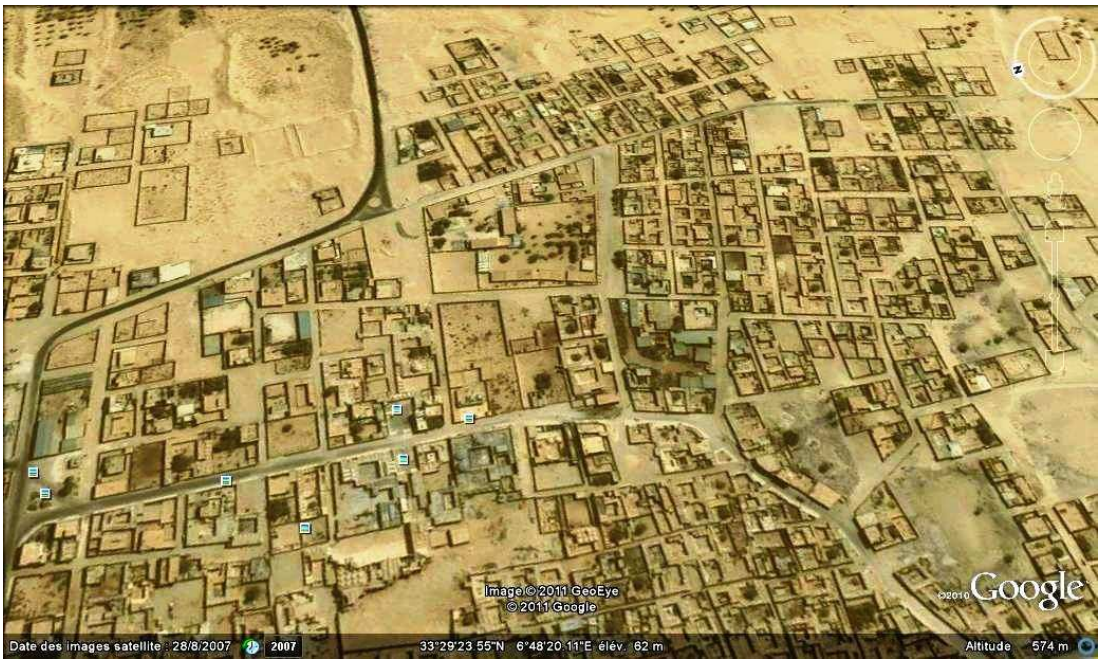

موقع زاوية قمــار

اللوحة رقم 01: صـورتين جويـتين لموقـعي زاويـتي تيماسين و قمـار (عن غوغـل أرض)

اللوحـة رقم 02: مدخـل الجهـة الشماليـة الشرقيـة لزاويـة تيماسيـن

المدخـل الجنـوبي الشرقـي

المدخـل الشمــالي الشرقـي

اللوحة رقم03: المداخـل الرئيسيــة بزاويـة قمـار

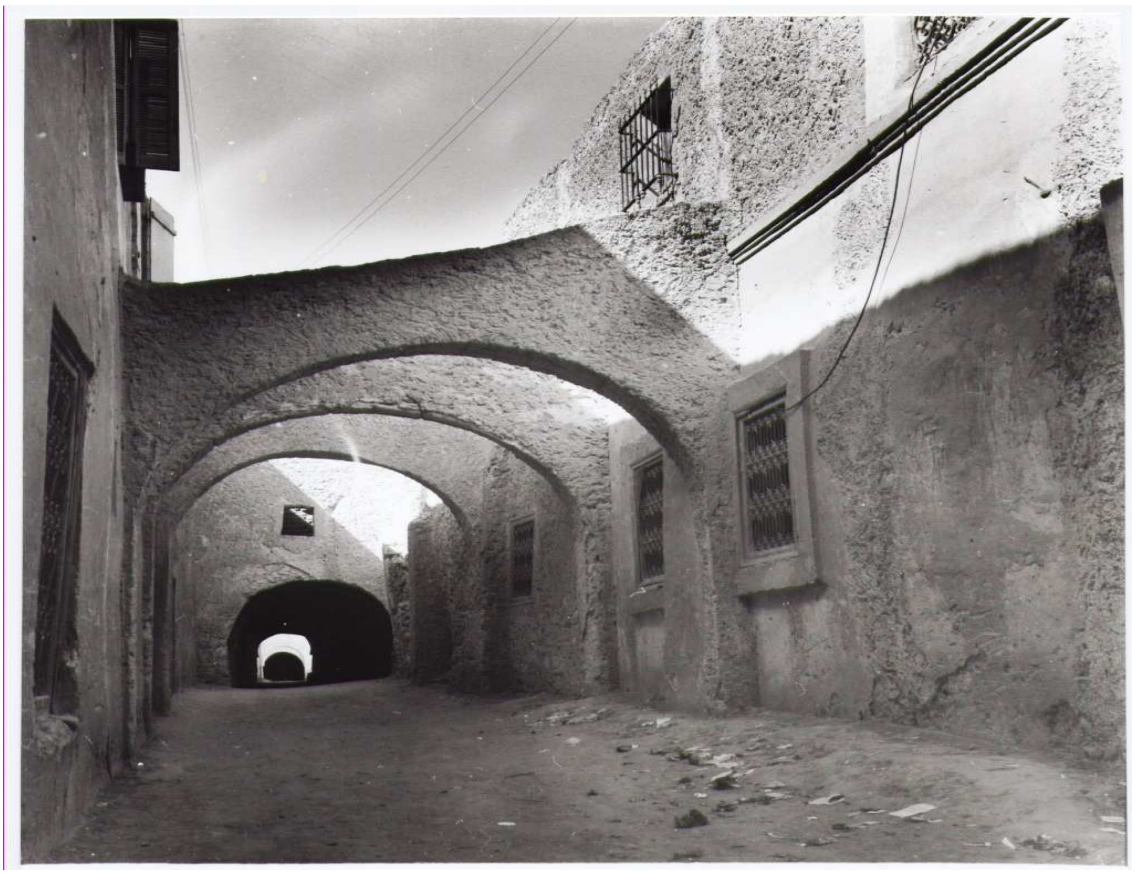

اللوحة رقم 04: الشــوارع الرئيسيــة بزاويــة قمــار

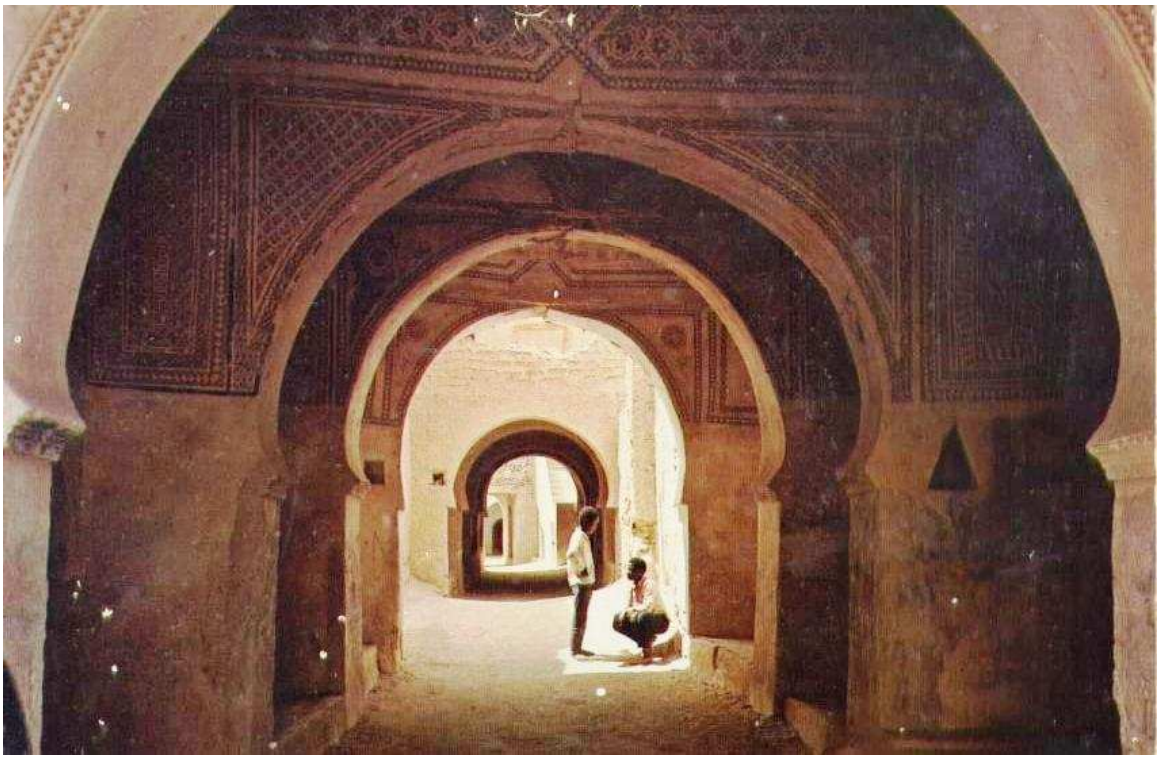

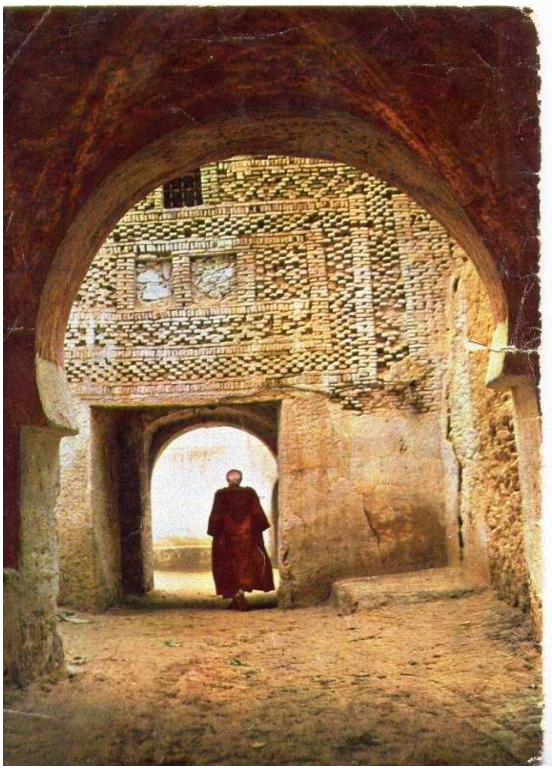

اللوحة رقم 05: الشـوارع الرئيسيـة بزاويـة تيماسـين

اللوحة رقم 06: المقاعد الحجريـة بأحـد الشـوارع الرئيسيـة
(زاويـة تيمـاسيـن)

زاويـــة قمـــار

زاويـــة تيماسيـن

اللوحـة رقـم 07: الرحبـات فـي الزوايـا التجانيـة

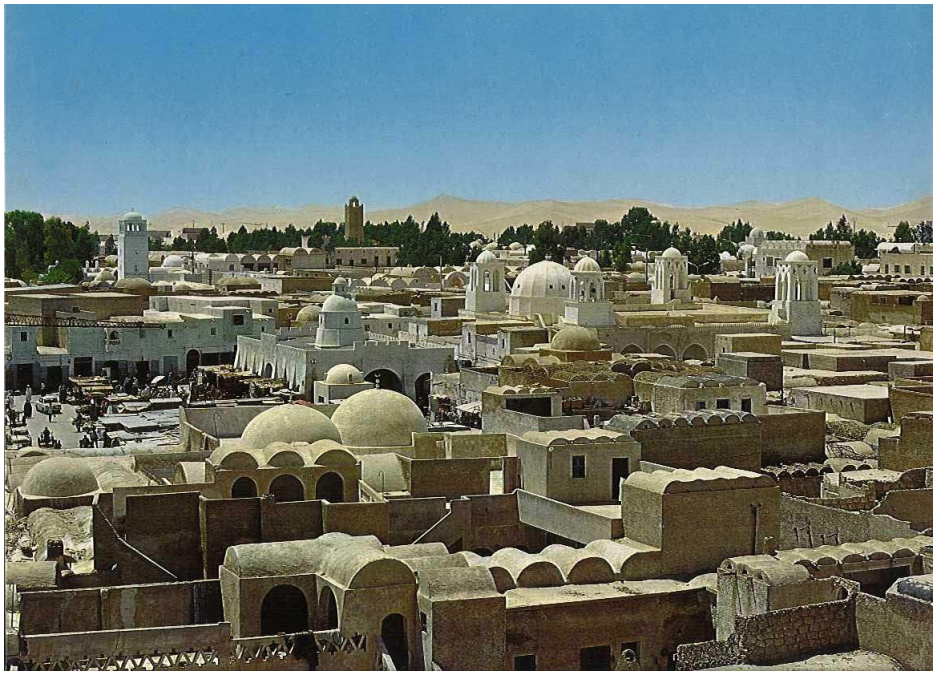

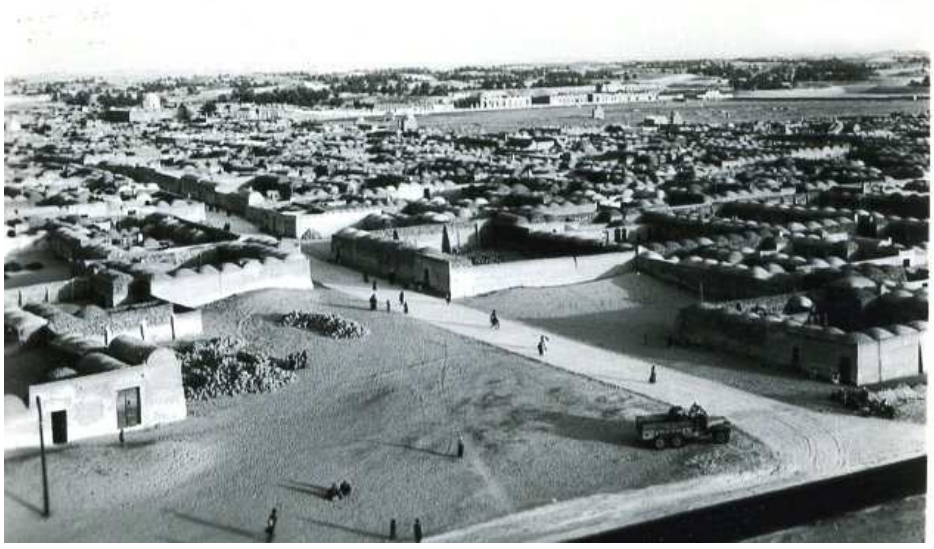

اللوحة رقم 08: القبـــاب في منطقة وادي ســـوف

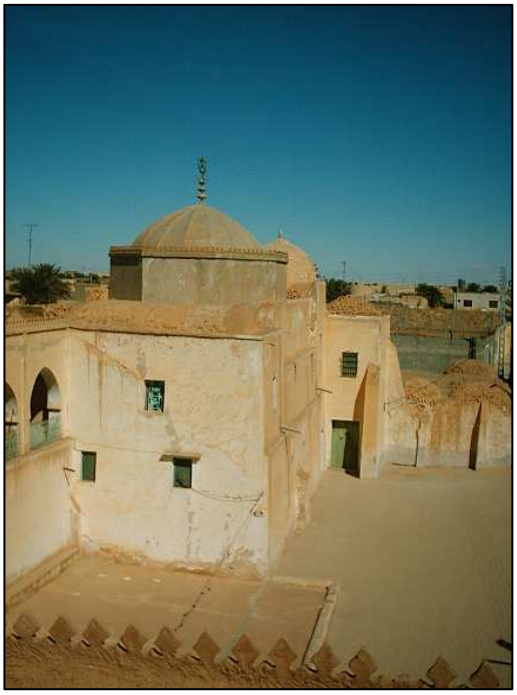

مسجد الشيخ أحمد عمار قمــار

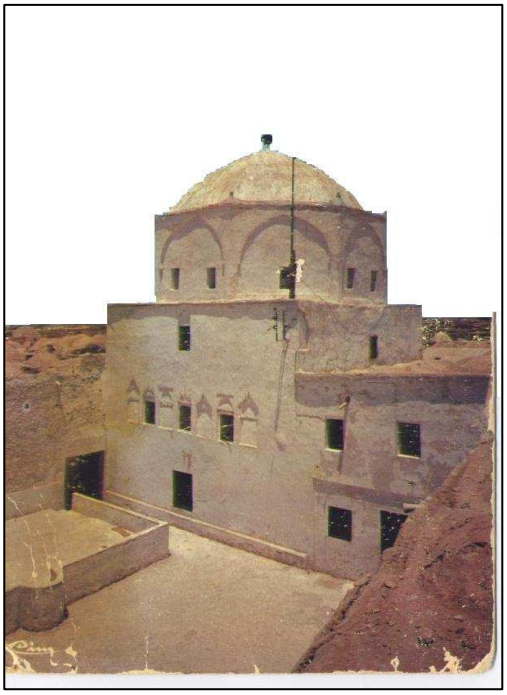

مسجد الحاج علي بن عيسى تيماسين

اللوحـة رقـم 09: المسـاجد في الزوايـا التجانيـة

اللوحـة رقـم 10: الضريــح بزاويــة قمـــار

اللوحة رقم 11: الضريــح بزاوية تيماسيــن (بعد التجديد)

اللوحة رقم 12: سقيفـة بها مقاعـد حجريـة أمام مدخـل جامـع قمار

اللوحة رقم13:مدخـل جامع زاوية قمـار

اللوحة رقم14: مدخـل جامع زاوية تيماسيـن

اللوحة رقم15: مسجد زاوية تيماسين ، بيت الصلاة ، إطارات العقود الأعمدة والمنبر

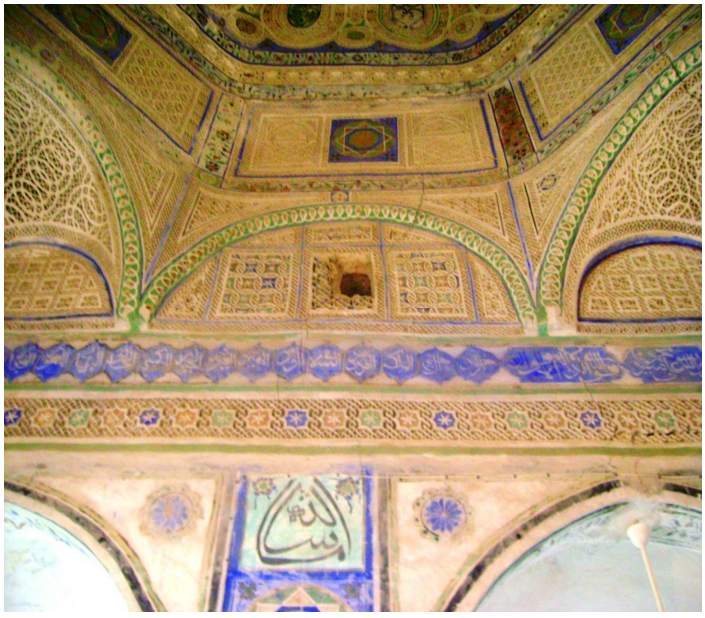

اللوحة رقم16: مسجد زاوية قمار، بيت الصلاة، الأعمدة والأقواس، زخارف رقبة القبة

اللوحة رقم 17: الزخارف الجصية بقبـة المسجد بزاويـة تيماسيـن

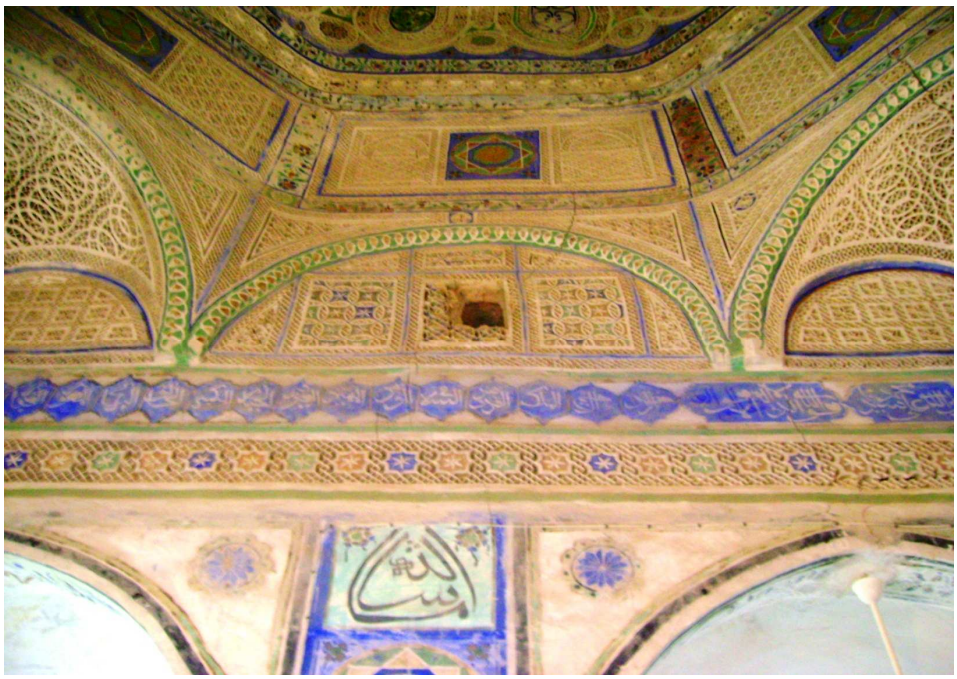

اللوحة رقم 18: الزخارف الجصية بقبـة المسجد بزاويـة قمـــار

اللوحة رقم 19: زاوية قمـار، مدخـل الضـريح بالجهة الشرقية
(قبل وبعد عملية الترميم)

اللوحـة رقـم 20: قبـر الضـريـح بزاويـة تيماسيـن

اللوحـة رقـم 21: قبـر الضـريـح بزاويـة قمـار

اللوحــة رقم 22: المقبــرة بزاويــة تيماسين

زاويـــة تيماسيـــن

زاويـــة قمـــار

اللوحة رقم 23: مدافـن العائلـة التجانية بزاويتـي تيماسيـن و قمـار

اللوحـة رقم24: مجمـع القبـة الهرميـة بزاوية قمـار

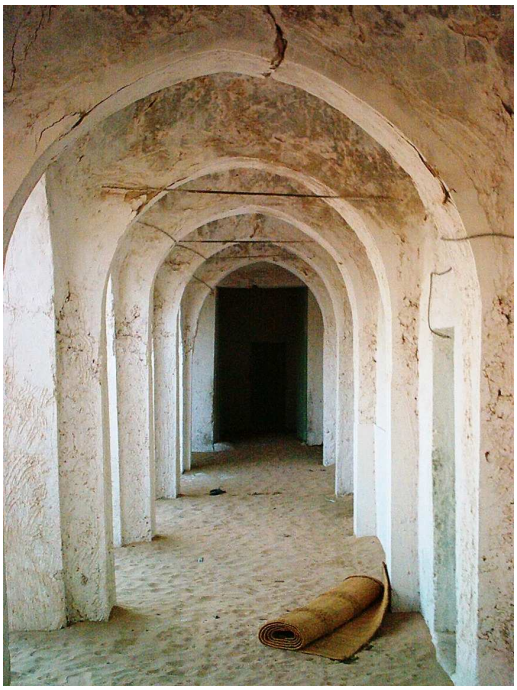

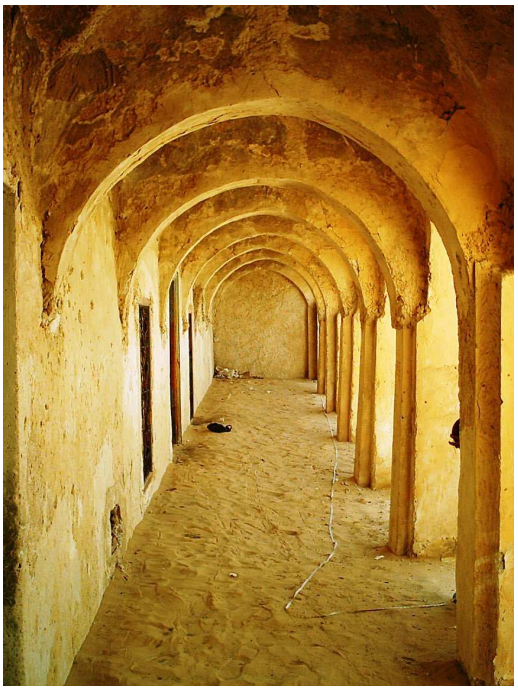

اللوحـة رقـم25 : نمـاذج من الأروقـة بزاويـــة قمـــار

اللوحة رقم 26: المدخنـة والمدفـأة بزاويتـي تيماسيـن و قمــار

اللوحـة رقـم 27: نمـاذج من النوافــذ في الزوايـا التجانيـة

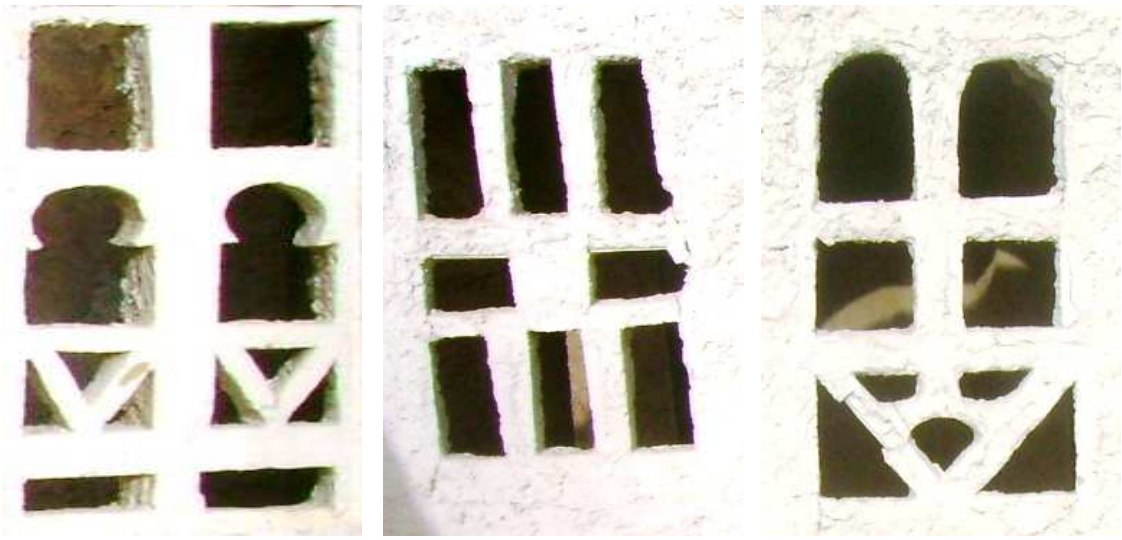

زاويـــة قمـــار

زاويـــة تيماسيـن

اللوحـــة رقم 28: فتحـات تهويـة ذات طابـع زخرفـي في الزوايـا التجانيـة

اللوحـة رقـم 29: نمـاذج مـن الكـُوات بزاويتـي تيماسيــن و قمـار

اللوحة رقم 30 : نمــاذج من الأعمـدة بالزوايـا التجانيـة

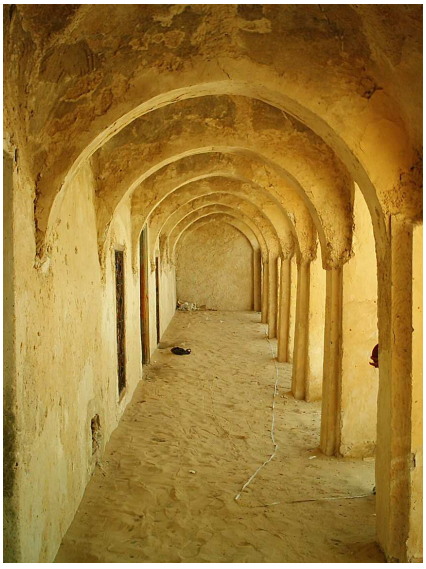

اللوحـة رقم 31: نمـاذج من العقـود بزاويتـي تيماسيـن و قمــار

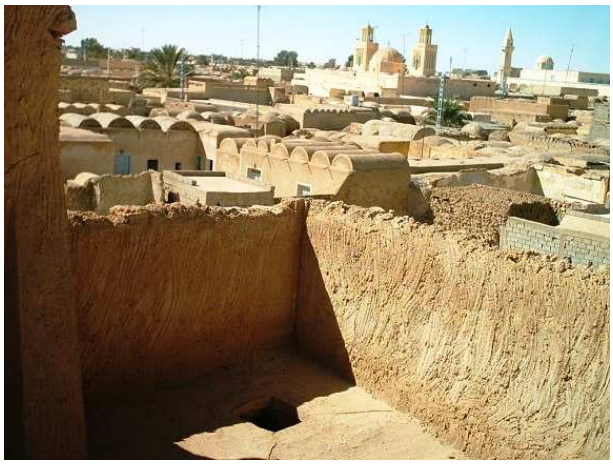

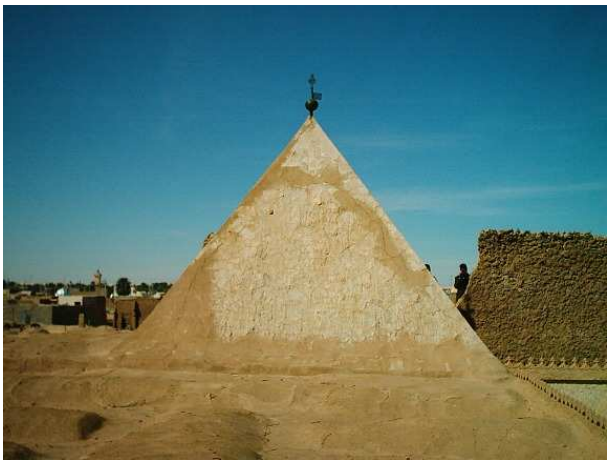

اللوحـة رقـم 32: نمــاذج مـن القبــاب في الـزوايـا

اللوحة رقم 33: نموذج من التسقيف المستوي بزاوية تيماسين

اللوحة رقم 34: نموذج من التسقيف المستوي بزاوية قمار

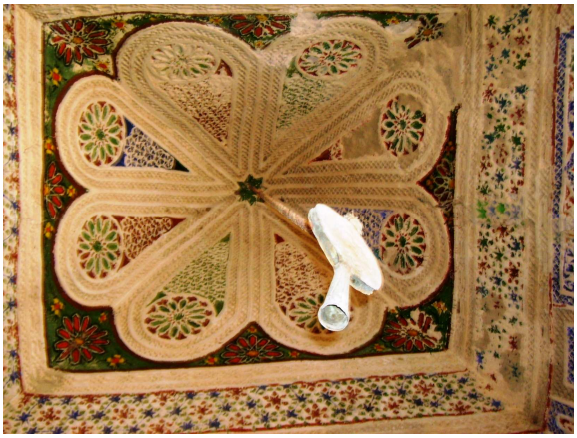

اللوحة رقم 35: نمـاذج من الزخـارف الجصية الملونـة بالزوايـا التجانيـة

اللوحـة رقم 36: نمـاذج من الزخـارف الخشبيـة على الأبـواب
بزاويــة قمـــار

اللوحـة رقم 37: نمـاذج من الزخـارف الخشبيـة على الأبـواب
بزاويــة تيمــاسين

اللوحـة رقـم 38: المنبـر بمسجـد زاويـة تيماسيـن

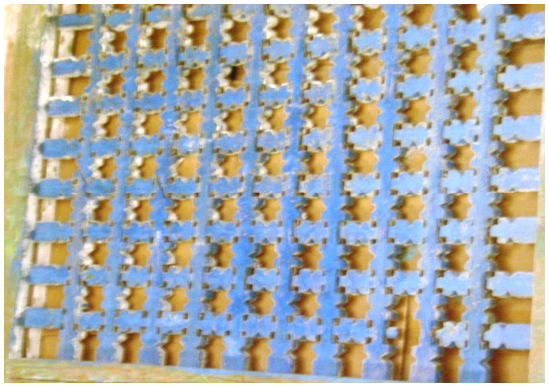

أ

ب

ت

ث

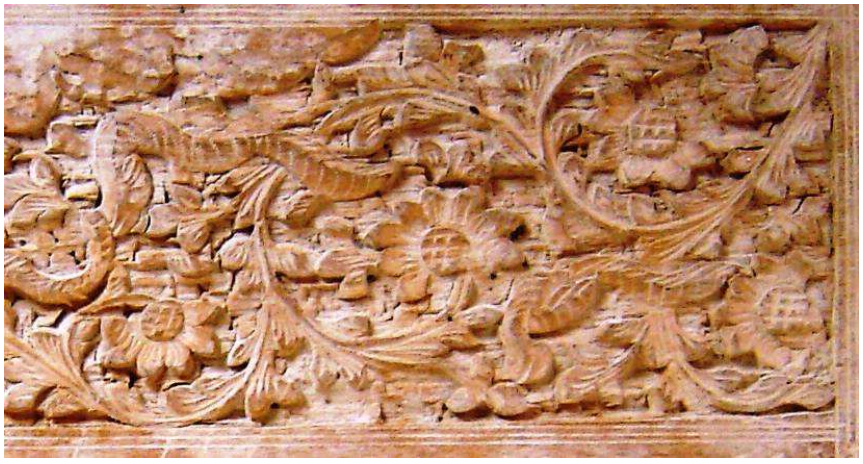

ج

اللوحـة رقـم 39: تفاصيـل زخرفيـة على الخشـب بزاويـتي تيماسين وقمـار

اللوحـة رقم 40: نماذج من الزخرفـة على الخشب بزاوية تيماسين

اللوحـة رقـم41: تفاصيـل زخرفيـة على النحـاس بزاوية قمــار

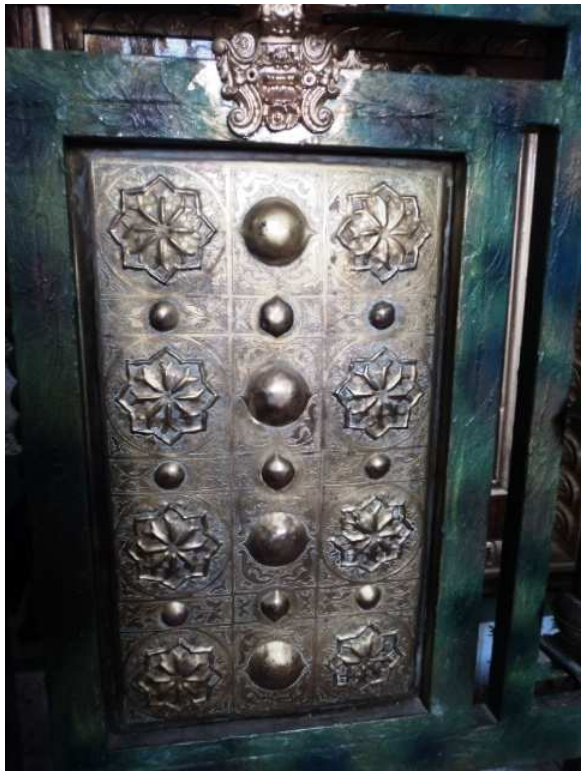

اللوحة رقم42: تفاصيـل زخرفيـة على النحـاس بزاوية تيمــاسين

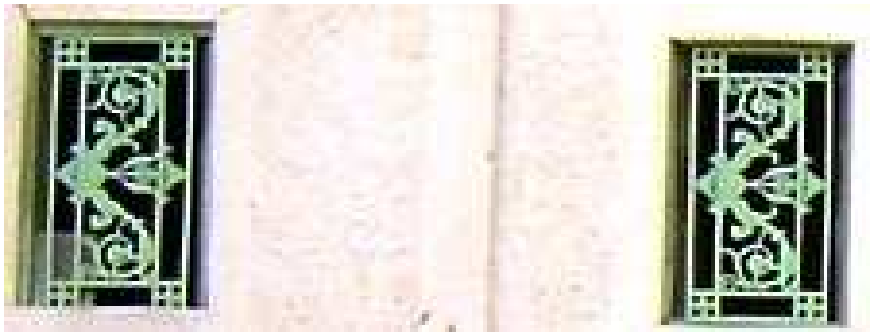

اللوحة رقم 43: تفاصيل زخرفيـة معدنيـة بزاويتـي قمـار وتيماسين

اللوحة رقم44: مربعة خزفية منفردة مقاساتها 13.5سم قوامها عناصر زخرفية ترتكز على نجمة ثمانية الرؤوس في الوسط تحيط بها حلية نباتية مكونة من أوراق مفصصة تحوي بداخلها دوائر صغيرة وتعرف هده الزخرفة باسم "عفسة الصيد" حيث رسمت باللونين الأصفر والأزرق الداكن والأخضر على أرضية بيضاء (ضريح زاوية قمار)

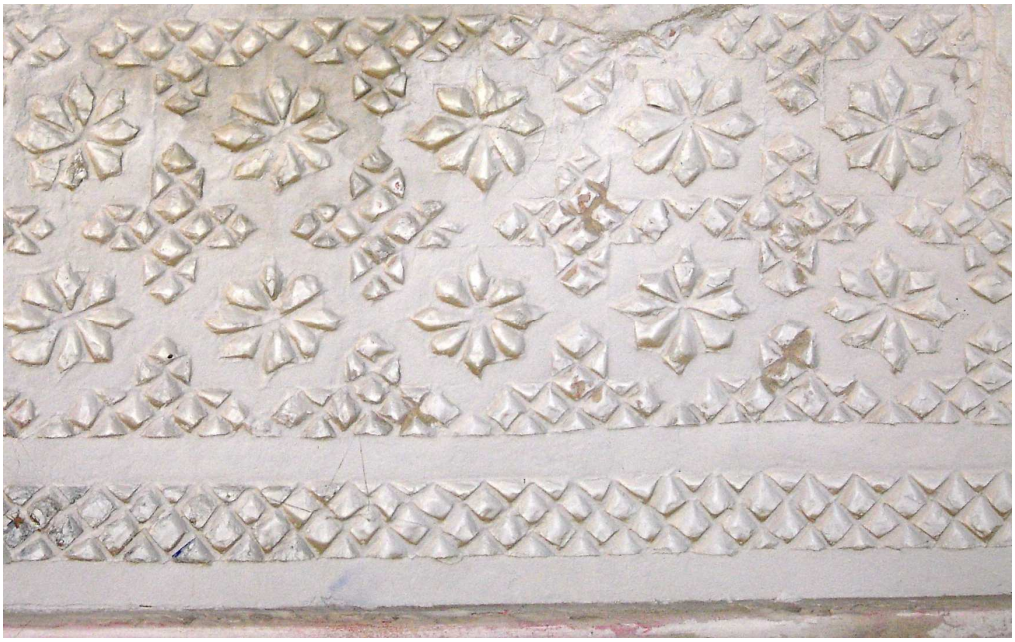

اللوحــة رقم 45: نمــوذج من الزخرفـة الجصيـة البيضـاء ، تقنية الحفـر البارز

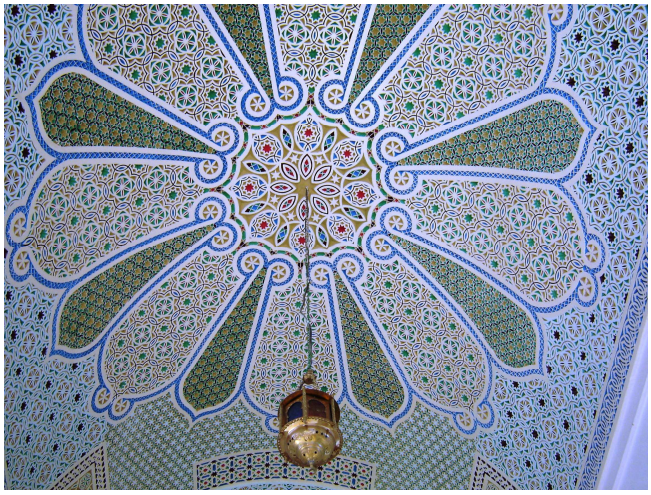

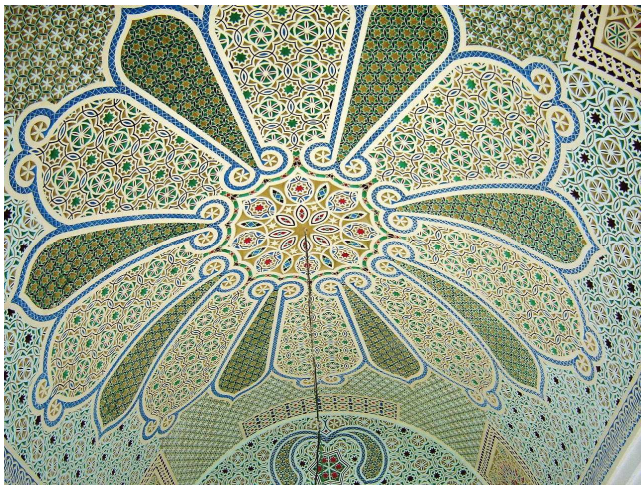

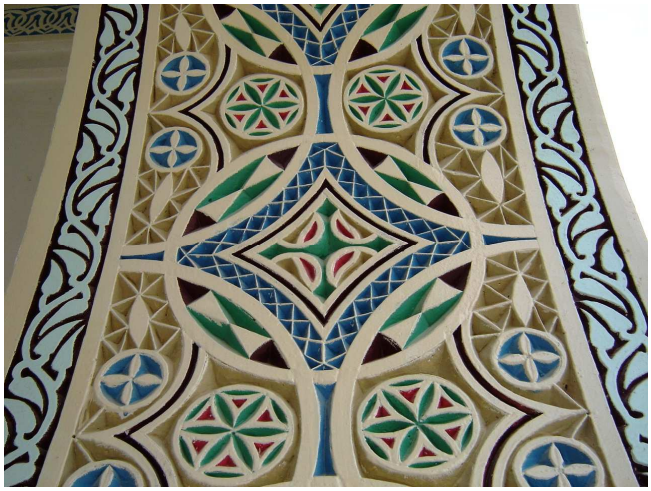

اللوحة رقم46: زخـارف هندسيـة ونباتيـة على الجـص
ملونـة بالألـوان المائيـة (نماذج جديدة)

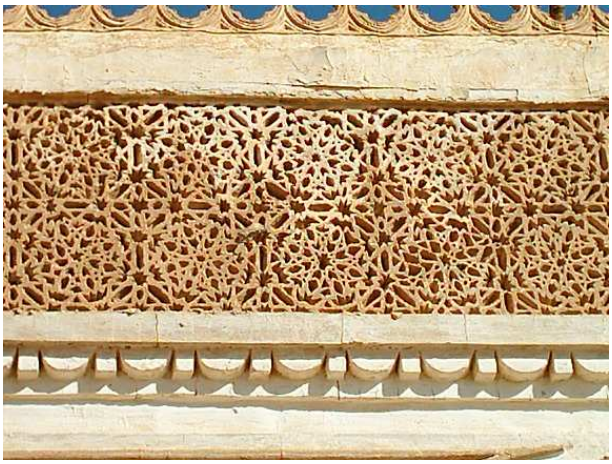
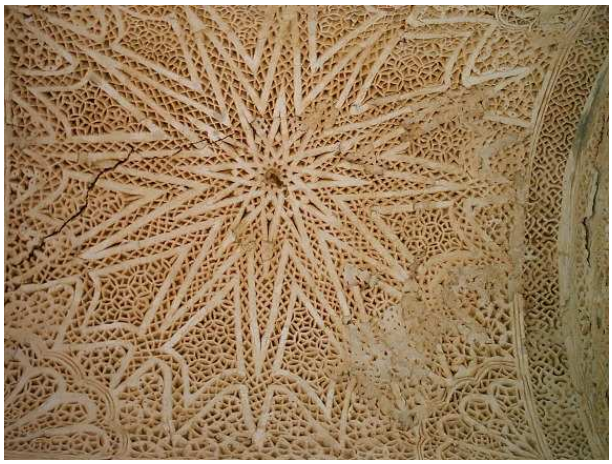

اللوحة رقم47: نمـاذج من الزخـارف الجصيـة الهندسيـة المخرمـة

اللوحـة رقم 48: نمـاذج من الزخـارف الكتابيـة والنباتيـة والهندسيـة
تقنيـة الرسـم بالألـوان المائيـة

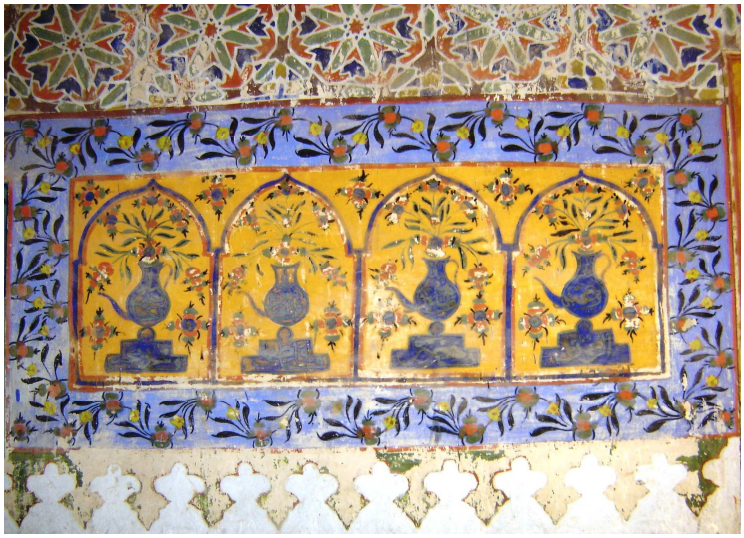

اللوحــة رقم 49: نمـاذج من الزخـارف المعمارية والآنيـة تقنيـة الألـوان

الفهـــارس

* قائمـة المصطلحـات
* فهـرس الآيـات والأحاديـث
* فهـرس الأعـلام
* فهـرس الملـل والـدول والقبائـل
* فهـرس الأماكـن والبلـدان
* فهـرس الخرائط والأشكال واللوحـات
* فهـرس المصـادر والمراجـع
* فهـرس الموضوعـات

قائمــة المصطلحـات

إخـــــوان	Ikhouan
إسطبـــــل	Etable, ecurie
أســـــاس	fondations
إفريـــــــز	bandeou
الأقباءالصغيرة	voutains
الآجـــــر	brique
تابـــــوت	arcophagi
تـــــاج	chapiteau
جبس(تمشمت)	platre
الحـــــــز	rainure
حلـــــــزون	helice
دعـــــامة	pilier

سـور	rempart enceinte
سقـف	plafond plancher
شرافـات	merlons
ضريـح	sonctuaire tombeau
طبق نجـمي	polygone etoile
طريقـة	confrerie
الطابـية (التراب المدكوك)	pise
عقد أصـم	arc aveugle
عقد ذو دلايات	arc a lamblequin
عنصر نباتي	motif vegetal
عنصر هندسي	motif geometrique
عنصر كتابي	motif epigrophique
عنصر معماري	motif architecturale

pouter traverse	عـــــارضة
seuil	عتـــــبة
cobole bemispberique	قبة نصف دائرية
pseudo inscription	كتابة وهمية
coupe	مقـــــطع
mortier	مـــــلاط
liant	مـــــلاط لاحم
piedd arc	منبت العقد
créneaux ou meurtriére	مزغــل
porte	مـــــدخل
cheminée	مدخـــــنة
assise	مدمـــــاك
vue en plan	مسقـــــط

فهـرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

الآيـات القرآنيـة

قال تعالى ﴿ يا أيُهَا الذيْن آمنُوْا اصْبرُوْا و صَابرُوا وَرَابطُوْا...﴾ آل عمران الآية 200.....ص64

قال تعالى﴿ وتَعَاوَنُوا عَلَى البِّر والتَّقْوىَ ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ و العُدْوَانِ ﴾ سورة المائدة الآية 02 .....ص88، 105

قال تعالى﴿ وَاعْتَصِمُوا بحَبْلِ الله جَمِيْعًا وَلا تَفَرَّقُوْا...﴾ آل عمران الآية 103..... ص101،83

قال تعالى﴿ فِيهِ آيَات بيّنَات مَقَامَ إبْرَاهِيمْ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنَا ﴾ آل عمران، الآية97..... ص102

قال تعالى﴿ إذَا نُودْيَ للصّلاَةِ مِنْ يَومِ الجُمعَةِ فَاسْعَوا إلَى ذِكْرِ الله ﴾ الجمعة، الآية 09.....ص104

قال تعالى﴿ فإذَا قُضِيتْ الصَلاةِ فَانْتَشِرُوْا فِي الأرض وَابْتَغُوْا مِنْ فَضْلِ الله ﴾ الجمعة الآية10.....ص105

قال تعالى﴿ وَبالنَجْم هُمْ يَهْتَدُونْ) النحل الآية 16.....ص208

قال تعالى﴿ يَسْألُونَكَ عَن الأهلَة قُلْ هيَ مَوَاقيْتُ للنَاس وَالحَج﴾ البقرة الآية 139.....ص209

قال تعالى﴿ يا أيُهَا الذيْن آمنُوْا لاَ تَدخُلُوا بيوتًا غيَرَ بُيوتكُمْ حتَى تَسْتأنسُوا وتُسَلمُوْا على أهْلهَا ذلكُم خَيْرٌ لكُمْ لعَلكُمْ تَذكَرونْ﴾ النور الآية 27.....ص126

الأحاديـث النبويـة

قال صلى الله عليه وسلم‹‹ المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ›› متفق عليه.....ص 88

قال صلى الله عليه وسلم‹‹ إذا تدارأتم في شارع فاجعلوه سبعة أذرع››.....ص97

قال صلى الله عليه وسلم‹‹ فضل الدار القريبة من المسجد على الدار الشاسعة كفضل الغازي على القاعد››.....ص 104

قال صلى الله عليه وسلم‹‹ من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه ›› رواه مسلم.....ص 139

قال صلى الله عليه وسلم‹‹ لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سوّيتهُ›› رواه مسلم.....ص155

قال صلى الله عليه وسلم‹‹ لا ضرر ولا ضرار››.....ص179

فهـــرس الأعـــــلام

(أ)

أبي حامـد الغزالـي 6، 7، 9، 22، 23
أبي بكـر الصديـق 202
أبو عبيـدة الجـراح 202
أبي يزيد طيفـور الفارسـي 6
أبي عنـان فارس المتوكـل 62
أبي الحسـن النـوري 4
أبي يزيـد البسطامـي 21
أبي الحسـن المرينـي 197
ابـن العربـي 7، 17
أبي العبـاس الرفاعـي 19، 25
أبي الحسـن الشاذلـي 8، 11، 28
أبي مديـن شعيـب 10، 11، 28، 31، 136، 197
أبي يوسـف يعقـوب 7
أبي القاسـم الجنيـد 4، 16، 19
أبو القاسـم سعد الله 23
أحمـد البـدوي 6، 23
أحمـد التجانـي 12، 24، 36، 38، 41، 42، 43
44، 45 46، 47، 50،83، 92
103، 113
ابـن أحمـد الحسين الدرقـاوي 23، 33

(ج)

الجـرجانـي 15

(ح)

الحسـن بن باديـس 26
الحسـن البصـري 18

(خ)

الخـوارزمـي 67

(د)

داوود عليـه السـلام 206

(ر)

الرسـول الكريـم (ص) 4، 5، 18، 37، 84، 93، 100،
101، 135، 175، 200، 201، 206

أحمـد بن عـروس 29، 30
أحمـد الشنقيطـي 54
أحمـد بن إسماعيـل 44
أحمـد زروق 12، 30
الأميـر عبـد القادر الجزائـري 23، 44، 52
أحمـد عمـار 89، 94، 102، 103، 108
109، 111، 112، 143، 156
170، 178، 182، 190، 199
200، 206، 207، 208
أحمـد المقـري 74
إبراهيـم الرياحـي 50
إبراهيـم التـازي 9
ابـن تـومرت 7
ابـن سبعيـن 7
ابـن خلـدون 5، 16، 165، 188
ابـن مريـم 16
ابـن الجـوزي 3، 6

(ب)

بروســلار 23

(ث)

ثـروت عكـاشـة 154، 155

(ط)

طلحـــة 200
الطاهـر بوطبـة 44
الطاهـر بن عبد الصـادق 45

(ظ)

الظاهـر بيبـرس 62

(ع)

عـلي بن عيسى التيماسينـي 30، 39، 45، 46، 68،79
81، 88، 89، 91، 94، 95، 96
97، 98، 102، 108، 109، 111
112، 113، 139148، 178، 180
186، 195، 199، 200، 206

رابعة العدوية 4
(س)
سعد بن أبي وقاص 200
السري السقطي 16
السهروردي 5 ، 67
سحنون بن الحاج 44
سليمان بن سعد 39، 44، 51
سيكرج 51، 57
سليمان عليه السلام 205
سليمان بن سعد 39، 44، 51

عبد القادر بن شريف 31
علي حرازم 44، 50، 51
علي حملاوي 143، 146، 177
عبد الله بدة 45
(ق)
القشيري 5
(ل)
لوي رين 23، 25
(م)
محمد حمة لعروسي 89، 117، 143
محمد الطيب عقاب 146
محمد بن لاغة الرقام 201
محمد الحفيظ بن المختار 52، 53
محمد الحبيب 52
محمد الكنتوسي 51
محمود الكردي 39
محمد الصغير التجاني 44
محمد بن قويدر 47
محمد الساسي لقماري 45، 81، 87
محمد المازوني 44
محمد بن عبد الرحمان 28، 29، 30
محمد المسعود الشابي 74
عبد الرحمن بن عوف 200
عثمان بن عفان 61، 200
علي بن أبي طالب 16، 200
عمر بن الخطاب 200
عمر قاقة القماري 88
عمر الفوتي 51، 52، 53، 54
عبد الرحمن الثعالبي 9
عبد القادر الجيلاني 6، 17، 19، 25
عبد الكريم المغيلي 24
علي بن يوسف بن تاشفين 7
عبد العزيز لعرج 189، 193
محمد بن الفضيل التواتي 44
محمد العيد الأول 80، 88، 98
محمد الهاشمي السرغيني 43
محمد بن سلامة 43
محمد بن العباس 43
محمد بن عبد السلام الناصري 41
محمد بن سالم الحفناوي 28
محمد الزواوي 24
محمد الغالي 51 ،54
محمود التونسي 81
محمد بوحسونة المضاوي 43
مولود فال 54
محي الدين بن المختار 26
مولاي حسن 31
محمد بالقاسم بصري 51
محمد بن يوسف السنوسي
(ن)
النجار السمغوني 43
(ي)
يعقوب المنصور 62
يوسف بن تاشفين 7

فهـــرس المـــلل والـــدول والقبـائـل

الأنـــدلس 27، 44، 99، 180، 181، 185، 197
آيت إسماعيل (قبيلة) 30، 31، 32، 39
الأيوبيـــن 178
الأمويـــن 148
الأتروسكيـــن 150
الأغالبـــة 148
الحفصيـــن 10
198، 206
الخلفـــاء الراشـــدون 2، 201، 206
الـــرومـــان 115، 153، 155، 156
الزيريـــن 156
الزيانيـــن 10
الساسانيـــن 148، 155
السلاجقـــة 61
السعديـــن 50
الطـــوارق 49، 198
العـــرب 3، 155، 180
العجـــم 3
العباسيـــن 155
العثمانيـــن 10، 15، 20، 21، 22، 28، 30، 32، 40
46، 49، 62، 144، 147، 180، 206
الفراعنـــة 155
الفـــرس 3، 61
الفاطميـــن 178
قبائـــل قشتـــولة 28، 29
قبائـــل جـــرجـــرة 28، 38، 65
المغـــول 19
المسلميـــن 3، 11، 61، 99، 101، 153، 155،
المرابطيـــن 8، 26، 30، 54، 147
الموحديـــن 9، 10
المرينييـــن 10، 188، 196، 197
المماليـــك 61، 178، 196
مابيـــن النهريـــين 122، 150
اليهـــود 205

فهـــرس الأمـاكـــن والبلـــدان

(أ)

أدرار 52، 148

أولاد السايـــح 47

الأغـــواط 37، 38، 40، 43، 44، 45، 106، 111

169، 199

أولاد سيدي الشيـــح 25، 43،

أولاد نايـــل 78

آسيـــا 148، 150، 153

إيـــران 180

إفريقيـــا 51، 52، 153

أوروبـــا 40، 204

الأوراس 74

إسبانيـــا 10، 27، 63، 180، 181، 183

إيطاليـــا 150، 181

(ب)

البصـــرة 3، 61

بسكـــرة 78، 142، 148

البرتغـــال 9، 63

بوسمغـــون 39، 42، 43، 64

بجايـــة 10، 25

(ت)

تنـــس 181

تيميمـــون 111

تقـــرت 47، 71، 110، 111، 136، 142، 144، 161، 167

تـــوات 24، 44، 45، 169

تيماسيـــن 48، 49، 53، 64، 68، 70، 74، 78،79

82، 86، 87، 90، 93، 94، 95، 96، 97، 99

103، 107، 109، 110، 111، 112، 113، 114

115، 118، 120، 122، 126، 128، 131، 135

136، 138، 141، 142، 144، 148، 152، 153

156، 161، 164، 165، 166، 167، 168، 170

178، 180، 186، 190، 193، 196، 200،199

200، 201، 203، 206، 207، 209، 210

تلمســـان 10، 31، 38، 39، 44، 136، 147، 181، 188

196، 197

تـــونـــس 10، 11، 26، 39، 46، 49، 50، 66، 82، 116

135، 153، 197، 163، 167، 177، 182، 183

تركيـــا 24

تملاحـــت 64، 78، 79

تاغـــزوت 45، 80

(ث)

ثامغـرة 74

(ج)

جبـل جيـلان 26

الجزائـر 20، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28
31، 32، 37، 38، 40، 41، 42، 43
45، 69، 75، 78، 102، 106، 135
146، 148، 155، 197، 206

(ح)

حاسي خليفـة 162

الحجـاز 29

(خ)

خرسـان 64

خنشـلة 46

(د)

دلـس 181

دمشـق 64، 111، 145، 148

(س)

السـودان 50، 51، 52، 54، 66

سوسـة 64، 155

سوسـة 64، 155

سيدي عبد اللـه 114، 171، 149

السينغـال 52، 53، 57

فرنسـا 26، 51

(ش)

شمـال إفريقيا 7، 37

شـرشـال 181

قفصـة 182

القيـروان 150

قـاشان (إيران) 180

قمـار 45، 46، 52، 64، 80، 81، 82، 87، 88
91، 94، 95، 96، 97، 98، 102، 109،111
116، 119، 121، 122، 126، 128، 114، 134
135، 136، 138، 140، 141، 142، 143، 146
155، 156، 161، 162، 164، 170،177، 178

الشـلالة 40

(ص)

الصحـراء 26، 38، 44، 47، 52، 67، 69، 78،82، 195
205

الصحـراء الغربيـة 54

الصومـال 26

الصـين 26

(ط)

طرابلـس 182

طولقـة 29،30

(ع)

عيـن ماضـي 11، 32، 37، 38، 40، 43، 44،47، 52
64، 70، 81، 88، 120، 144، 161، 177
199، 202، 208، 165، 166، 167، 168

عيـن البيضـاء 46

العـراق 26، 64، 180

(غ)

غردايـة 144، 152، 175

غينيـا 54

غرناطـة 10

(ف)

فـاس 10، 26، 32، 39، 47، 51، 52، 72، 197

فلسطيـن 151، 156

(ق)

القاهـرة 134، 188

القـرارة 152

قسنطينـة 27، 29، 30، 46، 144، 153، 181

النيجـر 53، 54

(هـ)

الهنـد 26

(و)

وادي سـوف 30، 45، 46، 78، 80، 81، 82، 164، 168
87، 97، 110، 116، 148، 153، 169

وادي ميـزاب 110، 142، 148، 152، 169

وادي ريـغ 78، 81، 82، 116، 164، 169

180 181، 182، 186،189، 190، 193، 197
199، 200، 202، 207، 208، 210

(ل)

ليبيـــا 27، 177، 182

(م)

موريتانيـا 50، 52
مـــراكـــش 10، 31، 51، 62
مصـــــر 7، 24، 25، 26، 27، 39، 50، 51، 54
61، 82، 180، 196
المنستيـــــر 61
المغـــرب الأقصـــى 11، 25، 27، 31، 40، 41، 50
51، 66، 69، 177، 197

وهـــــران 25، 31، 39، 63، 144، 181
ورقـــــلة 78، 86، 161

(ي)

اليونـــان 3
اليمـــــن 24

فهـــرس الخـــرائـــط والأشكـــال و اللوحـــات

1 . الخرائـــــط

الخريطـــة رقم 1: موقع قمار وتيما سين على خريطة الجزائر.....ص 225

الخريطـــة رقم 2: موقع زاوية قمار في وادي سوف.....ص 225

الخريطـــة رقم 3:طبوغرافيـــة منطقـــة تيماسيـــن.....ص226

2 . الأشكـــــال

الشكـــل رقـــم01: واحـــات وادي ريـــغ.....ص 228

الشكـــل رقـــم02: أقسام الزاوية التجانية بتيماسين.....ص229

الشكـــل رقـــم03: الزاوية التجانية بتيماسين.....ص 230

الشكـــل رقـــم05: المركـــز الديني لزاويـــة قمـــار.....ص 231

الشكـــل رقـــم06: مسجـــد وضريـــــح زاويـــة تيماسين.....ص 232

الشكـــل رقـــم07: مسجـــد وضريـــح زاويـــة قمـــــار.....ص 233

الشكـــل رقـــم08: مسجد سيدي عبد الله بتيماسين.....ص 234

الشكـــل رقـــم09: مجمع القبة الهرمية بزاوية قمار.....ص235

الشكـــل رقـــم10: وحدة سكنية بالجهة الشرقية لزاوية قمار.....ص 236

الشكـــل رقـــم11: وحدة سكنية بالجهة الجنوبية لزاوية تيماسين.....ص 237

الشكـــل رقـــم12: الأبـــواب الثانويـــة والنوافـــــذ.....ص 238

الشكـــل رقـــم13: طريقة تثبيت وغلق بعض الأبواب.....ص238

الشكـــل رقـــم14: رسم يبين مقطع من السقف المسطح.....ص 239

الشكـــل رقـــم15: رسم يبين تقنية بناء العقد.....ص 239

الشكـــل رقـــم16 : تقنيـــة بناء الأعمـــدة والدعامـــات.....ص 240

الشكـــل رقـــم17: تقـــنيـــة التســـقيف المســـــتوي.....ص 241

الشكـــل رقـــم18: تقنيـــة بنـــاء السلالـــم.....ص 242

الشكـــل رقـــم19: مربعة خزفية منفردة بزاوية قمـــــار.....ص 243

الشكـــل رقـــم20: نماذج من عناصر زخرفية هندسية بالزوايا التجانية.....ص 244

لشكـــل رقــم21: طبق نجمي بباب الضريح زاوية تيماسين.....ص 245
الشكــل رقــم22: طبق نجمي مشع زاوية قمار.....ص 245
الشكــل رقــم23: نموذج من الزخرفة الجصية الملونة زاوية قمار.....ص 246
الشكــل رقــم24: نموذج من الزخارف الكتابية والرمزية، تقنية الألوان.....ص 246
الشكــل رقــم25: نماذج من عناصر زخرفية نباتية.....ص 247
الشكــل رقــم26: نماذج من زخارف معمارية ونباتية وكتابية وآنية.....ص 248
الشكــل رقــم27: نموذج من الزخرفة النباتية بزاوية قمار.....ص 249

3 . اللوحـــات

اللوحـــة رقــم01: صورتين جوّيتين لموقعي زاويتي تيماسيـــن وقمار.....ص 251
اللوحـــة رقــم02: مدخـــل الجهـــة الشماليـــة الشرقيـــة لزاويـــة تيماسيـــن.....ص 252
اللوحـــة رقــم03: المداخل الرئيسيـــة بزاوية قمار.....ص 253
اللوحـــة رقــم04: الشوارع الرئيسيـــة بزاوية قمـــــار.....ص 254
اللوحـــة رقــم05: الشوراع الرئيسية بزاوية تيماسيـــن.....ص 255
اللوحـــة رقــم06: المقاعد الحجرية بأحد الشوارع الرئيسية..... ص 256
اللوحـــة رقــم07: الرحبات في الزوايا التجانية.....ص 257
اللوحـــة رقــم08: القبـــاب في منطقة وادي ســـوف.....ص258
اللوحـــة رقــم09: المساجد في الزوايا التجانية.....ص 259
اللوحـــة رقــم10: الضريـــح بزاويـــة قمـــار.....ص 260
اللوحـــة رقــم11: الضريـــح بزاويـــة تيماسيـــن..... ص 260
اللوحـــة رقــم12: سقيفة بها مقاعد حجرية أمام مدخل جامع قمار.....ص261
اللوحـــة رقــم13: مدخل جامع زاوية قمار.....ص261
اللوحـــة رقــم14: مدخل جامع زاوية تيماسيـــن.....ص261
اللوحـــة رقــم15: جامع زاوية تيماسين، بيت الصلاة.....ص262
اللوحـــة رقــم16: جامع زاوية قمار، بيت الصلاة.....ص262
اللوحـــة رقــم17: الزخارف الجصية بقبة المسجد بزاوية تيماسيـــن.....ص263
اللوحـــة رقــم18: الزخارف الجصية بقبـــة المسجد بزاوية قمار.....ص 263
اللوحـــــة رقــم19: زاوية قمار، مدخل الضريح بالجهة الشرقية.....ص264

اللوحـــة رقـــم20: قبر الضـــــريح بزاوية تيماسيـــن.....ص265
اللوحـــة رقـــم21: قبر الضـــــريح بزاوية قمـــار.....ص265
اللوحـــة رقـــم22: المقبـــــرة بزاويـــة تيماسيـــن.....ص266
اللوحـــة رقـــم23: زاوية قمار، مدافن العائلة التجانية.....ص267
اللوحـــة رقـــم24: مجمـــع القبة الهرمية بزاوية قمـــار.....ص268
اللوحـــة رقـــم25: نماذج من الأروقة بزاويـــة قمـــار.....ص269
اللوحـــة رقـــم26: المدفأة والمدخنة بزاويتي تيماسين و قمـــار.....ص 270
اللوحـــة رقـــم27: النوافـــذ في الزوايا التجانية ص271
اللوحـــة رقـــم28: فتحات التهوية في الزوايا التجانية.....ص272
اللوحـــة رقـــم29: نماذج من الكـــُوات بزاويتي تيماسين وقمار.....ص273
اللوحـــة رقـــم30: نماذج من الأعمدة بالزوايا التجانية.....ص274
اللوحـــة رقـــم31: نماذج من العقود بزاويتي تيماسين و قمار.....ص275
اللوحـــة رقـــم32: نماذج من القباب في الزوايا ص276
اللوحـــة رقـــم33: التسقيف المستـــوي في زاوية تيماسين.....ص 277
اللوحـــة رقـــم34: التسقيف المستـــوي في زاوية قمـــار.....ص277
اللوحـــة رقـــم35: نمـــاذج من الزخارف الجصية الملونة بالزوايا التجانية.....ص278
اللوحـــة رقـــم36: الزخـــارف الخشبيـــة على الأبـــواب بزاويـــة قمـــار.....ص279
اللوحـــة رقـــم37: الزخـــارف الخشبيـــة على الأبـــواب بزاوية تيماسين..... ص280
اللوحـــة رقـــم38: المنبر بمسجـــد تيماسيـــن.....ص 281
اللوحـــة رقـــم39: الزخرفة على الخشـــب بزاويـــتي تيماسين وقمـــار.....ص282
اللوحـــة رقـــم40: نماذج من الزخرفة على الخشب بزاوية تيماسيـــن.....ص283
اللوحـــــة رقـــم41: تفاصيل زخرفية على النحاس بزاوية قمـــار.....ص284
اللوحـــة رقـــم42: تفاصيل زخرفيـــة على النحاس بزاوية تيماسين.....ص285
اللوحـــة رقـــم43: تفاصيل زخرفيـــة معدنيـــة بزاويتـــي قمـــار.....ص286
اللوحـــة رقم 44: مربعـــة خزفية منفردة بزاوية قمـــار.....ص287
اللوحـــة رقـــم45: نموذج من الزخرفة الجصية البيضاء.....ص288
اللوحـــة رقـــم46: زخارف هندسية ونباتية على الجـــص.....ص289

اللوحـــة رقم47: نماذج من الزخارف الجصية الهندسية المخرمة.....ص290
اللوحـــة رقم48: نماذج من الزخارف الكتابية والنباتية والهندسية.....ص291
اللوحـــة رقم49: نماذج من الزخارف المعمارية والآنية.....ص292

فهـرس المصـادر والمراجـع

ـ باللغـــة العربيـــة

أولاً: المصـــادر المخطوطـــة والمطبوعـــة

أ . المصـــادر المخطوطـــة:

1. التليلي (الطاهر)، الفوائـد المنثـورة في المطالعـات المبتـورة، مخطوط غير محقق وغير منشور، توجد نسخة منه بالنادي السياحي لقمار.

2. الدرعي (العباس محمد بن ناصر)، الـرحلـــة، طبعة حجرية بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1954.

3. العياشـــي (أبو بكر)، رحلـة العياشـي، "ماء الموائد"، طبعة فـاس ، 1898.

4. الكتّاني (محمد جعفر)، سلـوة الأنفـاس ومحادثـة الأكيـاس في من قبـر من الصلحـاء بفـاس، ج1، طبعة حجرية، المكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 95 .

5. مفتاح(عبد الباقي)، أضـواء على الشيـخ التجانـي وأتباعـه، مخطوط غير منشور، محفوظ لدى عائلة مفتاح بزاوية قمار.

6. تجاني (محمد خميس)، تأسيـس الزاويـة التجانيـة بتملاحـت سنة 1968، مخطوط غير منشور محفوظ بزاوية تيماسين بورقلة.

7. بن سالم الحفناوي (محمد)، واجبـات المريـد تجـاه شيخـه و واجبـات الشيـخ تجـاه مريـده، القسم الثاني من مجموع كتبه، في 1168 هـ مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 944.

8. طالب (عبد الرحمان)، الرحلـة التجانيـة الإفريقيـة، مخطوط غير محقق وغير منشور، توجد نسخة منه في زوايا عين ماضي، تيماسين و قمار.

ب . المصـــادر المطبوعـــة، (التاريـــخ، والفقـــه، وعلم الاجتمـــاع)

1. **القـــرآن الكريـــم**

2. الأحاديـــث النبويـــة

3. ابن الأثير(أبي الحسن علي بن أبي الكرم)، الكامـل في التاريـخ، المجلد11، دار صادر، بيروت، لبنان، 1979م.

4. ابن حجاج (مسلم)، صحيـح مسلـم، ج2 دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955.

5. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج4، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1971م.

6. ابن مرزوق (محمد التلمساني)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا تقديم محمود بوعياد، سلسلة النصوص والدراسات التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

7. ابن حزم (أبي محمد بن أحمد)، **الملل والنحل**، تحقيق إبراهيم نصر، وعبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، (د ت).

8. ابن الجوزي (جمال الدين)، **تلبيس إبليس**، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م.

9. ابن النديم، **الفهرست**، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997م.

10. ابن تيمية (أحمد)، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، المجلد 11، جمع وترتيب عبد الرحمان محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، زنقة باب شلالة، الرباط، (د ت).

11. ابن السائح (الشرفي)، **بغية المستفيد لشرح منية المريد**، ط1، مطبعة التقدم العلمية، درب الدليل، القاهرة، مصر 1326 هـ 1906م.

12. ابن خلدون (عبد الرحمان)، **المقدمة**، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م.

13. ابن خلدون(عبد الرحمان)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط1، مج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د ت).

14. ابن خلدون (عبد الرحمان)، **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1996.

15. ابن منظور، **لسان العرب**،دار المعارف، القاهرة، (د، ت).

16. ابن يوسف الزياتي(محمد)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1879م.

17. الأربلي(ابن محي الدين)، **تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر**، تحقيق عبد الرحمان تياري، مطبعة مريس، الإسكندرية، 1300هـ.

18. الأمير عبد القادر، مـــــذكرات، ط2، تحقيـــق، محمد الصغير بنانـــي، محفوظ السماتـــي، محمد الصالح الجـــون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة، برج الكيفان، الجزائر،1998.

19. التلمساني (ابن مريم)، البستـــان في ذكـــر الأولياء و العلمـــاء بتلمســـان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986م.

20. الجرجاني(علي بن علي)، التعريفـــات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1405هـــ .

21. حرازم بن عربي (علي)، جواهـــر المعانـــي وبلـــوغ الأمانـــي في فيـــض أبو العبـــاس التجانـــي، الطبعة الأخيرة، الجزء الأول، شركة إلياس الحلبي وأولاده، مصر1963 م.

22. الرياحي (عمر)، تعطيـــر النواحـــي، ط1، ج1، مطبعة بكار، تونس 1320هـــ.

23. الرّصاع (الأنصاري)، فهرســـت الرصـــاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي، من سلسلة تراثنا الإسلامي، المكتبة الوطنية العتيقة، تونس، (د ت).

24. السهروردي (أبو حفص عمر)، عـــوارف المعـــارف، تحقيق محمود غيث، نشر مكتبة القاهرة، 1398هـــ.

25. الشهرستاني أبي الفتح (محمد بن عبد الكريم)، الملـــل والنحـــل، ج1، تحقيق عبد العزيز الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1968م.

26. الغزالي (أبو حامد)، جواهـــر القـــرآن ودوره ، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983م.

27. القشيري (أبو القاسم)، الرسالـــة القشيريـــة، ط1، در الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ثانيا: المراجـــع العربيـــة والمعربـــــة

أ . كتـــب الفنـــون والآثـــــار:

1. الألفي (أبو صالح)، الفـــن الإسلامـــي، أصولـــه، فلسفتـــه، مدارســـه، ط2، دار المعارف لبنان 1974م.

2 . أرنست كونـــل، الفـــن الإسلامـــي، ترجمة أحمـــد موســـى، بيروت،1966م.

3. الباشا(حسن)، مدخـــل إلى الآثـــار الإسلاميـــة، دار النهضة العربية، مصر، 1979م.

4. بن ونيش(فريدة)، المجوهـــرات والحلـــي في الجزائـــر، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر 1976م.

5. حملاوي (علي)، نمـــاذج من قصـــور منطقـــة بالأغـــواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م.
6. سعاد محمد (ماهر)، الخـــزف التركـــي، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1977م.
7. سامح (كمال الدين)، العمـــارة في صـــدر الإســـلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهـــرة 1987م.
8. سعد زغلول (عبد الحميد)، العمـــارة والفنـــون في دولـــة الإســـلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د ت).
9. شافعي (فريد)، زخـــارف وطـــرز سامـــراء ، مج11، ج2، كلية الآداب، جامعة القاهرة،(د ت).
10. شافعي (فريد)، العمـــارة العربيـــة في مصـــر الإسلاميـــة، مج1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م.
11. صالح لمعي (مصطفى)، القبـــاب في العمـــارة الإسلاميـــة، دار النهضة العربية، بيـــروت، (د ت).
12. عكاشة (ثروت)، القيـــم الجماليـــة في العمـــارة الإسلاميـــة ، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
13. عدنان (رشيد)، دراســـات في علـــم الجمـــال، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.
14. فكري (أحمد)، مساجـــد القاهـــرة و مدارسها، المدخل، دار المعارف، القاهرة 1961م.
15. لعرج (عبد العزيز)، الزليـــج في العمـــارة الإسلاميـــة بالجزائـــر في العصـــر التركـــي، دراسة أثرية فنية، ط1 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.
16. لعرج (عبد العزيز)، جماليـــة الفـــن الإسلامـــي في المنشـــآت المرينيـــة بتلمســـان، دراسة فنية أثرية جمالية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2007م.
17. مرزوق (محمد عبد العزيز)، الإســـلام والفنون الجميلـــة، دار الكتاب، القاهرة 1944م.
18. مرزوق (محمد عبد العزيز)، الفنـــون الزخرفيـــة الإسلاميـــة في العصـــر العثمانـــي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،1974م.
19. مرزوق (محمد عبد العزيز)، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت،(د ت) .

20. مهنا (رئيف) وبحر (ويس)، نظريات العمارة، الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992م.

21. مجموعة من الباحثين، الفن العربي الإسلامي، ج3، (الفنون) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس 1997م.

ب . كتب التاريخ والفلسفة والتصوف

1. ألفريد (بل)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ط3، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، 1987م.

2. أبو العباس (أحمد)، القسمة وأصول الأرضيين، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، ط2 تحقيق وتعليق الشيخ بكير بالحاج، والدكتور محمد صالح ناصر، جمعية التراث، غرداية، 1997م.

3 . إدوارد دو نوفو، دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، 2003م.

4. إحسان الهي (ظهير)، التصوف المنشأ والمصادر، ط1، إدارة ترجمان السنّة، باكستان، 1406هـ/1986م.

5. ابن محمد (علي الدخيل الله)، التجانية (دراسة الأمم، عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنّة)، دار طيبة، الرياض،السعودية 1401هـ 1981م.

6. ابن عبد الكريم (محمد)، التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران(د ت).

7. ابن الدباغ بن محمد الأنصاري(عبد الرحمان)، مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، تحقيق هـ. ريتر، دار صادر، بيروت، 1959م.

8. بوعزيز (يحي)، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م.

9. بوعزيز(يحي)، أعلام الفكر و الثقافة بالجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

10. بالهادف (بن سالم بن الطيب)، سوف تاريخ وثقافة، مطبعة الوليد، الوادي 2008م.

11. التجاني (محمد الحافظ)، عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية، الزاوية التجانية بالقاهرة، مصر، (د ت).

12. الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد)، **تاريخ الجزائر العام**، ط6، ج4، دار الثقافة للطبع والنشر، بيروت، لبنان، 1983م.
13. جان شوفليي، **التصوف والمتصوفة**، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، بيروت، 1999م.
14. حاج صادق (محمد)، **مليانة و وليّها سيدي أحمد بن يوسف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ت).
15. حجي (محمد)، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب 1966م.
16. حسن إبراهيم (حسن)، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1974م.
17. خنوف (علي)، **تاريخ منطقة جيجل قديمًا وحديثًا**، منشورات الأنيس، الجزائر 2007م.
18. الراوي (عبد الستار)، **التصوف، (مقدمة أولى في الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة)** ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1994م.
19. الزوبي (ممدوح)، **الطرق الصوفية، ظروف النشأة وطبيعة الدور**، ط1، الأهالي للتوزيع، دمشق، 2004م.
20. زاوية تيماسين، **الزاوية التجانية بتيماسين**، مطبوعات الزاوية التجانية بتيماسين، ورقلة، 1998م.
21. زاوية تيماسين، **الزاوية التجانية بتيماسين بين الأمس واليوم**، مطبوعات الزاوية التجانية بتيماسين، ورقلة، 2001م.
22. زاوية قمار، **الزاوية التجانية بقمار، ماضي، حاضر، مستقبل** إصدارات الزاوية التجانية بقمار الوادي 2004م.
23. زاوية قمار، **مدرسة قمار مئة سنة من العطاء**، الديوان السياحي لقمار، الوادي، 2007م.
24. ساطع الحصري (أبو خلدون)، **البلاد العربية والدولة العثمانية**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1960م.
25. سعد الله(أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي (ق10هـ14هـ/16م 20م)**، ط1، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

26. سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، ط1، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م.
27. سبنسر(ترمنجهام)، الفرق الصوفية في الإسلام ، ترجمة ودراسة وتعليق عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997م.
28. سعيد (مراد)، الفرق و الجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً و حديثاً، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر، 1997م.
29. السلمي(أبو عبد الرحمان)، الطبقات الصوفية، ط2، تحقيق أحمد الشرباصي، منشورات كتاب الشعب، القاهرة 1419هـ/1998م.
30. الشعراني (عبد الوهاب)، الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، تحقيق لجنة التراث في الدار، ط1، دار صادر، بيروت، 1999م.
31. الشطي (عبد القادر)، حقيقة السلفية الوفية لمذهب أهل الحق الصوفية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2002م.
32. الصغير(عبد المجيد)، تجليات الفكر المغربي، (تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب) ، شركة النشر والتوزيع ، المدارس، الدار البيضاء،2000م.
33. طالب (عبد الرحمان)، الرحلة التجانية الإفريقية (فيفري، مارس، أفريل1985) غير منشورة موجودة في زوايا عين ماضي، تيماسين وقمار.
34. عبد القادر (محمود)، الفكر الصوفي في السودان، مصادره، وتياراته، وألوانه، ط1، مطبعة المعرفة، القاهرة 1986م.
35. عبد الرؤوف الفقي (عصام الدين)، تاريخ الفكر الإسلامي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.
36. عبد الخالق (عبد الرحمان)، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط3، مطبعة الفيصل، الكويت، 1406هـ، 1986م.
37. العوامر(إبراهيم بن محمد الساسي)، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م.
38. العجيلي (التليلي)، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية،(1981 - 1939م) ط1 منشورات كلية الآداب منوبة ، تونس، 1992م.

39. العروي (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، من الغزو الأيبيري إلى التحرير، ج3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1999م.
40. فيلالي (مختار الطاهر)، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1976م.
41. القرضاوي (يوسف)، الحلال والحرام في الإسلام، ط2، دار البعث، الجزائر(د ت).
42. الكلاباذي (أبو بكر محمد)، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط2، تحقيق محمود النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1980م.
43. كعباش (محمد إبراهيم سعيد)، العطف، تاجنينت أم القرى الميزابية في ذكراها الألفية غرداية، 1996م.
44. محمد مصطفى (حلمي)، الحياة الروحية في الإسلام، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.
45. مفتاح (عبد الباقي)، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، الوليد للنشر، الوادي، 2004م.
46 . الموسوي(مصطفى عباس)، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
47. نسيب (محمد)، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر (د ت).
48. النجار عبد المجيد(عمر)، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.
49. النّشار (علي سامي)، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط9، ج1، دار المعارف، القاهرة 1995م.
50. الناصري (أبو راس)، فتح الإله ومنّته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1998م.
51. هلال (عمار)، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1984م.

52. يوليوس (قلهوزن)، أحـزاب المعارضـة السياسية والدينية في صـدر الإسـلام، الخوارج والشيعـة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، من سلسلة دراسات إسلامية ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968م.

ثالثـا: المعاجـم والموسوعـات

1. البستاني (بطرس)، دائـرة المعـارف، الـخزف، مج7، مطبعة المعارف، بيروت، لبنان، 1883م.

2. شلبي (أحمـد)، موسوعـة التاريـخ الإسلامـي والحضـارة الإسلاميـة، ط7، ج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهـرة، 1986م.

3. الغنيمي (عبد الفتاح)، موسوعـة تاريـخ المغـرب العربـي، (بني حفـص و بني زيـان و بني مريـن)، ج6، دراسة في التاريخ الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.

4. مذكور (إبراهيم)، معجـم العلـوم الاجتماعيـة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.

5. محمد رزق(عاصم)، معجـم مصطلحـات العمـارة والفنـون الإسلاميـة، ط1، مكتبة مدبولي، 6 ميدان طلعة حرب، القاهرة، مصر، 2000م.

6.(مجموعة من المستشرقين)، دائـرة المعـارف الإسلاميـة، تعريب أحمد الشنتاوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، مراجعة الدكتور محمد مهدي علام، دار المعرفة، بيروت، (د ت).

رابعًـا: الرسائـل الجامعية

1. ابن الشين (أحمد)، الطريقـة التجانيـة بين الماضـي والحاضـر، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2001/2000م.

2 . بن سويسي (محمد)، العمـارة الدينيـة الإسلاميـة في منطقـة تـوات، تمنطيـط نموذجًـا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2007م 2008م.

3. بلغيث (محمد الأمين)، الحيـاة الفكريـة في الأندلـس في عصـر المرابطيـن، مج1، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002 2003م.

4. بونابي (الطاهر)، الحركـة الصوفيـة في المغـرب الأوسـط خـلال القرنيـن 6هـ،7هـ/ 12م،13م، رسالة ماجستير، معهـد التاريخ، جامعة الجزائر، 1999 ، 2000م.

5. تلمساني (بن يوسف)، **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، (الحكم العثماني ، الأمير عبد القادر ، الإدارة الاستعمارية)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997 ــ 1998م.

6. حاجو (حسين)، **حركة عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن 19م**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995م.

7. حملاوي (علي)، **قصور منطقة جبال عمور(السفح الجنوبي) من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري(16 ــ 20م)**، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر2001م.

8. دحمون (منى)، **قصر بوسمغون بولاية البيض**، دراسة أثرية تحليلية، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005/2004م.

9. شهبي (عبد العزيز)، **دراسة أثرية لمساجد الزاب ووادي ريغ**، رسالة دكتوراه، حلقة ثالثة في التاريخ الإسلامي، 1985م.

10. عبد العزيز حسونة، **النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف** ، رسالة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2010/2009م.

11. عزوق (عبد الكريم)، **تطور المآذن في المغرب الأوسط مع بداية دولة بني حماد حتى نهاية العصر العثماني**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الإسكندرية، مصر، 1991م.

12. عقاب محمد (الطيب)، **قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني**، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه الحلقة الثانية، جامعة الجزائر، 1984م.

13. فرج (محمود فرج)، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، أطروحة لنيل دكتوراه، الحلقة الثالثة في التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

14. قنايزية (علي)، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن ال13هـ 19م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2000، 2001م.

15. مهيرس (مبروك)، **المساجد العثمانية بوهران ومعسكر**، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في الآثار الإسلامية، جامعة، الجزائر، 1981، 1982م.

خامسا: مجلات، دراسات وأبحاث

1.أحمد عقاقبة ومصطفى قواس، **التعمير في وادي ميزاب**، ندوة التنمية العمرانية الأولى، الدمام المملكة العربية السعودية ، 17 ، 19 ذو القعدة1431هـ/25 ، 27 أكتوبر 2010م.

2. بولنوار (عبد الكريم) و آخرون، **قصر تيماسين وأهم معالمه الأثرية**، دراسة معمارية بغرض تصنيف معالم هذا القصر ضمن المعالم الأثرية الوطنية، مارس 1995م.

3. بلغيث(محمد الأمين)، **السلطة في الجزائر وتونس في القرن 17م من خلال تاريخ العدواني**، الندوة الفكرية الخامسة للشيخ محمد العدواني، الوادي، نوفمبر 2000م.

4. بونابي (الطاهر)، **نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط**، حوليات التراث، مجلة دورية تصدرها كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، العدد 02، سبتمبر 2004م.

5. بوعزيز (يحي)، **أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين (19 ــ 20م)**، مجلة الثقافة، العدد63، وزارة الثقافة، الجزائر، ماي ، جوان 1981م.

6. الباشا (حسن)، **الخط، الفن العربي الأصيل**، مقال في كتاب حلقة بحث الخط العربي المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1966م.

7. الجبوري (حسين علي)، **أثر الخوف والقلق على طراز البناء في منطقة النجف وكربلاء**، مجلة التراث الشعبي، العدد7، وزارة الإعلام، السنة السادسة، بغداد، 1975م.

8. حملاوي (علي)، **منهجية البحث حول القصور الصحراوية**، دراسة نموذجية لقصور منطقة الأغواط، الملتقى الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية، المسيلة، الجزائر، 1995م.

9. الريحاوي (عبد القادر)، **البيت في المشرق الإسلامي**، ضمن مجموعة أبحاث، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، تلمسان، 15،18 نوفمبر 1982م

10. سيدي موسى (محمد الشريف)، **جذور التصوف ببلاد المغرب والجزائر**، الندوة الفكرية الخامسة للشيخ محمد العدواني، الوادي، نوفمبر2000م.

11. ساحي (أحمد)، "**أحمد بن إدريس البجائي الأيلولي (القرن 8هـ/14م) و دور زواوة في التراث العربي الإسلامي**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 7، معهد التاريخ، جامعة الجزائر1993م.

12. الشابي (علي)، "**مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**"، المجلة التاريخية المغربية، العددين13 و14، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس جانفي 1979م.

13. صاري(الجيلالي)، **الدور التاريخي للطرقية ببلاد المغرب الإسلامي**، من ملتقى الفكر الإسلامي الـ 21 معسكر الجزائر أوت 1987م.

14. عقاب (محمد الطيب)، **المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر**، المؤتمر العاشر للآثار، تلمسان،1982م.

15. علي (بن بلة) محمد عزيز (المقراني)، **حوليات المتحف الوطني للآثار**، دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة بالمتحف الوطني للآثار،العدد الرابع، الجزائر 1994م.

16. فتحي (حسن)، **العمارة الإسلامية والذاتية الثقافية واتصال الأرض بالسماء**، مجلة تنمية المجتمع، العدد الأول، السنة السابعة، القاهرة 1982م.

17. مياسي (إبراهيم)، **مساهمة القادرية في تأطير الثورات الشعبية**، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 4، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003 ، 2004م.

18. مكحلي(محمد)، "**الطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني(1707-1827 م)**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 114، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، زغوان، جانفي 2004م.

19. وليد شلتوت،**الأنماط المعمارية في العمران الصحراوي**، المؤتمر الهندسي الثاني، كلية الهندسة، جامعة عدن، اليمن، 30، 31 مارس 2009م.

ـ باللغة الأجنبية

Les sources et les renvoies :

1-Abu Nasr (Jamil , Tyaniyya sufi orde the modern world, Oxford university in presse, London, 1965.

2-Alfred (B.), **La religion musulmane en Barbarie, esquisse d'histoire et de établissement et développement de l'Islam en Barbarie du 7eme au sociologie, 20eme siècle**, tome :01, Librairie orientaliste Poulgeuthner, Paris 1938.

3-Alfred (B.), **l'islam mystique**, Jules Carbonnel imprimerie, Alger,1928.

4-André(G.), **Contribution à l'étude confréries religieuses musulmanes**, édition la maison des livres, Alger, 1956 .

5-Atlas d'architecture mondiale France 1978.

6- Bachminsk (J.) et Grandet (D.), **Cinq études urbaines et architecturales sur algérien**, imprimerie de : L. U. S. O, 1995. **Sud-Ouest**

7-Bourouiba (Rachid), **L'Art religieux musulman en Algérie**, S.N.E.D., Alger, 1973.

8-Bourouiba (Rachid), **Rapport de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique**, O . P. U, Alger, 1986.

de la constitution des ordres religieux , les Khouans) Charles(Brosselard 9-
Algérie, Imprimerie de A.Bourget, Alger, 1952. **en musulmans**
10-Cabus (J.), **Au Sahara, arts et symboles**, Suisse, 1958.
(Tunisie), Tome : 05, C,A,T,A,N, **djerbienne** 10-Combus (L.), **l'habitation**
. Toulouse,1959
11-Coppolani (X.) et Depont(O.), **les confréries religieuses musulmanes,**
.Alger, 1897 Jourdan, Adolphe
, **Mœurs et coutumes de l 'Algérie, introduction de**) Eugène(12-Daumas
, Paris, 1988. **A.K.Djeghloul,** Sindibad
, **Le Sahara Algérien études géographiques statistiques et**) Eugène(13-Daumas
Algérie, **sud des établissements française en région au la historiques sur**
Paris, 1945 .

Doukali (R.), **Les Mosquées de la période turque à Alger**, S.N. d'Alger, 14-
1974.
15-Fathy (H.), **Construire avec le peuple**, Sindibad, paris, 1970
16-Fernand (pH.), **Etapes sahariennes**, Alger, 1880.
17-Gabuscjsau , **Sahara, arts et symboles**, Ed. De la Baconniere, Suisse, 1958.
18-Godard (j.), **L'Oasis moderne, essai d'urbanisme saharien**, Paris, 1953.
Imprimerie 19-Goulvion Marthe et Edmond, **Kitab Aauame El Marhariba**,
Alger, 1929.,algérienne
20- Largeau (v.), **Le Sahara algérien**, Paris, 1881.

21-Lisse (P.) Louis (A.), **Les Poteries de Nabeul, étude de sociologie tunisienne**,
Bascone et Muscat, Tunis, 1956. imprimerie
Architecture musulmane d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, 22-Marçais (G.),
Sicile, A.M.G, Paris, 1954. **Espagne, et**
23- Marçais (G.) et Golvin**, La grande mosquée de Sfax**, imprimerie la rapide,
Tunis, 1960.
24-Marçais (G.), **Manuel d'art musulman et architecture, Tunisie, Algérie,**
et Sicile, Tome : 02, A .Picard, paris, 1926. **Espagne Maroc,**
25- Marean Reni lus, **Africains musulmans**, Nades édition, Abidjan, cote
d'ivoire, 1982.
26- Nesson (C.), **L`Oasis du Sahara Algérienne**, Paris, 1973.
27-Noellat (Le colonel), **L'Algérie en 1882,** Librairie Militaire, Paris, 1882.
Philippe (F.), **Etapes Sahariennes**, Alger, 1880. 28-
29-Ravereau André, **Le M'Zab, une leçon d'architecture**, Editions Sindebad,
Paris 1981.
30- Rinn (Louis), **Marabouts et Khouans, Etudes sur l'Islam en Algérie**,
Adolple Joudan libriaire, Alger, 1884**.**
31- Simian (Marcel**), Les Confréries Islamique en Algérie, (Rahmanya**
Jourdan, Alger, 1920. Adolphe , **Tidjania)**
32- Soustiel (J.), **La Céramique islamique, guide de connaisseur**, paris, 1985.
33-Stierlin Henri, **Architecture de l'Islam**, Office de livre fribourg, 1979.

, **L'Algérie légendaire en pèlerinage ça et la au tombeaux des**) C. (34-Trumelet **principaux, Thaumaturges de l'Islam (Tell et Sahra)**, Libraire Adolphe .Jourdan, Alger, 1892
Vil Lot mœurs**, Coutumes et institutions**, 3eme éditions, librairie Adolphe 35-Jourdan, Alger, 1888.
1865. 36-Zaccone (j.), **De Batna à Tougourt et au Souf**, Paris,

Les articles :

1-Bel (A.), **« Coup d'œil sur l'Islam en Barbarie »**, in : La revue des religions, Paris, 1917.
« Les Inscriptions arabes de Tlemcen », in Revue): Charles(2-Brosselard N°5, OPU, Alger, 1860. Africaine,

3-Couvet (Le Commandant), **‹‹Les Marabouts, petites funéraires et votifs du** revue africaine, tomr : 64, Alger, 1923. **de l'Afrique ››**, in : **Nord**
4-Delpech (A.), **« Un Diplôme de Mok'edem de la confrérie religieuse Rahmania »**, in : Revue Africaine, N°18, O.P.U., Alger, 1986.
, **« La Zaouia de Sidi Ali Ben Moussa ou Ali N'Founas »**, in :) A.(5-Delpech 1986. Africaine, N°18, OPU, Revue
6-Marçais(PH.) , **« Notes de sociologie et de linguistique sur Beni-Abbas »** ,in : T.I.R.S, Tome : 13, 1955.
p.), **« Le Maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans** (7-Murati **région de Tébéssa »**, in : Revue Africaine , N°371, 2°trimestre, Alger, 1937. **la**
8-Pauloinot, **« Role politique des confréries religieuses et des zaouias au** de géographie et d'archéologie de la province **Maroc »**, in : Bulletin de société et d'Oran, 1930.

Encyclopédies et dictionnaires :

1-Massignon (Louis), **« Tarika »**, in : Encyclopédie de l'Islam, Tom : IV, (S-Z), librairie C.Klinckssick, Paris, 1934.

فهـــرس المواضيـــع

المـــوضـــوع الصفحـــــة

ـ الإهـــــــــداء

كلمـــة شكـــر

ـ مقدمـــــة (التعريـف بالموضـوع ـ أهمية الموضـوع وسبب اختياره، الإشكاليـة، خطـة البحـث.....ص أ، ج

البـــاب الأول: التصـــــوف والـــــزوايا

الفصـــل الأول: التصـــــوف و الطـــرق الصوفيـــة

أولاً: نشأة التصوف الإسلامي ومراحل تطـــوره

1. التصوف في المشرق الإسلامـــي.....ص03
2. التصوف في المغرب الإسلامـــي.....ص08

ثانيًا: الطـــرق الصوفيـــة

1. مفهـــوم الطريقة الصوفية.....ص13
2. نشأتها وتطـــورها في العالم الإسلامي.....ص19
3. ظهورها وعوامل تطـــورها بالجزائـــر.....ص22
4. أهـــم الطـــرق الصوفيـــة بالجزائـــر.....ص24

أ. الطريقـــة القادريـــة.....ص25

ب. الطريقـــة الشاذليـــة.....ص28

ج. الطريقـــة الرحمانيـــة.....ص29

د. الطريقـــة الدرقاويـــة.....ص32

الفصـــل الثاني: الطريقـــة التجانيـــة وأهـــم زوايـــاها

أولاً: الطريقة الصوفيـــة التجانيـــة:

1. مرحلـــة التأسيـــس ص38
2. ظروف وعوامـــل التأسيس.....ص41
3. مراحل الانتشار والتوسع.....ص43
أ. انتشار الطريقة في الجزائـــر.....ص44
ب. انتشار الطريقة في تونـــس.....ص51
ج. انتشار الطريقة في المغرب الأقصى.....ص53
د. انتشار الطريقة في غرب ووسط إفريقيـــا.....ص54
4. أهم مؤلفـــات التجانييـــن.....ص60

ثانيًا: تعريـــف الزوايـــا ونشأتـــها

1. تعريف الزوايـــا.....ص62
2. نشأة الزوايـــا وتطورهـــا.....ص64
3. مراحـــل تكونها ومواردهـــا.....ص67
4. الهيكـــل التنظيمي للزاويـــا.....ص70
5. الانخـــراط في الطريقـــة.....ص75
6. نظام الزوايا كمؤسســـة تعليميـــة.....ص76

البـــــاب الثـــاني: العمـــران والعمـــارة في الزوايـــا التجانيـــة

الفصـــل الأول: العمـــران في زاويتـــي تيماسيـــن وقمـــار

أولاً: مواقع زاويتي تيماسيـــن وقمـــار وظروف تأسيسها

1. الزاوية التجانية بتيماسيـــن (ورقلـــة).....ص82

أ.الموقع الجغرافي والفلكـــي.....ص82

ب. لمحة تاريخية.....ص83

2. الزاوية التجانية بقمـــار (وادي ســـوف).....ص85

أ. الموقع الجغرافي والفلكـــي.....ص85

ب. لمحة تاريخيـــة.....ص85

3. التخطيـــط العمراني في البيئة الصحراوية.....ص87

أ. التخطيـــط المدمـــج أو المتضـــام.....ص84

ثانيًا: التخطيـــط العمرانـــي في زاويتي تيماسيـــن وقمـــار

1. التصميـــم العـــام والمقاســـات.....ص89

2. التركيبـــة العمرانيـــة في الزوايـــا.....ص94

أ. المداخل الرئيسية والثانويـــة.....ص94

ب. توزيع الشوارع والأزقـــة.....ص96

ت. الساحات العامة (الرحبات).....ص99

ث. الأحياء والدور.....ص101

ج. المساجـــد.....ص102

هـــ. الأضرحة والمقابـــر.....ص105

الفصـــل الثانـــي: العمـــارة في زاويتـــي تيماسيـــن وقمـــار

أولاً: العمـــارة الدينيـــة

1. المساجـــد ص110

2. الأضرحـــة.....ص116

3. المقابـــر..... ص118

ثانيًا: العمـــارة المدنيـــة

1. التصميـــم الخارجـــي للبيت التجاني.....ص119

2. نمـــاذج من العمـــارة المدنيـــة.....ص121

أ. مجمع دار الســـادة بزاوية تيماسين.....**ص121**

ب. مجمع القبة الهرمية بزاوية قمار.....**ص123**

3.توزيـــع العناصر المعمارية.....ص124

أ. المداخـــل.....**ص124**

ب. السقائـــف.....**ص125**

ت. الصحـــون (الأفنيـــة).....**ص126**

ث. الأروقـــــة (السابـــاط).....**ص130**

ج. الغـــرف وملحقاتـــها..... **ص132**

ج.1 المطبـــخ.....**ص135**

ج.2 المخـــــزن.....**ص136**

ج.3 المرافـــق الصحيـــة.....**ص137**

ح. الأبـــــواب.....**ص138**

خ. النوافـــذ والفتحـــات.....**ص141**

د. الكـــوّات والرفـــوف.....**ص144**

4. وسائـــل الدعـــم والتغطيـــة ص145

أ. وسائـــل الدعـــم.....**ص145**

أ.1 الدعامـــات **ص145**

أ.2 الأعمـــــدة..... **ص147**

أ.3 العقـــــــود:.....**ص149**

ب. وسائـــل التغطيـــة.....**ص153**

ب.1 القبـــاب.....**ص154**

ب. 2 الأقبيـــة.....**ص159**

البـــــاب الثـــالث: مـــواد البنـــاء والزخرفـــة

الفصـــل الأول: مـــواد البنـــاء والزخرفـــة وتقنياتـــها

أولاً: مـــواد البنـــاء و تقنيـــات استعمالـــها

1: مـــــواد البنـــاء:.....ص164

أ. الطيـــن.....ص164

ب. الحجـــارة.....ص166

ت. الميـــلاط والجبـــس.....ص167

ث. الخشـــب وجـــذوع النخيـــل.....ص169

ج. أوراق الليف والحلفاء والعرعار.....ص171

ح. الآجـــــــر.....ص171

2: تقنيـــات البنـــاء.....ص171

أ. تقنيات بناء الأســـس والجـــدران.....ص172

ب. تقنيات بناء المداخـــل والأبـــواب.....ص174

ت. تقنيات بناء الأعمـــدة والدّعامـــات.....ص175

ث. تقنيات بناء الأسقـــف والسلالـــم.....ص175

ثانيـــاً: مـــواد الزخرفـــة و تقنيـــات تنفيـــذها

1. الحـــس الجمالـــي في بنـــاء الزوايـــا التجانيـــة.....ص177

2. مـــواد الزخرفـــة وعلاقتهـــا بالموضوع الفنـــي.....ص180

أ. الجـــــص.....ص180

ب. الخشـــــب.....ص181

ت. المعـــــادن.....ص182

ث. الزليـــــج.....ص184

3. طـــرق و تقنيـــات الزخرفـــــة.....ص186

أ. تقنيات الحفر والكشـــط والحـــز.....ص187
ب. تقنيات القولبـــة أو القالبيـــة.....ص190
ت. تقنيات التجميع والتعشيـــق والنقـــر.....ص191
ث. تقنيات الطـــلاء بالألـــوان.....ص192

الفصـــل الثـــاني: المواضيع الزخرفية التصويرية والأشكال الفنيـــة

أولاً: دراســـة تحليليـــة لمختلـــف الأشكـــال الفنيـــة

1. العناصـــر الزخرفيـــة.....ص195
أ. الزخـــارف الهندسيـــة.....ص195
ب. الزخارف الكتابيـــة.....ص201
ت. الزخارف النباتيـــــة.....ص204
ث. الزخارف الرمزيـــة.....ص207
ج. الأشكال الزخرفية المعماريـــة والآنيـــة.....ص210

خاتمـــــــــة البحث.....ص215

ملحـــــــــق

الخرائـــط والأشكـــال واللوحـــات

1. الخرائـــــط.....ص224
2. الأشكـــــــال.....ص228
3. اللوحـــــــات.....ص250

الفهـــــــارس

1. قائـــمـــة المصطلحات.....ص294
2. فهـــرس الآيـــات القرآنية والأحاديث النبويـــة.....ص297

3. فهـــرس الأعـــلام.....ص298

4. فهـــرس الملل والـــدول والقبائـــل.....ص301

5. فهـــرس الأماكـــن والبلـــدان.....ص302

6. فهـــرس الخرائط والأشكال واللوحـــات.....ص305

7. فهـــرس المصادر والمراجـــع.....ص310

8. فهـــرس المواضيـــــع.....ص328